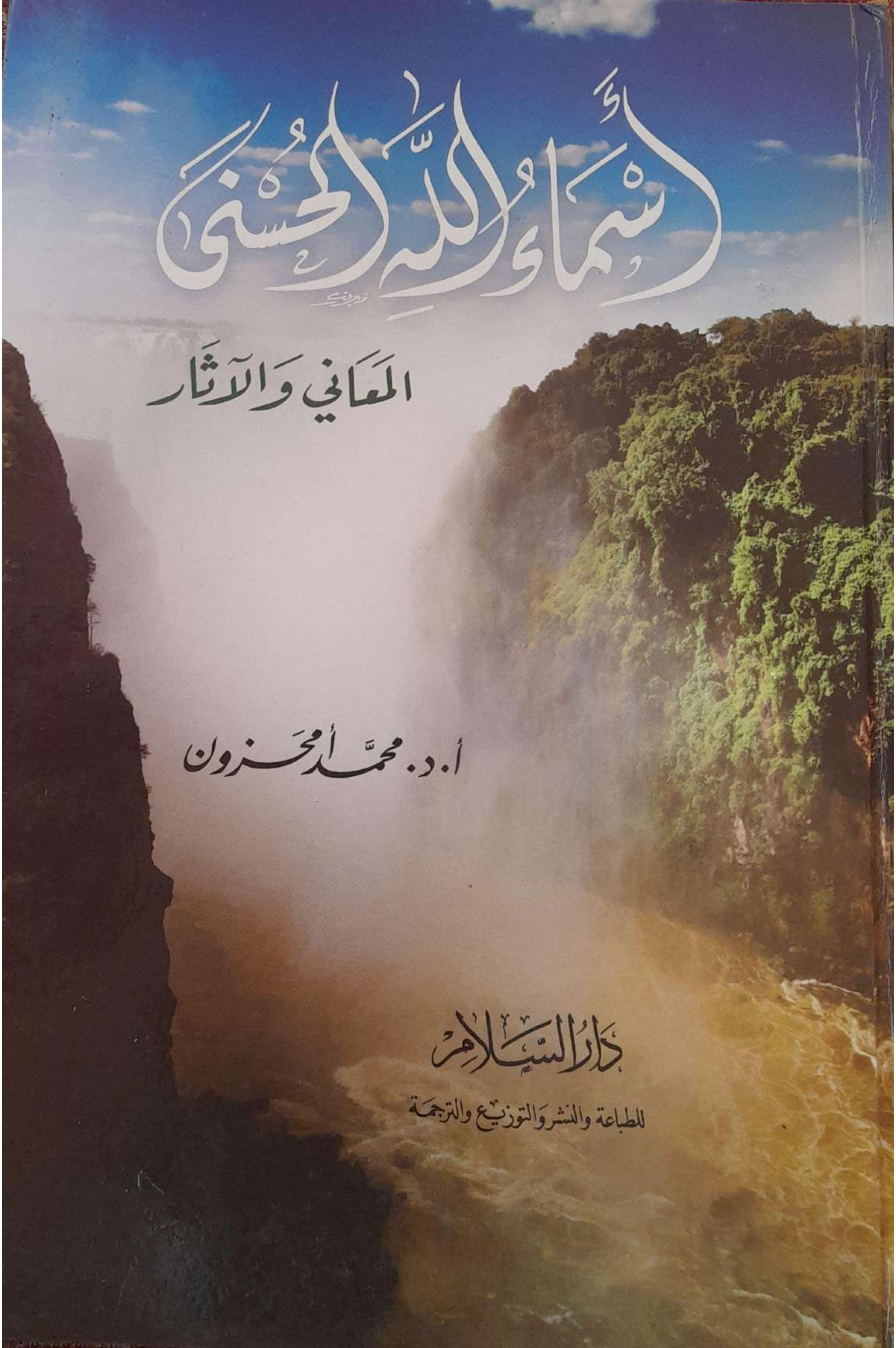


أسماء الله الحسنى

المعاني والآثار

أ. د. محمد أمحزون

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

أسماء الله الحسنى

المعاني والآثار

تأليف
أ.د. محمد أمحزون
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس - المغرب

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

مُقَدِّمَة

مما لا ريب فيه أن البحث في أسماء اللَّه وصفاته - وفق ما جاء في الكتاب والسنة - هو من أجل المعارف وأشرفها؛ ذلك أن أجل المقاصد وأنفع العلوم: العلم بمعاني أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العلا.

على أن التعرف على اللَّه تعالى من خلال أسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح بخالق الأرض والسموات. كما أن العلم بأسماء اللَّه وصفاته يتمخض عنه إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها وتدبرها وإدراك موجبها، وآثارها ومقتضياتها، ومتعلقها، ولوازمها، وأحكامها، والدعاء بها. وهذا يفضي إلى عبادة اللَّه ومحبته وخشيته، ويوجب تعظيمه وإجلاله.

قال قوام السُّنة الأصفهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة): « قال بعض العلماء: أول فرض فرضه اللَّه على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء اللَّه وتفسيرها، فيعظموا اللَّه حق عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلًا: طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فاللَّه الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه، أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها »[(١)].

ومن نافل القول أن معرفة أسماء اللَّه وصفاته، ترسخ في النفس معنى التوحيد؛ فحين يعلم المرء أن اللَّه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل شيء رهن قبضته وطوع مشيئته الغالبة، فإن هذا الإحساس ينشئ في نفسه مبدأ المسؤولية ويجليه في الفكر والشعور. فالخالق الواحد هو: الآمر، الناهي، الرقيب، الحسيب، المعز، المذل، الحكم، العدل، لا شريك معه، يخشى فيطاع ويرجى فيسأل، وإنما هو إله واحد أحد فرد صمد.

وعندئذ تشرق في قلب الإنسان الذي تحقق من الوحدانية معاني المسؤولية، فيدرك أن الذي يستحق الطاعة والعبادة هو اللَّه الواحد الدّيان المنعم، وأنه وحده أهلٌ للخشية والتقوى والشكر والإنابة.

---

(١) عبد العزيز آل عبد اللطيف: أسماء اللّـه الحسنى: الفقه والآثار، مجلة البيان، العدد (٩٩)، (ص ٨٧).

والإنسان بحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص. ولا جرم أن مما يزيد في الإيمان وينميه التفكر في الخلق والاستشهاد بعظمة قدرة اللَّه تعالى، بالنفاذ إلى أغوار الكون والأفلاك، والتأمل في الأرض وما فيها من مخلوقات، والكشف عن ثنايا حياة الإنسان والحيوان والنبات، وغير ذلك مما فيه عبرة للمعتبرين، ودليل على عظمة الخالق وجليل أسمائه وصفاته وآثارها، واستحقاقه تعالى لأن يعبد وحده لا شريك له.

كما ينبغي أن يكون للعبد حظ من أسماء اللَّه وصفاته؛ حيث يثمر له العلم بها وفقه معانيها سلوكًا عقديًّا يشهد بتوحيد العبد لربه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فيتصف بالصفات التي يحبها اللَّه تعالى؛ كالعلم والكرم والعفو والحلم والرحمة ونحو ذلك، وينتهي عن الصفات التي يكرهها اللَّه ﷻ من عباده ولا يصح للمخلوق أن يتصف بها؛ كالكبرياء والعظمة والجبروت والعزة، فيجب على العبد - إزاءها - الإقرار بها والخضوع لها.

وعلى العموم، فإن تحقيق توحيد أسماء اللَّه ﷻ وصفاته والإيمان بها على ما يليق به سبحانه، ومعرفة معانيها وتدبرها والنظر والتأمل في تجلياتها وآثارها والعمل بها - يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تؤثر تأثيرًا إيمانيًّا باهرًا واضحًا في سلوك العبد الإيماني بما يعود عليه بالصلاح والخير والفلاح في دنياه وآخرته.

* * *

تمهيد

إن العلم بأسماء اللّه الحسنى وصفاته العلا أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو اللّه ﷻ بأسمائه وصفاته. فالاشتغال بهذا العلم اشتغال بأعلى المطالب وأجلها، وأشرف العلوم وأفعلها، إن معرفة اللّه ﷻ بأسمائه وصفاته أصل الإيمان، وبها يزيد الإيمان، فالإيمان بأسماء اللّه الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي لبُّ الإيمان وروحه.

فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء اللّه وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه، يقول اللّه تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، **فما المقصود بالحسنى؟**

حسنى: أي بالغة الحسن؛ لأنها تضمنت صفات الكمال المطلق، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا؛ ذلك أنها كلها ثناء ومدح وتمجيد للرب - جل وعلا - فأسماء اللّه ﷻ أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، فهي تحمل الحسن المطلق.

ومن حسنها ودلالتها على صفات الكمال، أنه ليس فيها اسم من الأسماء يحتوي على الشر؛ فليس من أسماء اللّه الحسنى اسم يتضمن الشر، إنما يدخل الشر في مفعولاته لابتلاء العباد واختبارهم: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والكشف عن معادنهم ومكنونات نفوسهم، لتظهر مواقفهم وأعمالهم، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وخلق الخير والشر من حكمة اللّه العليا لتمييز المؤمن من الكافر، والمسلم من المشرك، والصادق من الكاذب، ولإقامة الحجة على العباد بعد منحهم حرية الاختيار.

فاللّه ﷻ له أحسن الأسماء وأكملها، وأتمها معنى، وأبعدها وأنزهها عن شائبة عيب أو نقص. فهو سبحانه العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع الباصر الناظر، وهو البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق، وهو الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، وكذلك سائر أسمائه الحسنى وصفاته العلا[١].

---

(١) ابن القيم: بدائع الفوائد (١/ ١٦٤).

ومن حسنها: ما فيها من معنى التعظيم والإجلال والإكبار للَّه ﷻ. وقد أعد اللَّه ﷻ لمحصيها الأجر والثواب العظيم وهو دخول الجنة؛ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **للَّه تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر** ».

وفي رواية: « ... **من أحصاها دخل الجنة** »[١].

ومن تمام كونها حسنى، الدعاء بها؛ ولذلك قال اللَّه تعالى: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب، بما يناسب ذلك المطلوب.

والحُسن في أسماء اللَّه تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك (العزيز الحكيم)، فإن اللَّه تعالى يجمع بينهما في القرآن الكريم كثيرًا، فيكون كل منهما دالًّا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز، والحُكْم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بحكمته، فعزته تعالى لا تقتضي ظلمًا ولا جورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أَعِزَّاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حُكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنه يعتريهما الذل[٢].

عــود علــى بــدء:

والمراد بالإحصاء في حديث النبي ﷺ: « **من أحصاها دخل الجنة** »:

أولًا: عدها وحفظها.

ثانيًا: معرفتها وفهم معانيها ومدلولاتها.

ثالثًا: معرفة آثارها في الكون والحياة قدر الطاقة.

رابعًا: الدعاء بها، ويتضمن:

أ - تنزيهها ومراعاتها.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢). ومسلم، رقم الحديث (٢٦٧٧).

(٢) زين محمد شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٠).

ب – دعاء طلب ومسألة، فيسأل في كل مطلوب بالاسم المقتضي لذلك المطلوب مثل: يا رحيم ارحمني، يا رزاق ارزقني... وهكذا.

خامسًا: العمل بها وأن يكون للمؤمن حظ منها.

أولًا: عدُّها وحفظها:

قال الخطابي: والمراد بالإحصاء (أي من معاني الإحصاء): العد حتى تستوفى حفظًا[(١)].

وقال ابن القيم: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها ودعاؤه بها[(٢)].

وقال ابن بطال: الإحصاء يقع بالقول، ويقع بالعمل، فالإحصاء القولي يحصل بجمعها وحفظها والقول بها[(٣)].

ثانيًا: معرفتها وفهم معانيها ومدلولاتها:

إن إحصاء أسماء اللّه الحسنى يقتضي فهم معنى كل اسم.

– فمثلًا عندما نقول: إن اللّه تعالى (عليم)، فيثبت المحصي لأسماء اللّه الحسنى هذا الاسم، ومعناه: الذي أحاط علمه بكل شيء، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الواجبات والممتنعات والجائزات، وما في أقطار العالم العلوي والسفلي، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩][(٤)].

– وعندما نقول: اللّه تعالى (سميع)، أي الذي يسمع كل شيء، يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، فهو الذي يسمع دعوات عباده وتضرعهم إليه، لا يشغله نداء عن نداء، ولا يمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء، فسمعه نوعان:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة والخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

---

(١) شأن الدعاء (ص ٢٦).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٦).

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٣/ ٣٩٠).

(٤) محمد بن صالح العثيمين: القواعد المثلى (ص ٨).

والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: « سمع اللّه لمن حمده »، أي استجاب[١].

- وعندما نقول: إن اللّه تعالى (بصير)، معناه الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السموات والأرض، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك تعالى[٢].

على أن فهم ومعرفة معاني أسماء اللّه الحسنى ركن من أركان الإيمان بها؛ إذ لها أثر إيجابي في معاملة اللّه تعالى بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمراقبة والمحبة والتوكل[٣].

ثالثًا: معرفة آثارها في الكون والحياة:

إن أسماء اللّه الحسنى لها آثار في الخلق والأمر، وفي هذا السياق يقول ابن القيم - رحمه اللّه -: « ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى، واستقراء آثارها في الخلق والأمر رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام، ورأى سريان آثارها فيهما، وعلم - بحسب معرفته - ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق، فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله، فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته »[٤]. فانظر مثلًا إلى اسمي (الرحمن الرحيم)، وما يتعلق بهما من آثار.

تأمل ما في الوجود من آثار لرحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل اللّه ﷻ إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وأنقذنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته سخر لنا جميع ما في السموات والأرض[٥].

---

(١) عبد الرحمن السعدي: الحق الواضح المبين (ص د ٣).
(٢) المرجع السابق (ص ٣٦).
(٣) العز بن عبد السلام: شجرة المعارف والأقوال (ص ٧٧).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ١٣٠).
(٥) ابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٣٧).

رابعًا: الدعاء بها:

نخص بالذكر ها هنا دعاء المسألة، وهو سؤال اللَّه تعالى في كل مطلوب ما يناسب هذا المطلوب من أسمائه ﷻ، فيقول الداعي: اللَّهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، اللَّهم تب علي يا تواب، اللَّهم ارزقني يا رزاق، اللَّهم احفظني يا حفيظ، اللَّهم اشفني أنت الشافي، اللَّهم انصرني يا نصير، اللَّهم اعف عني يا عفو... وهكذا.

وجاءت النصوص في القرآن الكريم والسنة الشريفة تعلمنا ذلك، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]، وقال عز من قائل: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

وفي الحديث أن النبي ﷺ أمر عائشة - رضي اللَّه عنها - أن تدعو ربها تحريًا لليلة القدر وتقول: « **اللَّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** »[١].

خامسًا: العمل بها:

ويقتضي أن يتعبد العبد للَّه ﷻ بمقتضى الأسماء، فإذا علم العبد مثلًا بسمع اللَّه تعالى وعلمه وبصره، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي اللَّه تعالى[٢].

وهناك أسماء للَّه ﷻ يحب من عباده أن يتصفوا بموجبها، فهو ﷻ عفو يحب العفو وأهله، جواد كريم يحب الجود والكرم، جميل يحب الجمال، رحيم يحب من عباده الرحماء، رفيق يحب الرفق. وهناك أسماء يختص بها اللَّه ﷻ كالأحد والقدير والجبار والمتكبر، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها.

الإلحاد في الأسماء والصفات:

قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد في اللغة: هو الميل والجور والظلم[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في الدعوات رقم (٣٥٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) ابن القيم: مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠).

(٣) انظر: مادة (لحد) في لسان العرب.

واصطلاحًا: هو العدول بأسماء اللّه الحسنى وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها(١).

والإلحاد في أسماء اللّه ﷻ أنواع:

١ - **أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام**، كما فعل المشركون في اشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز، فسموا بها أصنامهم.

فالأسماء الحسنى مختصة باللّه تعالى، فلا يجوز نقل المعاني الدالة عليها إلى أحد المخلوقين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠](٢). فلما اختُص ﷻ بالعبادة وبالألوهية الحقة، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص باللّه ﷻ ميل بها عما يجب فيها.

كما لا يجوز أن يوصف أحد من الخلق بصفة فيها نوع مشاركة للّه تعالى في أسمائه وصفاته: كملك الملوك، وقاضي القضاة، وحاكم الحكام، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء، وذلك حفظًا للتوحيد وسدًّا للذريعة، حتى لا يُظن مشاركة أحد للّه تعالى في شيء من خصائصه. ولذلك قال الرسول ﷺ: « **أخنع الأسماء عند اللّه يوم القيامة رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا اللّه** »(٣).

٢ - **ومن الإلحاد في أسمائه: تسميته ﷻ بما لم يسم به نفسه**؛ لأن الأسماء توقيفية، فلا يحل لأحد أن يسمي اللّه تعالى بما لم يسم به نفسه؛ لأن هذا من القول على اللّه بغير علم: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ومثال هذا النوع من الإلحاد تسمية الفلاسفة اللّه ﷻ بأنه (العلة الفاعلة)، وتسمية النصارى له سبحانه باسم (الأب)(٤)، وتسمية الماسون للّه ﷻ بـ (المهندس الأعظم)، وقول العامة: (اللّه الفنان)(٥).

- ومن هذا النوع أيضًا تسمية اللّه ﷻ بما لا يليق به كتسميته بالمضل والفاتن والماكر والمستهزئ والكايد، وغير ذلك مما لا يليق به سبحانه ولا يدخل تحت أسمائه الحسنى.

---

(١) ابن القيم: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

(٢) السيد العربي ابن كمال: توحيد الأسماء والصفات، مجلة البيان (عدد ٢٥٢)، (ص ١٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الآداب (رقم ٢١٤٣).

(٤) السيد العربي: توحيد الأسماء والصفات (ص ١٢).

(٥) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ٣٩).

فلا يطلق على اللَّه ﷻ مثل: المكر، والخداع، والانتقام، والاستهزاء، والكيد، وإنما يذكر مقيدًا. فلا يقال: اللَّه مستهزئ على سبيل الإطلاق؛ لأن الاستهزاء في ذاته منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم. فلا يذكر إلا مقيدًا فيقال: اللَّه يستهزئ بمن يستهزئ به. وهذه الأسماء لم يُطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة[١].

٣ - **ومن الإلحاد وصفه ﷻ بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص**؛ كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يده مغلولة، وغير ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته ويتقدس عنه الحق ﷻ[٢].

٤ - **ومن الإلحاد في أسمائه ﷻ: إنكار شيء من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام**، ومثال ذلك من ينكر الأسماء مطلقًا، كما فعل أهل الجاهلية في إنكارهم اسم الرحمن، أو من يثبت الأسماء، ولكن ينكر ما تضمنته من الصفات كما يقول بعض المبتدعة: إن اللَّه رحيم بلا رحمة سميع بلا سمع... تعالى اللَّه ﷻ عما يقولون علوًّا كبيرًا. فتعطيل الأسماء من معانيها وجحد حقائقها من أعظم الإلحاد شرعًا وعقلًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماء وصفات اللَّه ﷻ لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه[٣].

٥ - **ومن الإلحاد في أسمائه تشبيه صفاته بصفات خلقه**، تعالى اللَّه عما يقول المشبهون علوًّا كبيرًا. وهذا الإلحاد في مقابل إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، فتشبيه اللَّه ﷻ بخلقه كفر كونه تكذيبًا لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١][٤].

قال نعيم بن حماد الخزاعي: « **من شبه اللَّه بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به اللَّه نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف اللَّه به نفسه ولا رسوله تشبيه** »[٥].

---

(١) شحاتة (ص ٣٩ - ٤٣).

(٢، ٣) السيد العربي: توحيد الأسماء والصفات (ص ١٢).

(٤) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٠).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٠).

على أن الإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن اللَّه ﷻ توعد الملحدين في أسمائه فقال سبحانه: ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وتجدر الإشارة إلى أن أتباع الرسول ﷺ وورثته القائمين بسنته برَّأهم اللَّه تعالى من الإلحاد وأنواعه، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما جاءت به لفظًا ولا معنًى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات وأمرُّوها كما جاءت، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، فكان إثباتهم للصفات بريئًا من التشبيه، وتنزيههم اللَّه تعالى خليًّا من التعطيل، لا كمن شبَّه حتى كأنه يعبد صنمًا أو عطل كأنه يعبد عدمًا، فهم وسط في النِّحل، كما أن الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم: ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٣٥].

* * *
* *
*

(١)

الله جل جلاله

التعـريـف:

« **اللَّه** » جل وعلا هو الاسم العلم الذي اختص به الحق ﷻ، فهو عَلَم على الذات الإلهية المقدسة التي نؤمن بها، ونعمل ابتغاء مرضاتها، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا[١]. فـ« اللَّه » اسم: « **للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه** »[٢].

وكان البشر على اختلاف ألوانهم، علماؤهم وجهالهم، عربهم وعجمهم، يعلمون أن اللَّه تعالى اسم لرب العالمين، خالق السموات والأرض، الذي يحيي ويميت، وهو رب كل شيء ومليكه[٣].

قال الخطابي: « إن أشهر أسماء الرب - تبارك وتعالى - وأعلاها في الذكر والدعاء « اللَّه »، وكذلك جعله إمام سائر الأسماء، وخصت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة، فصار شعار الإيمان، وهو اسم ممنوع، لم يتسمَّ به أحد، قد قبض اللَّه تعالى عنه الألسن، فلم يُدْعَ به شيء سواه »[٤].

و « **اللَّه** » عَلَم على ذات الحق الجامع لكل صفات الكمال والجلال والجمال، وهو أشهر الأسماء الحسنى، وأعلاها في الذكر والدعاء، ولذلك فهو أعظم أسماء اللَّه ﷻ التسعة والتسعين على الإطلاق؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء. فسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، كما أنها قد يسمى بها غير اللَّه تعالى: كالقادر والعليم والرحيم والجواد والكريم... أما اسم « اللَّه » فلا يطلق على أحد غير اللَّه تعالى لا حقيقة ولا مجازًا[٥].

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥٠).
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٠٢).
(٣) عمر الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢٩).
(٤) شأن الدعاء (ص ٣١).
(٥) الغزالي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء اللّـه الحسنى (ص ٦١).

اسم « اللّـه » في اللغة والاصطلاح:

أصل كلمة « اللّه » في اللغة: الإله، ثم حذفت الهمزة تخفيفًا فاجتمعت لامان، فأدغمت الأولى في الثانية فقيل: « اللّه »(١).

أما في الاصطلاح: فاللّه هو المعبود، والملتجأ، والمفزوع إليه، والمحبوب حبًّا عظيمًا، الذي تحتار العقول فيه، أي في إدراك عظمته ومعرفة قدرته(٢).

وكل هذه المعاني ثابتة في حق اللّه تعالى، فهو المعبود بحق، وهو الذي يلجأ إليه الناس في الكربات والنوائب والشدائد، وتحتار العقول في حكمته وبديع صنعه(٣).

المعبود الحق المستحق للعبادة هو اللّه تعالى:

والدال على ذلك كلمة التوحيد: « لا إله إلا اللّه »، وقد تضمنت الدين الذي جاءت به الرسل كلهم من عند اللّه، وهي أعظم كلمة أنزلت من عند اللّه، وقد تضمنت حقيقة الإيمان الكبرى، وبها أصبح الناس قددًا، مؤمنين وكفارًا، وأخيارًا وأشرارًا، وهي مناط التوحيد، وبها تفرد اللّه ﷻ بالألوهية والعبادة والوحدانية(٤).

وقد أورد الحق ﷻ في آية الكرسي - وهي أعظم القرآن - الصفات والخصائص التي تجعله سبحانه مستحقًّا للعبادة دون سواه؛ فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته، وهو العالم المالك للسموات والأرض الذي لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وهو الخبير المحيط بكل شيء، ولا يحيط الإنس والجن بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض على سعة أقطارها، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم.

خصائص هذا الاسم:

وقد اختص هذا الاسم بخصائص؛ منها:

١ - أنه لا يسمى به أحد غير اللّه تعالى؛ ولذلك لا يجوز إطلاقه على غيره سبحانه، ولذلك قيل: إن هذا الاسم للتعلق لا للتخلق، وما سواه يجوز وصف الإنسان به على سبيل التوسع والتجوز.

---

(١) أبو القاسم الزجاجي: اشتقاق أسماء اللّـه (ص ٢٤).

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق: منهج جديد لدراسة التوحيد (ص ١٥).

(٣) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥٠).

(٤) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣١).

٢ - واختص هذا الاسم كذلك بخاصية شرعية أخرى، وهي أن كلمة الشهادة « لا إله إلا اللّه » التي ينتقل بها الكافر من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى الإسلام لا تحصل إلا به. فلو قال الكافر مثلًا: أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الملك لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام.

٣ - هناك خاصية أخرى أيضًا لهذا الاسم، وهي أن سائر الأسماء إذا دخل عليها النداء أسقطت عنها الألف واللام، ولهذا لا يجوز أن يقال: يا الرحمن، يا العليم، بل يقال: يا رحمن، يا عليم. أما هذا الاسم الأعظم فيحتمل ذلك، فيقال: يا أللّه. وفيه إشارة لطيفة، وهي أن الألف واللام للتعريف، فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذه المعرفة لا تزول عنه ألبتة.

٤ - كما أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء اللّه الحسنى، وسائر الأسماء تضاف إليه. ولأجل هذا الخصوص توصف سائر الأسماء بأنها اسم اللّه ﷻ، وتعرف بالإضافة إليه، فيقال: الصبور والشكور والملك والجبار من أسماء اللّه... فكان أشهر وأظهر، فاستغنى عن التعريف بغيره، وعرف غيره بالإضافة إليه[1].

« اللّـه » هو الاسم الأعظم:

فهذا الاسم، كما يقول القرطبي - رحمه اللّه -: « **أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى** قال بعض العلماء: إنه اسم اللّه الأعظم، ولم يتسمّ به غيره؛ ولذلك لم يُثَنَّ، ولم يجمع، وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] **أي هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو « اللّه »؟** »[2].

وقد دلت النصوص الشرعية على أن « اللّه » هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فقد سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول: اللّهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت اللّه، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: « **والذي نفسي بيده، لقد سأل اللّه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى** »[3].

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٥١). وشحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٠٢).

(٣) سنن الترمذي، الحديث رقم (٢٧٦٣).

وسمع النبي ﷺ آخر يدعو بعد صلاته: اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: « **دعا اللَّه باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى** »(١).

حظ العبد من هذا الاسم:

ولأن اسم « اللَّه » هو الاسم الوحيد الذي ورد في كل الأحاديث التي أخبر النبي ﷺ أن فيها اسم اللَّه الأعظم، ولكثرة وروده في كتاب اللَّه تعالى؛ إذ ورد في كتاب اللَّه (٢٧٢٤) مرة(٢)، ولأنه مستلزم لجميع معاني أسماء اللَّه الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، ولأن اللَّه تعالى تعرف إلى عباده باسمه « اللَّه » كثيرًا، ومن هؤلاء نبيه موسى عليه السلام عندما أوحى إليه وقال له: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه: ١٣، ١٤]؛ ولأجل ذلك ينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم المسألة، أي أن يكون العبد مستغرق القلب والهمة باللَّه عز وجل، لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه.

الإنسان بفطرته يهتدي إلى وجود اللـه:

إن وجود اللَّه عز وجل من البداهات التي يدركها الإنسان ويهتدي إليها بفطرته، فهو ليس من مسائل العلوم المعقدة: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

فاللَّه عز وجل يعرف باللَّه، والأشياء كلها تعرف باللَّه، وتزيد معرفته تعالى بالنظر في مخلوقاته. فالمسلم إذا نظر في مخلوقات اللَّه تعالى وتأمل فيها يرى عجبًا في الآفاق والأنفس، مثل دوران الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم والجبال والبحار، وأصناف لا تحصى من المخلوقات والنباتات، وإذا تفكر في نفسه، رأى الخلايا، وهي تعد بمئات الملايير وتعمل بانتظام، وتقوم بوظائفها على أكمل وجه في بدنه الذي يحوي أجهزة معقدة ومتنوعة الخصائص: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

والقرآن الكريم لفت نظر الإنسان إلى توحيد الدلائل من عدة طرق؛ منها:

١ - **الفطرة**: فالتدين فطرة فُطر الإنسان عليها، لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

والإنسان لديه استعداد فطري ثابت للتدين والاعتراف بالحق؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]. ثم يصور

(١) أبو داود: السنن، رقم الحديث (١٤٩٥).

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

لنا الكتاب العزيز الحالة النفسية للبشر عندما تحيط بهم الخطوب وتشتد بهم الكربات فيعودون في هذه الحالة إلى فطرتهم الأولى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: ٥١][1]. على أن الإيمان بالله ﷻ فطرة فُطر الناس عليها ما دام الإنسان يعيش في بيئة اجتماعية سوية، مستقيمًا في تفكيره، متحررًا من سلطان الوهم والخرافة والهوى.

٢ - العقـل: إن إيقاظ العقل ليتأمل في الكون المحيط إحدى وسائل القرآن الكريم التوجيهية في الدلالة على الله تعالى والتعرف عليه من خلال مخلوقاته، فيرى الإنسان في كيفية الخلق: صفات كمال الله ﷻ، ونعوت جلاله ومظاهر عظمته، ونفوذ قدرته، وتفرده في الخلق والإبداع.

والأمثلة على هذا في القرآن كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقوله جل ذكره: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

والذي ينظر في الكون المحيط يجد كل شيء فيه محكمًا متقنًا مرتبًا، السموات والأرض، والجبال والبحار والإنسان وسائر المخلوقات، كل هذه المخلوقات محكمة متقنة منظمة، فمن الذي أحكم صنعها وأتقنها ونظمها، وهيمن عليها؟ إنه الله ﷻ: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

وفي استعمال العقل بطريقة صحيحة لمعرفة الله ﷻ روي أن أبا حنيفة - رحمه الله - خاصم جماعة من الدهرية فقال لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: إنني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل!! فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها، وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟! فبكوا جميعًا، وقالوا: صدقت، وأغمدوا سيوفهم وتابوا[2].

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥٢، ٥٣).

(٢) شحاتة، أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥٤).

وسألوا (أي الدهرية) الشافعي - رحمه اللَّه -: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: ورقة الفرصاد (التوت الأحمر)؛ طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟ فقالوا: نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم (الحرير)، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، ويأكلها الضباء فيعقد في نوافجها المسك!! فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟ فاستحسنوا منه ذلك، وأسلموا على يديه وهم سبعة عشر(١).

واستدل أحمد بن حنبل - رحمه اللَّه - على وجود اللَّه تعالى بقلعة ملساء لا فرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة، وباطنها كالذهب الإبريز، ثم انشقت الجدران، وخرج من القلعة حيوان سميع بصير!! فلا بد من الفاعل. وقد عنى بالقلعة: البيض، وبالحيوان: الفرخ.

وأما مالك - رحمه اللَّه - فاستدل على ذلك باختلاف الأصوات، وتردد النغمات، وتفاوت اللغات(٢).

٣ - **العلـم**: وأما دليل العلم، ففي كل يوم يكتشف العلماء - بسبب تقدم وسائل التقنية - أسرارًا جديدة تبرهن على وجود اللَّه الحكيم العليم الذي أعطى كل شيء خلقه فهدى، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، فجميع ما في الكون يشهد على وجود اللَّه سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته.

وما يقوم به العلماء من تحليل لظواهر الكون ودراستها لا يتعدى أكثر من ملاحظة عظمة اللَّه تعالى في خلقه؛ إذ يقرون بأن العلوم ما هي إلا دراسة مخلوقات اللَّه وآثار قدرته. بل كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد يقينًا بوجود البارئ ﷻ. وفي هذا العصر الذي بلغ فيه العلم شأنًا بعيدًا في مجال المعرفة، خاصة الجانب المادي منها، نجد كثيرًا من العلماء يزدادون إيمانًا باللَّه ﷻ. وفي هذا السياق حلل دينريت (Denret) الآراء الفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم، فتبين له من دراسة (٢٩٠) عالمًا أن (٢٤٢) منهم أعلنوا إيمانهم الكامل باللَّه تعالى، و (٢٨) لم يصلوا إلى عقيدة، و (٢٠) لم يهتموا بالتفكير الديني(٣).

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٥٤).
(٢) المرجع السابق (٥٥).
(٣) السيد سابق: العقائد الإسلامية (ص ٤٩).

ويقول الدكتور وتز الكيماوي الفرنسي: إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي باللَّه قد تزعزعت وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبتها[١].

وهكذا فإن الإنسان حين يبحر عن طريق العلم في محيطات المعرفة المختلفة، ويتأمل في مخلوقات اللَّه ﷻ، ويفكر في كيفية إبداعها، فإنه يهتدي إلى معرفة اللَّه تعالى، فتزداد محبته للَّه ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فيعتز به سبحانه، ولا يعتز بسواه، فكل ما حوله مخلوقات مثله، سخرها الخالق الرزاق المدبر له، وجعله بما منحه من قدرات عقلية وإمكانيات علمية أهلًا للتكليف والوعي بما يجري حوله والفهم لمراد اللَّه تعالى، وإدراك القصد والغاية من الحياة، وهي عبادة اللَّه وطاعته؛ لأن المستحق للعبادة وحده هو اللَّه جل وعلا، فهو الذي خلقنا ورزقنا وأفاض علينا من كل النعم: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]، فوجودنا ودوام هذا الوجود وكماله من اللَّه ﷻ، فلا يتصور أن يحب العبد نفسه ويحب نعم الدنيا، ولا يحب ربه الذي به قوام هذه النفس، وهو مصدر هذه النعم التي لا تنقطع ليل نهار!! الحمد للَّه رب العالمين.

* * *

---

(١) السيد سابق: العقائد الإسلامية (ص ٤٩).

(٢)

الــرب

من أسماء اللّه الحسنى التي يدعى بها ربنا جل وعلا، ويمجد بها، ويقدس بها اسم « الرب »، ويأتي هذا الاسم في الكتاب العزيز غير مضاف، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود: ٤٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ١٠١]. كما يأتي مضافًا، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقال جل ذكره: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٢]. وقد ورد هذا الاسم في أكثر من (٩٠٠) موضع من كتاب اللّه تعالى[١].

معنى « الـرب »:

قال الزجاجي: « الرب: المصلح للشيء، يقال: رببت الشيء أَرُبُّهُ ربًّا وربابة: إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء: مالكه... ومصدر الرب الربوبية، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، يقال: هذا رب الدار ورب الضيعة، ولا يقال: الرب معرفًا بالألف واللام مطلقًا إلا للّه ﷻ؛ لأنه مالك كل شيء »[٢].

وقال ابن الأثير: « يطلق الرب في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيِّم والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على اللّه تعالى. وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا »[٣].

وقال الطبري: « وقد ينصرف أيضًا معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربنا - جل ثناؤه - السيدُ الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح في أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر »[٤].

وقال ابن العربي: « الرب: الذي ينقل الأشياء من حال إلى حال، ويبدلهم بصفة بعد صفة في طريق النمو والإنشاء »[٥].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٢) اشتقاق أسماء اللّه (ص ٣٣).

(٣) النهاية (٢/ ١٧٩).

(٤) جامع البيان (١/ ٤٨).

(٥) أحكام القرآن (٢/ ٨٠٢).

وقال الراغب: و « الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام... »[١].

وقال ابن منظور: « والرب هو اللّه ﷻ، وهو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية في جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك »[٢].

وقال الحليمي: « الرب هو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذي قدره له، وهو يسل النطفة من الصلب ثم يجعلها علقة، ثم العلقة مضغة، ثم يخلق المضغة عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم يخلق في البدن الروح، ويخرجه خلقًا آخر وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه وينشيه حتى يجعله رجلًا، ويكون في بدء أمره شابًّا، ثم يجعله كهلًا ثم شيخًا. وهكذا كل شيء خلقه فهو القائم عليه والمبلغ إياه الحد الذي وضعه له، وجعله نهاية ومقدارًا له »[٣].

في ضوء هذه التعريفات، تبين لنا أن الرب هو مالك العباد وسيدهم ومصلح شؤونهم، والمتكفل بمصالحهم، والمنعم عليهم بأصناف النعم.

على أن اللّه تعالى هو رب العالمين، والعالمون جمع عالم، وكل جنس في الكون عالم؛ كالملائكة، والإنس، والجن، والحيوان، والنبات، والجماد. فاللّه ﷻ هو رب العوالم كلها، كما قال في فاتحة الكتاب: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢][٤].

آثار الربوبية في الخلق:

إن آثار الربوبية في الخلق لا تدخل تحت حصر، وعلى سبيل المثال فلينظر الإنسان إلى طعامه بل وطعام كل المخلوقات، كيف ينبت النبات؟! وكيف يصنع طعام سائر المخلوقات؟! كيف يساق الطعام إليها وكيف تنمو به وتسعى وتتحرك؟! إنه لا أحد يفعل ذلك غير الرب جل علاه[٥].

والإنسان أرقى مخلوق يحظى بالرعاية الربانية أكثر من غيره؛ إذ فضله اللّه ﷻ على

(١) المفردات (ص ١٨٤).

(٢) لسان العرب (١/ ١٠٩٨).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٥). والبيهقي: الأسماء والصفات (ص ١٢٣).

(٤) الأشقر: أسماء اللّه الحسنى (ص ٤٢).

(٥) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ٤٣٢).

سائر خلقه، وسخر له جميع المخلوقات لتكون في خدمته، فلننظر إلى جسمه كيف ينمو ويتربى ويستفيد من الغذاء؟!

يقول فنيلون: « أي الأشياء أعجب وأجمل من مكينة تعمر وترمم نفسها بنفسها بلا انقطاع؛ فالإنسان يضعف بالعمل والكد، ولكنه على قدر ما يشتغل يحس بضرورة تعويض قواه المفقودة بالأكل الغزير، فالأكل يرد إليه كل يوم ما فقده بالشغل، فإنه يدخل إلى بطنه شيئًا غريبًا عن جسمه، فلا يلبث أن يستحيل إلى جسمه؛ لأنه ينسحق أولًا، ثم يستحيل إلى سائل، ثم يتصفى حتى يصير كأنه مر من منخل ليترك عنه الأشياء الغليظة، ثم يصعد إلى مركز العقل (القلب) وهناك يرق ويصير دمًا، ومنه يسيل ويسري إلى الأعضاء ويسقيها بواسطة فروع لا عداد لها، فيصفى منها ويصير كمًّا، وكل هذه الأغذية المختلفة في الهيئة والتركيب ليست إلا كمًّا للإنسان »[1].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه سبحانه هو الرب على الحقيقة، فلا رب سواه، وهو رب الأرباب، ومالك الملك، وملك الملوك سبحانه وتعالى[2].

٢ - أن اللَّه تعالى هو خالق كل شيء، وهو رازقه، ولا يصلح إلا بتدبيره، ولا يقوم إلا بأمره، ولا يربه سواه[3].

٣ - من عرف ذلك لم يطلب غير اللَّه تعالى له ربًّا وإلهًا، بل رضي به تعالى ربًّا. ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **ذاق طعم الإيمان من رضي باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا** »[4].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يحسن إلى غيره كما أحسن اللَّه تعالى إليه، فيربي من تحت يده، ويقوم بأمره ومصالحه ويرقيه شيئًا فشيئًا، وطورًا فطورًا، ويحفظه ما استطاع جهده، كما حفظه اللَّه تعالى.

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٣٤).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٨٦)، (نقلًا عن الكتاب الأسنى للقرطبي).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٨٧). والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ٦٢).

كذلك، إذا كان معلمًا ينبغي أن يتدرج مع من يعلمه، فيبدأ معه بالمسائل الصغار قبل الكبار، وينتقل شيئًا فشيئًا من البسيط إلى المعقد، ومن الأحادي إلى المركب، ومن السهل إلى الصعب، وهكذا.

* * *

(٣، ٤)

الرحمن، الرحيم

« **الرحمن الرحيم** » اسمان من أسماء اللّه تعالى ورد ذكرهما في القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقد ورد اسم « الرحمن » في كتاب اللّه (٥٧ مرة)، أما اسم « الرحيم » فقد ذكر (١١٤ مرة)[١].

وهذان الاسمان مشتقان من الرحمة، أحدهما أرق من الآخر كما يقول ابن عباس - رضي اللّه عنهما -[٢]. كما أنهما صفتان من صفات اللّه ﷻ، يثنى عليه بهما، ويمجد ويعظم بهما؛ وفي هذا السياق أخبرنا رسول اللّه ﷺ: « **أن العبد إذا قال:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] **قال اللّه تعالى: حمدني عبدي، فإذا قال:** ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] **قال اللّه تعالى: أثنى علي عبدي** »[٣].

مواقع رحمة اللّه:

والرحمة من جهة: عامة وتامة:

فأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمت الدنيا والآخرة.

وأما تمامها، فمن حيث إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم وقضاء حاجات المحتاجين[٤].

ومن جهة ثانية: فهي عامة وخاصة:

عامة في الدنيا تنال الطائع والعاصي، والمؤمن والكافر: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وخاصة، أي خالصة للمؤمنين يوم القيامة من دون الناس: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٣٩٥).

(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٢).

على أن رحمة اللَّه ﷻ في الآخرة أوسع من رحمته في الدنيا بكثير، لقول النبي ﷺ: « **خلق اللَّه مائة رحمة، فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند اللَّه تسعة وتسعون رحمة** »[١]، ولقوله ﷺ: « **لو يعلم المؤمن ما عند اللَّه من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند اللَّه من الرحمة ما قنط من الجنة أحد** »[٢].

اللـه ذو الرحمة وهو أرحم الراحمين:

لقد أخبرنا اللَّه ﷻ أنه ذو الرحمة، فكان صاحب الرحمة الحقيقية العظيمة الواسعة كما قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال جل ثناؤه: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وقال جل ذكره: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨].

ولأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الموجودات والخلائق، فقد ذكر الاستواء باسم الرحمن في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ليعم جميع خلقه برحمته؛ لأن العرش محيط بجميع المخلوقات، قد وسعها كلها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، فاستوى سبحانه كما يليق بجلاله على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات وهي الرحمة، فلذلك وسعت رحمته كل شيء[٣].

على أن رحمة اللَّه تعالى ليست كرحمة المخلوقين؛ إذ إن الاتفاق في الاسم لا يقتضي الاتفاق في المسمى، فللخالق صفات تليق به، وللمخلوقين صفات تليق بهم، وتختص بهم. وإذا كانت الرحمة في أصل مادتها تعني رقة القلب على المرحوم، فذلك جائز في حق العباد، ولكنه محال في حق اللَّه تعالى؛ لأنه - جل وعلا - لا يشبه الحوادث، فهو ﷻ ذو رحمة على ما يليق بجلاله كسائر الصفات[٤].

كما أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه خير الراحمين وأن عباده الصالحين كانوا يدعونه بهذا الاسم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١] وفي قوله جل ذكره: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، وفي قوله عز من قائل: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، برقم (٣٧٩٠).
(٢) المصدر السابق، برقم (٣٧٩١).
(٣) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٣٣).
(٤) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ٤٤٥).

آثار رحمة اللَّـه في الخلق:

تجدر الإشارة إلى أن رحمة اللَّه لا حدود لها، وكل صور الرحمة التي نشاهدها في الكون من حولنا إنما هي جزء من مائة جزء خلقها اللَّه ﷻ، فبحار الرحمة الإلهية بلا شاطئ ولا حدود، ولا تقاس برحمة البشر؛ فرحمة الإنسان نسبية وسجينة في حدود طاقته المحدودة، ومقيدة على قدر عطائه المحدود النافد، ولا تسع إلا ما يسعه عقله ووجدانه. أما الخالق ﷻ فرحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم بعباده من الأم بولدها، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم(١).

ولأجل ذلك تُرى آثار هذه الرحمة تتجلى في كل شيء، في إنعامه وإفضاله وإحسانه على مخلوقاته:

فمن آثار رحمته بخلقه إيجادهم من عدم أولًا، ثم هدايتهم ثانيًا، ثم إسعادهم ثالثًا.

فمن مظاهر هذه الرحمة إرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية البشر، ونقلهم من الجهالة إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشد. فالرسل رحمة من عند اللَّه ﷻ؛ قال تعالى عن النبي ﷺ الرحمة المهداة للثقلين إنسهم وجنهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم: ٢١]. وقال تعالى عن كتبه: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن رحمته بعباده إعداد هذا الكوكب الأرضي لسكنى البشر؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٨]؛ فقد خلق ﷻ الأرض في مكان مناسب لسكنى البشر، ولفها بغلاف مائي يغطي حوالي أربعة أخماسها، وغلاف هوائي يعلوها بسمك (١٠٠٠) كيلو متر، يحفظ الناس من الأشعة القاتلة التي تأتي من أرجاء الكون: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وألقى في الأرض رواسي حتى لا تميد بالبشر، ليستقروا على متنها وتنتظم حياتهم: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وآثار رحمة اللَّه تعالى ليست مقصورة على إعداد الأرض للإنسان فحسب، بل كل عضو في بدنه ينطق برحمة ربه، فالجهاز الهضمي مثلًا يحول ما يأكله الإنسان من مواد

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٤).

معقدة صلبة إلى مواد ذائبة قابلة للامتصاص، معجزة ورحمة من الخالق الرحمن الرحيم سبحانه[١].

وليتأمل الإنسان هذا التنوع في صنوف الغذاء، مع أن الأصل واحد؛ إذ عناصر الغذاء هي عناصر القشرة الأرضية، ولكن برحمة اللَّه تعالى تخرج لنا الأرض أشكالًا شتى وصنوفًا متعددة من الثمار والطعام، فهذا حلو وذاك لاذع، وذلك حار، ومن كل صنف عدة أنواع، وهناك تنوع في الأشكال والألوان والروائح حتى يقبل الإنسان على طعامه بنفسٍ تواقة ورغبةٍ جياشة[٢].

ومن أعظم آثار رحمة اللَّه: الجنة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧]. وقد أعد اللَّه ﷻ فيها لعباده المؤمنين من أسباب السعادة ووسائل التنعم ما لا يخطُر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وأعظم من كل هذا النعيم النظر إلى وجهه الكريم في جنات عدن: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ورضوان من اللَّه أكبر؛ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **إن اللَّه ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا** »[٣].

هذا غيض من فيض، ولو ذهبنا نستقصي آثار رحمة اللَّه تعالى بالإنسان ما وسع ذلك مجلدات.

ولا تقتصر آثار رحمة اللَّه ﷻ على الإنسان وحده، وإنما تبدو آثارها في كثير من أجناس الحياة من غير الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٤٩٩). (٢) المرجع السابق (ص ٤٥٠).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٢٩).

ومن آثار رحمة اللَّه في عالم الحيوان ما حدَّث به الصادق المصدوق ﷺ: « **إن للَّه مائة رحمة منها رحمة واحدة بين الجن والإنس، والبهائم، والهوام، بها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها** »، وفي رواية: « **حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وأخَّر اللَّه تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة** »(١).

- **وأمثلة ذلك في الواقع المعاش كثيرة، نذكر منها:**

- القردة التي ترعى أولادها الصغار، فترضع صغيرها وتحمله على كتفها وتحميه وتدافع عنه، وتصيح وتتألم إذا اعتل أو جرح أحد صغارها.

- تنتف الأرانب شعر بطنها لتجعله فراشًا لأولادها، وبعض الحيوانات أكثر منها شفقة ورحمة تنتف شعرها كله ولا تكتفي بجزء منه.

- يصعد القنفذ إلى العنب، فيرمي بالعنقود، ثم ينزل فيأكل منه ما يكفيه، وإن كان له أولاد تمرغ على الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده.

- وفي عالم الطيور تحتضن الأم البيض؛ لأنه يحتاج إلى حرارة ودفء حتى يفقس، ولا تتركه إلا إذا اشتد الجوع بها، ولكنها تعود إليه مسرعة. وتقوم الإناث بتغذية الصغار بأكل مهضوم كما في الحمام، إذ يفرز جدار الحويصلة سائلًا خاصًّا يسمى بالعصير الحويصلي تأخذه الصغار مع الغذاء المحفوظ في الحويصلة، وتقوم الأم بإعطاء الصغار البذور تدريجيًّا حتى يتم اكتمال ما في جهازها الهضمي.

- بعض أنواع الذباب يحفر لبيضه جُحرًا في الأرض يضعه فيه، ثم يذهب إلى عنكبوت أو دودة يمج فيها جزءًا من السم فتسكن حركتها، ثم يحملها إلى جحره ويلقيها عند البيض ويسد عليها، فإذا خرجت الأولاد من البيض وجدتها بجانبها فتغذت بها. وسبب ذلك أن هذه الحشرات لا تأكل ميتة قط، وأمها لا ترعى أولادها قط فتحضر لها هذه الحشرات التي خدرتها بسمها، حتى إذا خرجت من البيض أكلتها(٢).

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - إثبات صفة الرحمة للَّه رب العالمين كما يليق بجلاله.

٢ - ظهور آثار رحمة اللَّه سبحانه على المخلوقات جميعًا كما مر بنا سابقًا.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب (٧/ ٧٥).

(٢) حسن أيوب: مع اللَّـه في أسمائه وصفاته (ص ٥٨).

٣ – سعة رحمة اللَّه تعالى[١].

٤ – اللَّه تعالى أرحم بعباده من الأم بولدها كما جاء في الحديث الصحيح[٢].

كيف ينال العبد رحمة ربه؟ وما حظه من هذا الاسم؟

إن الطريق الذي تُنال به رحمة اللَّه تعالى هو اتباع القرآن، والعمل به، والاستماع لتلاوته كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. ومن ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة النبي ﷺ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]. كذلك مما تنال به رحمة اللَّه تعالى الاستغفار والإحسان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: ٤٦]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦][٣].

كما أن الرحمة من الأخلاق العظيمة التي حث اللَّه تعالى عباده على التخلق بها؛ حيث مدح بها أشرف رسله فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

على أن العبد الموفق هو الذي يسعى ليكون له حظ من الرحمة، فيرحم عباد اللَّه الغافلين، فيدعوهم إلى اللَّه ﷻ ويصرفهم عن طريق الغفلة بالوعظ والنصح، بطريق اللطف والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، دون استعمال العنف واللجاج وغيرها من الوسائل التي تنفر الناس من الدين. وذلك ممكن حين ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء، وأن يرى كل معصية تجري في عالم الناس كمصيبة له في نفسه، فلا يألو جهدًا في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي أن يتعرض لسخط اللَّه ويستحق البعد من جواره[٤].

أما حظه من اسم « الرحيم » أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيرًا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره: إما بماله، أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره. فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن بسبب حاجته رقة وعطفًا عليه، حتى كأنه مشارك في ضره وحاجته[٥].

---

(١) النجدي: النهج الأسمى في شرح أسماء اللَّـه الحسنى (١/ ٦٠ – ٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٣٨).

(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٤) بتصرف.

(٥) المصدر السابق (ص ٦٤).

(٥)

المَـلِك

ورد « الملك » في القرآن خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤].

اللَّـه هو المالك المتصرف في كل شيء:

الملك: هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود[١]. فاللَّه ﷻ هو مالك كل شيء، يملك ما في السموات والأرض وما بينهما: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧]. وهو رب الناس الذي يملك الإحياء والإماتة والرزق والتدبير: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١، ٢].

إذًا، فاللَّه تعالى هو مليك الخلق، ربهم ومالكهم، له ملكوت كل شيء، والقدرة على كل شيء[٢]. وهو المتصرف في جميع مخلوقاته كما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، كما قال - تبارك وتعالى -: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وتجدر الإشارة إلى أن الثابت للَّه تعالى من معاني الملك غير الثابت للبشر؛ فالبشر عندما يملك ويسمى مالِكًا، إنما هو مستخلف ومبتلى، وملكه طارئ يزول ولا يدوم؛ إذ سيترك هذا الملك إن عاجلًا أو آجلًا. أما الحق سبحانه فهو صاحب الملك الدائم في الدنيا والآخرة. كما أن ملوك الدنيا إذا أعطوا انتقص ملكهم بالعطاء، أما الحق سبحانه فخزائنه لا تغيض ولا تنفد، وهو سبحانه الذي يعطي الملك لهؤلاء الملوك، فكل تمليك إنما هو هبة منه سبحانه وتعالى[٣].

اختصاصه سبحانه بالملك يوم القيامة:

خص اللَّه - تبارك وتعالى - نفسه بأنه ملك يوم الدين، كما ورد في سورة الفاتحة:

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٦).

(٢) ابن منظور: لسان العرب (٥/ ٥٢٨).

(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٠٩).

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣]، **وذلك لأمرين اثنين:**

الأول: أن اللَّه يبدل في ذلك اليوم الأرض غير الأرض والسموات غير السموات، كما قال اللَّه ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. وفي هذا تنبيه للعباد على أن الأرض والسموات له، فهو سبحانه مالكهما.

الثاني: أن البشر لهم شبهة ملك في الحياة الدنيا، فهم يملكون الضياع والقصور والبساتين والذهب والفضة، ولكنهم بين خيارين: إما أن يزول عنهم ما يملكونه في الدنيا، وإما أن يزولوا عنه ويخلفوه وراءهم، فهو ملك زائل وعارية مسترجعة. ولكنهم في يوم الدين يوم الحساب والجزاء لا يملكون شيئًا، فالناس في ذلك اليوم يحشرون حفاة عراة غرلًا بهمًا، والملك يومئذ للَّه ﷻ: ﴿ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢٦](١).

وعندما تفنى الخلائق عند قيام الساعة، ولا يبقى أحد على الإطلاق من الإنس والجن والملائكة، ينادي الرب سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [غافر: ١٦] فلا يجيبه أحد، فيجيب الحق نفسه: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦].

الملك الحق هو الذي يستغني عن كل أحد:

كل شيء من حولنا يشعرنا بأنه لا مَلك إلا اللَّه ﷻ، فهو الملك الحق، وما عداه من المخلوقات مفتقرة محتاجة إلى غيرها، فالجماد فقير محتاج، والنبات كذلك، والحيوان، والإنسان. فالإنسان - وهو سيد الكائنات - يجوع فيطلب الطعام، ويمرض فيسعى في طلب الدواء. والفقير إلى الطعام والماء والدواء لا يصح أن يكون ملكًا؛ لأن الملك الحق هو الذي يستغني عن كل أحد، أي لا يحتاج إلى أحد، وهذا لا يكون إلا للَّه ﷻ، فهو الملك الحق(٢).

ثم إن اللَّه ﷻ خلق لكل شيء آفة من جنسه ليثبت بذلك عجزه، ولتتفكر العقول في أن كل ما هو سوى اللَّه تعالى عاجز ضعيف، كما قال الشاعر:

لكل شيء آفة من جنسه ... حتى الحديد سطا عليه المبرد

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٤٧).
(٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢١٠).

فنرى النبات تفتك به الأمراض وتأكله الحيوانات، والحيوانات بدورها تفتك بها الميكروبات والفيروسات، والإنسان يقعده المرض وتجري عليه السنون فيصيبه الهرم والضعف، وتنتهي حياته بالموت(١).

ولأجل ذلك، فإن المؤمن الحق لا ينسب شيئًا في هذا الكون إلا للَّه ﷻ مالك الملك، فهو مليك كل شيء، والمليك أبلغ من المالك؛ لأن المالك والمليك كالناصر والنصير، والعالم والعليم؛ ولذلك كان رسول اللَّه ﷺ يداوم على الذكر صباحًا ومساءً: « **أصبحنا وأصبح الملك للَّه، والحمد للَّه، لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**... » (إلى آخر الحديث)، والمساء مثله مع قوله: « **أمسينا وأمسى الملك للَّه** »(٢).

من آثـــار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن المُلك الحقيقي للَّه وحده لا يشركه فيه أحد.

٢ - كل مَن مَلك شيئًا فهو بتمليك اللَّه تعالى له، لقول النبي ﷺ: « **لا مُلك إلا للَّه** »(٣).

٣ - إذا كان الملك المطلق للَّه - تبارك وتعالى - فالطاعة المطلقة تجب له؛ لأن من سواه من ملوك الأرض إنما هم عبيد له وتحت إمرته.

٤ - اللَّه سبحانه هو وحده مالك يوم الدين حين يجمع الأولين والآخرين على صعيد واحد للحساب(٤).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

على أن حظ المؤمن من هذا الاسم ألا يتضرع إلا للَّه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرفع حاجته إلا إليه بالسؤال والدعاء والاستعانة؛ لأن كل من في الأرض وما يملكونه ملك للَّه تعالى. كذلك ينبغي أن يطمئن قلبه إلى ربه؛ لأنه سبحانه بيده ملكوت كل شيء، ويملك خزائن كل شيء، فلا يسأل عند الحاجة إلا هو.

وإذا كان اللَّه هو الملك، وهو ملك الملوك، فلا ينبغي الاحتكام إلا إليه، فهو سبحانه الملك الحقيقي، وهو الحاكم الحق. فالحكم للَّه وحده، وهو شعار المؤمنين، ولا يجوز

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢١٠). (٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٣).

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، رقم الحديث (٢١٤٣).

(٤) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٧٣ - ٧٧).

أن يحتكموا إلى شرع غير شرع اللَّه. فالاحتكام إلى القوانين الوضعية وترك الشريعة الغراء مناقض للإيمان والاستسلام والخضوع للَّه ﷻ. وما أصاب المسلمين في هذا العصر من ذل وهوان وظلم وغلاء وتضخم، وتسليط بعضهم على بعض ومحق للبركة - يعود إلى ترك التحاكم لشريعة الملك ﷻ، واللجوء إلى قوانين بشرية قائمة على الهوى والتخرص والحيف؛ لأن النخب الحاكمة تضع القوانين على مقاسها، وتستفرد بالامتيازات واستصفاء الأموال واستعباد الشعوب.

وجاء في الحديث الصحيح: « **أخنى الأسماء يوم القيامة عند اللَّه رجل تسمى ملك الأملاك** »[1]، فحق لمن علم أن اللَّه تعالى هو الملك على الحقيقة أن يتواضع لعظمة اللَّه وملكوته سبحانه؛ ولذا فإن اللَّه يبغض من تسمى ملك الملوك أو حاكم الحكام، أو سلطان السلاطين. فإن الذي يستحق الطاعة والتعظيم هو اللَّه وحده خالق العباد وربهم وإلههم: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، كما أن التشريع والتحليل والتحريم من خصائص رب العالمين.

* * *

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٠٥، ٦٢٠٦).

(٦، ٧)

السبوح، القدوس

معنى « السبوح القدوس »:

ورد اسم السبوح في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن الرسول ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: « **سبوح قدوس رب الملائكة والروح** »[١].

وورد اسم القدوس في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

والسبوح: هو المنزه عن كل سوء ونقص، المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية[٢]. **والقدوس**: هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضي به تفكير[٣].

القدوس: هو المنزه عن أوصاف الخلق، بل القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه أكثر الخلق كمالًا في حقه؛ لأن الخلق أولًا نظروا إلى أنفسهم وعرفوا صفاتهم، وأدركوا انقسامها إلى ما هو كمال، مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وإرادتهم واختيارهم، ووضعوا هذه الألفاظ إزاء هذه المعاني وقالوا: إن هذه هي أسماء الكمال، ونظروا إلى ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ. ثم كان غايتهم في الثناء على الله تعالى ووصفه أن وصفوه بما هو أوصاف كمالهم من: علم وقدرة وسمع وبصر وكلام، وأن نفوا عنه ما هو أوصاف نقصهم. والله ﷻ منزه عن أوصاف كمالهم كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم، بل كل صفة تتصور للمخلوق، فهو منزه ومقدس عنها وعما يشبهها ويماثلها[٤].

وهكذا فالقدوس هو المنزه عن كل صفة تنطبق على الخلق. على أن أعظم أوصاف الكمال الإنساني تعتبر في حق الله - تبارك وتعالى - إساءة أدب، لأنه أعظم منها بغير حدود.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٤٨٧).

(٢) شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ١١٣).

(٣، ٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٨).

التنزيه ركن من أركان العقيدة:

من التنبيه بمكان أن تقديس اللَّه ﷻ وتنزيهه عن كل نقص ركن من أركان عقيدة المسلم ويقتضي هذا التقديس:

١ - وصف اللَّه تعالى بكل كمال مع الإجلال والتعظيم، فليس له مثيل أو شبيه أو كفؤ أو سمي أو ندٌّ أو مضاد، وله من الصفات أكملها وأعظمها وأوسعها. فذات اللَّه ﷻ منزهة عن كل نقص موصوفة بكل كمال. وليس التنزيه تعطيلًا لصفات اللَّه، ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظن أهل البدع من المعتزلة والجهمية، وإنما هو تنزيه عن مشابهة الخلق، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. فتنزيه أهل السُّنة ليس فيه تعطيل، وإثباتهم ليس فيه تشبيه.

٢ - حتى يتحقق هذا التنزيه لا بد للعبد أن يطهر قلبه من أدران الشرك والشبهات؛ لأن التنزيه لُبُّ التوحيد، والشرك عدو التنزيه، وهما لا يلتقيان في قلب مؤمن.

فالمؤمن ينزه اللَّه ﷻ بالبعد عن شرك النسك كالذبح لغير اللَّه، والنذر لغير اللَّه، والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة بغيره سبحانه. كما أن المؤمن يبتعد عن سوء الظن بربه سبحانه؛ لأن اللَّه تعالى منزه عن ذلك. وقد فضح اللَّه ﷻ أقوامًا من المنافقين ساورهم هذا الظن: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقد فسر سوء الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل. وفي هذا إنكار لحكمة اللَّه وقدره وقضائه النافذ.

وكثير من الناس لا يستقيم له الإيمان بالقدر خيره وشره، فيسيء الظن فيما يصيبه من مصائب وأحداث تحدث على غير ما يحب ويتمنى، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف اللَّه ﷻ، وعرف أسماءه وصفاته ومقتضى حكمته وقدسيته.

٣ - تقديسه وتسبيحه سبحانه عما ينسبه إليه المشركون من صفات النقص؛ كدعوى من نسب إليه الولد والبنات والشريك، ودعوى من نسب إليه التعب بعد خلقه السموات والأرض، أو عما نسبوه إليه من الفقر، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بجلال اللَّه ﷻ، كما قال - جل ذكره - في محكم التنزيل: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

الكون مَعْبد؛ كل ما ومن فيه يقدس اللّـه:

إن الكون وجميع ما فيه من كائنات ومخلوقات - لا يحصيها إلا اللّه ﷻ - قد أسلم للّه، إلا كفرة الجن والإنس. ولذلك فما من شيء فيه إلا وهو يسبح لخالقه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولكن أحق المخلوقات بالتسبيح هم بنو آدم؛ لأن اللّه تعالى فطرهم على عبادته وتقديسه ومعرفته، وسخر لهم ما في الكون جميعًا، وكرمهم في البر والبحر وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلًا. كما أمدهم بالعقل والسمع والبصر لينظروا في هذا الكون الفسيح نظر متفكر معتبر، فيبصرون ما فيه من دلائل تدل على ربوبيته ووحدانيته، فتنطلق ألسنتهم بالتسبيح، وتمتلئ قلوبهم بالتقديس والإجلال للّه الواحد الأحد، الفرد الصمد.

اللّـه تعالى منزه عن النقص في صنعته:

كل إنسان ينظر بعين البصيرة إلى الكون المحيط بنا يرى دقة الصنع وإتقانه، فليس في هذا الكون عيب أو نقص أو قصور، وإنما كل شيء صنع بدقة وإحكام: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ [الملك: ٣، ٤].

فإذا ما رفع الإنسان بصره إلى أعلى رأى كُرة متأججة وهي الشمس، وهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، وتبعد منا بحوالي (١٥٥) مليون كيلو متر، فما هي خصائص هذا النجم المفيد والضروري للحياة على سطح كوكبنا؟

إنها مصدر نورنا ونارنا وطاقتنا، وهي محور نظامنا السياري، ومصدر الحياة لكل الكائنات على وجه الأرض؛ فهي التي تبخر مياه البحر، وترفعها غيومًا في الجو، وتنزلها أمطارًا على الأرض بإذن اللّه؛ حيث تجري جداول وأنهارًا تروي زروعنا وتنمي غرسنا، وتثير الرياح، وتهيج الأنوار، فتطهر الهواء وتنقيه، وتزجي السفن والمراكب في عباب المحيط، وبحرارتها تجر المركبات، وتدار الآلات البخارية؛ فما الفحم الحجري إلا حرارة نورها المدخرة منذ قديم الزمان لينتفع بها البشر المعاصرون، وبطاقتها التي تتحول إلى كهرباء استفاد الناس منها لتشغيل كثير من الأدوات والآلات المنزلية التي ساهمت في

رفاهية الإنسان المعاصر. فلا حياة على وجه الأرض بدون هذه الشمس المسخرة[١].

وكذلك دورة الأوكسجين والكربون بين المخلوقات والنباتات معجزة من صنع الخالق ﷻ، فنسبة كل منهما لا تتغير أبدًا؛ لأن اللَّه ﷻ قد جعل غذاء النباتات من حمض الكربون، فهي تمتصه من الهواء أو من المطر أو من التربة بأوراقها وجذورها لتكوِّن منه خلاياها وأنسجتها ثم تنفثه كالزفير، وقد أحالته قدرة اللَّه العظيمة إلى أوكسجين جديد الصنع ليستنشقه الحيوان والإنسان بالتنفس، ثم يحيلانه بقدرة اللَّه العظيمة إلى حمض (كربون) فتمتصه أيضًا النباتات منه، وتنفثه أوكسجينًا فيستنشقه الحيوان والإنسان، وهكذا الأمر دواليك حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها[٢].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه - تبارك وتعالى - منزه عن كل عيب ونقص وسوء، فله الكمال المطلق ﷻ.

٢ - أن اللَّه - جل شأنه - يسبحه من في السموات ومن في الأرض، بمختلف اللغات وأنواع الأصوات، قال سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٣ - هو سبحانه الممدوح بالفضائل والمحاسن؛ فكما أنه منزه عن النقائص في صفاته وأسمائه الحسنى، فهو أيضًا منزه عن النقص في أقواله وأفعاله[٣].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

إن حظ العبد المؤمن أن ينزه إرادته وعلمه. أما علمه فينزهه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات، وكل ما يشاركه فيه البهائم من الإدراكات. وأما إرادته فينزهها عن أن تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع إلى لذة الشهوة والغضب، ومتعة المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمنظر، بل يرفع رأسه إلى ما يصل إليه من اللذات بواسطة الحس والقلب، بل لا يريد إلا اللَّه ﷻ، ولا يبقى له حظ إلا فيه، ولا يكون له شوق إلا إلى لقائه ولا فرح إلا بالقرب منه. ولو عرضت عليه الجنة وما فيها

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١١٤، ١١٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١١٥).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٨٢).

من النعيم لم تلتفت همته إليها ولم يقنع من الدار إلا برب الدار[١].

كذلك حظ العبد من هذا الاسم (القدوس) أن يقدس نفسه بتقديس ربه - تبارك وتعالى - فالعبد الذي يؤمن بالله ويوحده ويسبحه ويقرأ كتابه، يقدس نفسه من الشرك والكفر والذنوب والمعاصي، ويزيل بذلك ما يعلق بالقلوب من الران حتى يطبع عليها. على أن المؤمن بتقديسه ربه يجد للإيمان حلاوة في قلبه، ونورًا في صدره، فيحيا حياة مطمئنة سعيدة[٢].

كذلك حظه من هذا الاسم (السبوح) أن يكثر من التسبيح، في كل أحواله، قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، في حضره وسفره، في خلطته وعزلته، في رخائه وشدته، ولا سيما في حالة الشدة؛ فيونس - عليه الصلاة والسلام - أنجاه من بطن الحوت تسبيحه: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وكان النبي ﷺ يذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده، داعيًا ربه ﷻ به. وروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: « **ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، إن نوحًا قال لابنه: يا بني آمرك أن تقول: سبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق وتسبيح الحق، وبها ترزق الخلق، قال الله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾** »[٣].

* * *

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٩).

(٢) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم (٥٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٨)

السلام

ورد اسم « السلام » في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ... ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى « السلام »:

السلام: هو الذي تَسْلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر[١].

وقيل: السلام: هو الذي سَلِمَ من كل عيب، وبَرِئ من كل آفة ونقصٍ يلحق المخلوقين، فهو سبحانه المنزه ذو السلامة من جميع العيوب والنقائص لكماله في صفاته وذاته وأفعاله[٢].

اللّه ﷻ سلام من كل وجه:

إن اللّه تعالى هو - السلام - الحق من كل وجه: فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من الكفء والنظير والسمي والمماثل، والسلام من الشريك. وإذا نظر المرء إلى أفراد صفات كماله وجد كل صفة سلامًا مما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت ومن السِّنة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه... وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة[٣].

وكلماته سلام من الكذب والظلم، فكلماته تمت صدقًا وعدلًا، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه. وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو اللّه الذي لا إله إلا هو لا رادَّ لحكمه وقضائه. وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل، كما يكون من غيره، بل محض جوده وكرمه وإحسانه[٤].

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٦٩).

(٢) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ١٢٠).

(٣، ٤) ابن القيم: بدائع الفوائد (١/ ١٨٨).

كذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا أو تشفيًا أو غلظة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء في مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء، كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته وعزته، فوضعه العقوبة في موضعها هو من عدله وحكمته وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به[1].

كما أن قضاءه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، وشرعه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب... وعطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطي، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل إعطاؤه إحسان، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبها بخل ولا عجز[2].

كل شيء خلقه الله ﷻ يعمل في وئام وسلام:

- الكون حافل بملايير المجرات، وعلى سبيل المثال فإن المجرة التي تتبعها المجموعة الشمسية وتعرف باسم درب التبانة هي عبارة عن حشد من النجوم يزيد عددها عن مائة ألف مليون نجم تتحرك كمجموعة متماسكة في فلك محدود في الفضاء الكوني السحيق. وهذه المجرة جزء من المجرة العظمى أو المجموعة المجرية، وتقع مجرتنا بالقرب من هذه المجرة العظمى التي تضم عشرات الآلاف من المجرات. وهذه المجرة العظمى ليست كل الكون (السماء الدنيا)، فهناك مجرات عظمى غيرها في مجموعات مجرية أكبر لا يحصي عددها إلا اللّه ﷻ. والكل يسبح في الكون بسرعة تقترب من سرعة الضوء، ولم يحدث أن اصطدمت مجرة بأختها رغم أن علماء الفلك رصدوا في السنوات الأخيرة مجرتين دخلت إحداهما في الأخرى فلم يحدث أي اصطدام أو تماس بين نجومهما، فمن ذا الذي يهيمن على هذا النظام ويجعله يسبح في سلام؟ إنه السلام ﷻ، قال جل علاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١][3].

- مثال آخر: هناك تعاضد وتعاون بين أجهزة الجسم المختلفة، فكل جهاز يتعاون مع غيره لخدمة البدن. فالإنسان يتناول طعامه الذي يحتوي على أنواع عديدة من الأغذية،

(١، ٢) بدائع الفوائد (١/ ١٨٨).

(٣) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ١٢٤) بتصرف.

بعضها بسيط كالسكر والملح والماء، وبعضها الآخر تركيبه معقد كاللحوم والخضروات. فماذا تصنع أجهزة الجسم المختلفة حتى يستفيد الإنسان من طعامه؟![١].

يقوم الجهاز الهضمي بتحويل الأغذية المعقدة إلى مواد ذائبة بسيطة التركيب، يسهل على الأمعاء - ومن ثم الدم - امتصاصها وتوزيعها على خلايا الجسم. ولكن هذا الغذاء يحتاج إلى أكسدة أي احتراق بطيء لإطلاق الطاقة المخزونة في الغذاء، فكيف يتم ذلك؟ يقوم الجهاز التنفسي بامتصاص الأوكسجين من الهواء، ليقوم الأوكسجين بهذه الأكسدة، فيتفاعل مع الغذاء في خلايا الجسم لإطلاق ما به من طاقة، ثم يطلق هذا الجهاز أيضًا ثاني أوكسيد الكربون الناتج عن هذه العملية[٢].

لكن كيف يصل الغذاء من الجهاز الهضمي والأوكسجين ومن الجهاز التنفسي إلى خلايا الجسم؟ لأداء هذه الوظيفة الحيوية المهمة لاستمرار الحياة يقوم الجهاز الدوري الدموي بهذه العملية، فينقل الغذاء والأوكسجين إلى خلايا الجسم. وهكذا نرى هذه الأجهزة تعمل في انسجام ووئام وسلام، ولم يحدث مرة أن تعارضت وظيفة جهاز من هذه الأجهزة مع غيره أو رفضه أن يقوم بعمله المنوط به، وما ذاك إلا أثر من آثار اسمه السلام (سبحانه).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه ﷻ سالم من كل نقص وآفة وعيب.

٢ - اللَّه سبحانه هو المسلم على عباده وأوليائه في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

٣ - الأمر بإفشاء هذا الاسم، وأنه سبب في دخول الجنة، كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم** »[٣].

حظ العبد من هذا الاسم:

لا بد للعبد أن يسلم قلبه من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر، وأن تسلم جوارحه

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٢٥).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٨٥ - ٨٧). والحديث في صحيح مسلم برقم (٥٤).

عن الآثام والمحظورات، وأن تسلم صفاته وأخلاقه عن الانتكاس والتردي، إذا كان يأمل أن يأتي ربَّه بقلب سليم. وهذا هو السلام من العباد الذي أخذ قبسًا من صفة السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفته[1].

ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده. ولما كان السلام من أسماء اللَّه الحسنى، فعلى العباد إذا أرادوا السلام في الدنيا والآخرة أن يطلبوه من رب العباد - تبارك وتعالى -.

أما في الدنيا، فإن المسلمين المهتدين بشرع اللَّه، المتبعين منهجه، ينعمون بالأمن والأمان والعدل حين يحكِّمون شريعة اللَّه في جميع شؤون حياتهم. وكلما كان المسلمون أكثر تطبيقًا لحكم اللَّه تعالى كانوا أكثر تحصيلًا للسلام. وأما في الآخرة، فالسلام الحقيقي الشامل لا يكون لأحد من العباد إلا في الجنة؛ إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم، كما قال سبحانه: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥].

* * *

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٠).

(٩)

المؤمن

عرفنا اللّٰه ﷻ وهو يحدث عن نفسه بأنه المؤمن في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ... ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى « المؤمن »:

والمؤمن: هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه وسده طرق المخاوف، والمؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفادًا من جهته، وهو اللّٰه ﷻ[١]. فهو الذي يؤمن عباده المؤمنين، فلا يأمن في الدنيا والآخرة إلا من آمنه[٢].

إذًا فواهب الأمن في الحقيقة هو اللّٰه رب العالمين؛ لأن العبد ضعيف في أصل فطرته، فهو عرضة للجوع والعطش والأمراض من باطنه، وعرضة للآفات والجوائح من ظاهره، ولا يؤمّنه من هذه المخاوف إلا الذي أمده بالأطعمة المزيلة لجوعه، والأشربة المميطة لعطشه، والأدوية النافعة الرافعة لأمراضه، والأعضاء الدافعة عن بدنه، والحواس المنذرة بما يقرب من مهلكاته. فلا أمن في العالم إلا وهو مستفاد بأسبابٍ، اللّٰه ﷻ متفرد بخلقها والهداية إلى استعمالها، فهو المؤمن المطلق حقًّا[٣].

آثار هذا الاسم في حياة الناس:

ومن آثار هذا الاسم أن اللّٰه تعالى هو واهب الأمن لعباده في الدنيا، فهو خالق الإنسان، وخالق الكون، نواصي العباد بيده، وهو المهيمن على كل شيء. فالأمن الدنيوي بشتى أنواعه هو بيد اللّٰه تعالى وحده، واهب النعم ودافع النقم.

ولأجل ذلك فإن الأمن مترتب على الإخلاص للّٰه تعالى، والصدق في توحيده، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. أما المكذبون الظالمون، فإن عذاب اللّٰه تعالى إذا وقع بهم فلا يوجد من

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٠).

(٢) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللّٰـه (ص ٣٨٥).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧١).

يؤمنهم منه؛ إذ لا طاقة للبشر أن يأمنوا من بأس اللَّه تعالى إذا نزل بهم: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

ومن **آثار هذا الاسم أيضًا** ما شرعه اللَّه ﷻ من حدود وقصاص لحفظ الدين، وحفظ النفوس، وحفظ العقول، وحفظ المال، وحفظ الأنساب، وحفظ الأعراض. فجعل إقامتها صمامًا للأمن، بها يُؤَمِّنُ الناس على دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم.

- فالناس يشعرون بالأمن على دينهم حين يُقتل المرء الذي انسلخ من المجتمع، وصار جرثومة ضارة وعضوًا أشل فيه يسعى لنقض بنائه وتنكيس لوائه. كما يعزر ويسجن المفسد الذي يسعى للفتك بعقائد المؤمنين حين ينشر بينهم الأفكار الهدامة والمفاهيم المنحرفة. وحرم اللَّه ﷻ القتل وسفك الدماء بغير حق ليشعر الناس بالأمن على أنفسهم، ولذلك أوجب القصاص من القاتل وجعل فيه حياة للناس كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فإعدام القاتل استبقاء لحياة الناس الآخرين؛ لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل انزجر ولم يقدم على قتل غيره، وبذلك يخيم الأمن على المجتمع كله[١].

- وأمن اللَّهُ ﷻ الناسَ على عقولهم فحرم كل ما يخدرها ويعطلها ويلغي وظيفتها من مسكرات؛ لأنها تشلّ تفكير الإنسان وتهبط بقيمته وكرامته مما يجعله يصير حيوانًا تتحكم فيه غرائزه؛ ولذلك حرم اللَّه ﷻ كل ما يلهي عقله أو يخدره أو يلهيه عن وظيفته الأساسية في الحياة وهي العبادة بقوله عز من قائل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠][٢].

- وحرم اللَّه ﷻ السرقة وغلَّظ العقوبة ليرتدع الجناة، ويأمن الناس على أموالهم، ويشيع الأمن في المجتمع كله، فقال جل ذكره: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]. وإذا ما تعاون اللصوص وكونوا عصابات لقطع الطريق، وسلب ونهب الأموال، والسطو المسلح على ممتلكات الآخرين، تضاعفت العقوبة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٦٠٢، ٦٠٣). (٢) المرجع السابق (ص ٦٠٣).

﴿ أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤][١].

- وحرم اللَّه ﷻ الزنا ووسائله ليأمن الناس على أنسابهم وحرماتهم، وجعل عقوبة الزاني المحصن الرجم حتى الموت، كما في الحديث الصحيح: « **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة** »[٢].

وجعل ﷻ عقوبة الزاني البكر مائة جلدة مع تغريبه عن بلده الذي وقعت فيه الفاحشة كما قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]. وكما اهتم ﷻ بحفظ الأنساب عاقب تجريحها والتعرض لها؛ فجعل عقوبة القذف ثمانين جلدة إن لم يأت الذين يقعون في أعراض الناس بأربعة شهداء: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤][٣].

تأمين اللَّه ﷻ عباده المؤمنين في الآخرة:

أشد ما يكون الإنسان محتاجًا إلى الأمن عند احتضاره، عندما ينتهي عمره ويحين أجله وتأتيه ملائكة الرحمن لتقبض روحه. حينئذ تتنزل الملائكة على المؤمنين تؤمنهم وتطمئن قلوبهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

ويؤمِّن اللَّه تعالى عباده المؤمنين يوم البعث والنشور، فلا يصيبهم خوف ولا فزع يوم يفزع الناس: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩]. وقارن ﷻ حال المؤمن بحال الكافر الذي حرم أمان ربه بقوله: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠][٤].

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٦٠٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات (رقم ٦)، (١٨/ ٣٨).

(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٦٠٤). (٤) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٦٤).

والأمن كل الأمن على إطلاقه في دار السلام حيث لا خوف ولا فزع بعد ذلك، بخلاف الدنيا التي كان الأمن فيها محدودًا ونسبيًّا، فالإنسان فيها لا يأمن أعداءه وخصومه، وشياطينه من الجن والإنس ينغصون عليه حياته وطمأنينته بوساوسهم، والهوام والسباع المفترسة تخيفه، والقحط والسيول والأعاصير والبراكين والزلازل ترهبه، فحياته كلها تتأرجح بين الخوف والأمن.

أما في الجنة، فإنه الأمن المطلق، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨]، وقوله عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يأمن الخلق كلهم جانبه، بل يرجو كل خائف الاعتضاد به واللوذ به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه، فيغيث الملهوف، ويحمل الكَلَّ، ويعين على نوائب الحق، ويصل الرحم، ويقري الضيف، ويحسن إلى الجار، ويأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، كما قال النبي ﷺ: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمن جاره بوائقه** »[١]، وقال ﷺ: « **المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم** »[٢].

وأحق العباد باسم المؤمن من كان سببًا لأمن الخلق من عذاب الله، بدعوتهم إلى طريق الله ﷻ وإرشادهم إلى سبيل النجاة[٣].

* * *
* *
*

(١) مسلم، الحديث رقم (٤٦).
(٢) النسائي: السنن (٨/ ١٠٥).
(٣) الغزالي، المقصد الأسنى (ص ٧١).

(١٠، ١١)

المهيمن، المحيط

لم يذكر اسم المهيمن في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ... ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى « المهيمن »:

ومعناه في حق اللَّه تعالى: أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه باطلاعه واستيلائه وحفظه؛ فالاطلاع يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل. فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن، ولا يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا للَّه ﷻ(١).

وقيل في معناه: الرقيب الحافظ لكل شيء، الخاضع لسلطانه كل شيء. وقيل: القائم على خلقه، الشهيد عليهم(٢).

ونقل ابن كثير عن ابن عباس وغير واحد من أهل العلم أن المهيمن هو الشاهد على خلقه بأعمالهم؛ كقوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣](٣).

معنى « المحيط »:

أما اسم « المحيط » فقد ورد في عدد من آيات الكتاب العزيز؛ منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وقد فسر شارح العقيدة الطحاوية: « أن اللَّه محيط بكل شيء وفوقه » بأنه سبحانه محيط بكل شيء وفوق كل شيء. وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه الفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما المراد: إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة لعظمته كخردلة، كما روي عن ابن عباس –

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٢).

(٢) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللـه الحسنى (ص ٢٢٧).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٨٠).

رضي اللَّه عنهما - أنه قال: « **ما السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم** »(١).

والإحاطة بالشيء علمًا هي العلم بوجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به، وبإيجاده وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا للَّه تعالى(٢). فهو المحيط بخلقه إحاطة تامة كاملة، لا يهرب منهم أحد، ولا يند عنهم أحد، أحاطت بهم قدرته، وأحاط بهم علمه، أحاط بذواتهم وأقوالهم وأعمالهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢](٣).

وهو محيط بهم في الآخرة، فيبعثهم جميعًا لا يتخلف منهم أحد، ولا ينسى واحدًا منهم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]؛ ولذا فإن الكفرة المجرمين مهما بلغ جبروتهم وطغيانهم لا يستطيعون الخروج عن قهره وجبروته: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩](٤).

آثار المهيمن المحيط في الكون:

والكون حولنا يزخر بآثار المهيمن المحيط ﷻ، فهو مخلوق بدقة ونظام متناهٍ، ويسير وفق سنن محكمة من المهيمن ﷻ: فمن عالم الذرة المتناهية في الصغر إلى عالم المجرة المتناهية في الكبر نجد سننًا تحكم الآفاق والأنفس، سننًا شاملة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فالكل في هذا الكون يخضع لسنن صارمة، وثبات هذه السنن واضطرادها أثر من آثار المهيمن المحيط سبحانه(٥).

- ومن الأمثلة على ذلك أن الكون يتمدد باستمرار، وحجمه يزداد على الدوام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]. وفي هذا السياق يقول السير جيمس في كتابه (النجوم في مسالكها): « ولقد اكتشف حديثًا أن الكون شبيه بفقاعة الصابون، فهو غير ثابت الاتزان، دائم الحركة... يتمدد باستمرار وحجمه يزداد على الدوام، وهذا الذي يتمدد لا يزداد حجمه باستمرار فحسب، بل تزداد سرعة تمدده

---

(١) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١٤).
(٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٢٢).
(٣، ٤) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٠٣).
(٥) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٢٣).

على الدوام » فمن الذي يمسك هذا الكون الذي يتمدد باستمرار؟! ومن الذي يمسك هذه الأجرام ولا يتركها يقع بعضها على بعض؟! إنه المهيمن المحيط جل وعلا[١].

- وإذا انتقلنا من عالم الفلك إلى عالم الإنسان، نلاحظ أن هذا الإنسان له نقطة بداية تتمثل في التقاء نطفة الذكر ببويضة الأنثى، ومن خلال هذا التلاقح تتشكل خلية واحدة ملقحة ما تلبث أن تبدأ بالانقسام والتكاثر إلى خليتين ثم إلى أربع ثم إلى ثمان ثم ست عشرة، وفي مرحلة لاحقة يبدأ تخصيص كل مجموعة من الخلايا المتكاثرة لتشكل عضوًا من أعضاء المخلوق الجديد إلى أن يكتمل نموه ويبلغ غاية خلقه، فيخرج إلى الحياة كاملًا سويًّا، ويسري هذا على أجنة سائر المخلوقات الحية! فمن ذا الذي يشرف على هذا الانقسام والتكاثر والتخلق؟! وبعد أن يخرج هذا المخلوق إلى الدنيا يجد العناية والرعاية في تدبير معاشه وغذائه؛ إذ خلق اللَّه المهيمن المحيط النبات الذي يقوم بوظيفة الإرجاع والتركيب، فيأخذ التراب والهواء والماء فيركب منها الثمار ليقدمها يانعة سائغة للإنسان والحيوان، إلى جانب ما يقوم به النبات من عمل بالغ الأهمية في تنقية جو الأرض من غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي ينتج عن تنفس الإنسان والحيوان، فينزع منه الأوكسجين بإذن اللَّه ويعيده إلى جو الأرض خلال عملية التمثيل الضوئي، لكي يقوم الإنسان والحيوان باستخدام هذا الأوكسجين من جديد. فمن الذي يهيمن على هذا كله ويحيط به ويحكم تدبيره، إنه اللَّه - تبارك وتعالى -[٢].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه سبحانه هو الشاهد على خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل، لا يغيب عنه من أفعالهم شيء، وله الكمال في هذا، فلا يضل ولا ينسى ولا يغفل: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

٢ - جعل اللَّه تعالى كتابه المنزَّل على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ مهيمنًا على ما قبله من الكتب، فقال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣ - كما أن اللَّه تعالى محيط بعباده، لا يقدرون على قوته أو الفرار منه، بل لا ملجأ منه إلا إليه.

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٤٢٤).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٢٤، ٤٢٥).

٤ - أنه سبحانه لا يغيب عنه علم شيء صغيرًا كان أو كبيرًا، ظاهرًا كان أو باطنًا، فإنه كما وصف نفسه: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: ٥٤][١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن كل عبد مؤمن راقب قلبه حتى أشرف على أغواره وأسراره، واستطاع مع ذلك أن يقوّم أحواله وأخلاقه، وقام بحفظها على الدوام على مقتضى تقويمه، فهو مهيمن على أقواله وأعماله وسلوكه. فإن اتسع إشرافه ومراقبته حتى قام بحفظ بعض عباد الله ﷻ على نهج السداد، بعد اطلاعه على بواطنهم وأسرارهم بطريق التفرس والاستدلال بظواهرهم، كان نصيبه من هذا الاسم أوفر حظًّا[٢].

وهكذا فإن العبد المؤمن يراقب المهيمن المحيط في سكناته وحركاته، في لسانه وقلبه وجوارحه، ويستحيي من اطلاعه ﷻ عليه ورؤيته له وهو مقيم على المعاصي والذنوب، فهو سبحانه شاهد مطلع على أفعال مخلوقاته، يشهد الخواطر، ويعلم السرائر، ويبصر الظواهر، ويسمع السر والنجوى. على أن مراقبة العبد لخالقه ﷻ واللجوء إليه في جميع الظروف والأحوال لا تأتي إلا بالخير والسداد والفلاح.

* * *

* *

*

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٩٥)، (٢/ ٥٠٩).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٣).

(١٢)

العزيز

لقد ورد اسم العزيز في القرآن الكريم كثيرًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩]، وقال: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

معنى « العزيز »:

واسم العزيز يدل على القوة والغلبة والقهر والرفعة والامتناع[١].

والعزيز: هو الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه. فما لم تجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز. فكم من شيء يقل وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزًا. كالشمس والأرض مثلًا؛ فالنفع عظيم في كل واحد منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأن لهما نظيرًا في الكون، ولا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما. فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة[٢].

فالعزيز المطلق الحق هو الله ﷻ، غالب لا يغلب، قاهر لا يقهر، شديد المحال، لا مثل له ولا نظير، تشتد الحاجة إليه في كل لحظة، ويصعب الوصول إليه.

والعزة لها ثلاثة معان، وكلها كاملة لله ﷻ:

١ – عزة القوة الدال عليها من أسمائه تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦]، فلا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢ – عزة الامتناع، فهو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

٣ – عزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي الخلق بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف منها متصرف

---

(١) انظر ابن القيم في نونيته (٢/ ٢١٨).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٣)، بتصرف.

إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. فمن قوته - تبارك وتعالى - أنه خلق السموات العظام والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم[1].

اقتران عزة اللّه بقوته وقدرته وحكمته ورحمته:

لقد ذُكر اسم « العزيز » في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، وغالبًا ما يصحب هذا الاسم باسم آخر، **فما هو السر في ذلك؟**

إن العزيز وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة وانتقام من المجرمين المفسدين في الأرض؛ ولذلك جاءت العزة في الكتاب العزيز مقترنة بما يناسبها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦]، وفي قوله - جل ثناؤه - عن فرعون وقومه: ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤٢].

وقد يظن الجاهل أن العزة فيها شيء من الظلم أو الجور أو التعذيب بلا حساب حين يراها مقترنة بالقوة والغلبة والاقتدار، فيأتي في كتاب اللّه تعالى تصحيح لهذا الظن الخاطئ باقتران العزيز بالحكيم. ويتكرر هذا الاقتران أكثر من (٤٥) مرة؛ ليعلم الإنسان أن عزة اللّه تعالى حكيمة، لا جور فيها ولا طغيان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦]. وإنما قرن الحق - تبارك وتعالى - بين العزة والحكمة للدلالة على أن عزته وقوته محكومة بحكمته وعدله.

وفي بعض المواضع من القرآن الكريم قرن الحق - تبارك وتعالى - عزته برحمته كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]؛ لأنه قد يتوهم بعض الناس أن العزة تنافي الرحمة، فأراد الحق سبحانه أن ينفي ذلك بالنسبة له، فهو سبحانه عزيز قوي مقتدر جبار، ومع ذلك

---

(١) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ١٨٩، ١٩٠).

فهو عزيز رحيم. وكذلك لا يحمد العزيز من الناس إلا نادرًا، ولكن عزة اللَّه سبحانه عزة محمودة؛ لأنها عزة حامدة تحمد لكل ذي عمل عمله، وتثيب كل محسن على إحسانه، ومن هاهنا اقترن اسم العزيز باسم الحميد في القرآن الكريم(١).

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]. وإنما قرن الحق - تبارك وتعالى - بين العزة والرحمة والعزة والحمد؛ ليدلنا على أنه سبحانه رحيم وحميد في عزته، وإلا فلو خلت عزته من الرحمة والحمد لكان ذلك نقصًا.

آثار هذا الاسم في الكون والحياة:

آثار العزيز - تبارك وتعالى - في الوجود والحياة لا يحصيها العدُّ، وما الكوارث والنكبات التي تصيب الكافرين إلا أثر من هذه الآثار.

إن الناس عندما يقفون أمام بركان هائل يقذف حممًا من اللهب يشعرون بالعجز والضعف، وإذا في لحظات تدفن قرى وتطمر مدن بكاملها في جوف الأرض، فماذا عساه أن يصنع الإنسان العاجز أمام قدرة القوي العزيز الذي يبعث هذا العذاب فيطمر الحياة والأحياء.

فمن سنة اللَّه الثابتة الصارمة التي لا تتخلف أن يأخذ الكفار العصاة بذنوبهم ويصب عليهم عذابه صبًّا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

وتذكر المصادر التاريخية أن أعظم انفجار في التاريخ كله، كان ذلك البركان الذي دمر بين يوم وليلة الحضارة المينونية العظيمة في الحوض الأوسط للبحر المتوسط، ونتج عنه طيران جزيرة « تير » في الهواء التي كانت تقوم عليها مدينة « أتاتنس » الجميلة، وبلغ ارتفاع التيارات البحرية (٣٠ مترًا) في كل أجزاء البحر المتوسط، في حين تطاير الرماد البركاني فوق الأراضي العصرية كأنه مطر من دماء(٢).

وفي عام (١٩٠٢م) في منتصف شهر أبريل انبعثت من بركان بيليه بمدينة « سان بيير » بعض الأدخنة، وكان الأهالي يرون فيها زيادة في جمال منظر الجبال التي كانوا يخرجون

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٩١، ١٩٢).
(٢) ابن خليفة علوي: سبعون برهانًا علميًّا على وجود الذات الإلهية (ص ٢٣٩).

إليها للتنزه في أيام الآحاد، إلا أن السحب الدخانية بدأت تتكثف شيئًا فشيئًا، وأخذت جميع الحيوانات والطيور تهجر المرتفعات - وهي تحدث أصواتًا صاخبة، ثم تصاعدت في الجو أصوات زمجرة البحر بعد أن ارتفعت درجة حرارته، وهكذا بقي الحال قرابة عشرين يومًا. وفي يوم (٥ مايو) بدأت أولى النذر، فقد ذهب ضحية الأحوال المنسابة (٢٤ موظفًا) في مصنع السكر، وأعلن الجنرال « موتيه » بناء على تقرير لجنة علمية أنه لا خطر على السكان. ولم يمض وقت طويل حتى أخذ البركان ينفث دخانًا أسود لمدة ثلاثة أيام، وفي (٨ مايو) أحس الناس بالخطر الذي يهدد حياتهم فأخذوا يجهزون للفرار، ولكن لا يغني الحذر من القدر؛ لقد جاء أمر اللَّه ﷻ: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١]. فسرعان ما انفجرت قمة الجبل وانسابت فوق المنطقة سحب غازية شديدة السخونة، وهي عبارة عن سيل من النيران الشديدة اللهب، وفي ثلاث ثوان فقط أخذت مياه الخليج في الغليان، ثم انطلقت الحمم البركانية وانسابت على جوانب الجبل المخروطي في أخاديد عظيمة بنيران متوهجة تصل أحجامها إلى عدة أمتار مكعبة، فكانت رجومًا أبادت (٢٨ ألف نسمة) في لحظات(١).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - الإيمان بأن اللَّه ﷻ هو المنيع الذي لا يرام جنابه، وهو القاهر الذي لا يغلب، والقوي الشديد الذي لا مثل له ولا نظير.

٢ - أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه اللَّه تعالى.

٣ - كثيرًا ما اقترن اسم العزيز مع الرحيم في القرآن الكريم، ومعناه الرحيم بلا ذل(٢).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يؤمن بربه ﷻ، ويخضع له، ويحتمي به، ويعتصم به، ويلجأ إليه، ويتوكل عليه. فاللَّه ﷻ لا يترك من اعتز به، وإنما يعزه ويذل عدوه؛ فقد حكم اللَّه ﷻ أن العزة له ولرسوله وللمؤمنين: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٣٩).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٩٨، ٩٩).

على أن إيمان العبد بعزة اللَّه - تبارك وتعالى - يثبت في قلبه أن النصر والغلبة من عند اللَّه تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فلا يخشى مخلوقًا ولا يذل له؛ لأنه عرف اللَّه تعالى حق معرفته وقدره حق قدره، وهان في نفسه أولئك المنافقون الذين يمنحون ولاءهم للكافرين، فإنهم مهما بلغت قوتهم وكثر جنودهم، فإنهم ليسوا شيئًا بجانب عزة اللَّه وقوته وجبروته وقهره.

كما أن العزيز من العباد من يحتاج إليه العباد في أهم أمورهم، وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية، وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه. وهذه رتبة الأنبياء صلوات اللَّه عليهم أجمعين. ويشاركهم في هذا العز من ينفرد بالقرب من درجتهم في عصره كالعلماء والدعاة، وعزة كل واحد منهم بقدر عنائه في إرشاد الخلق(١).

* * *

* *

*

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٤).

(١٣)

الجبار

ورد ذكر اسم الجبار في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ .. ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى « الجبار »:

و « الجبار » له ثلاثة معانٍ:

الأول: أنه القاهر لكل شيء الذي دان له كل شيء وخضع له كل شيء، فهو « الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد، الذي لا يخرج أحد عن قبضته، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته. فالجبار المطلق (إذًا) هو اللَّه تعالى »[١].

فبجبروته تعالى دانت له الخلائق، فأمره الكوني يُكوِّن الأشياء على ما أراد، فإذا أمر الأمر كان كما أراد: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. واستسلمت له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

مع الإشارة أن الإجبار الذي سبق ذكره هو في أمر اللَّه الكوني القدري. أما في أمره الشرعي الديني فقد شرع للخلق ما رضيه لهم، ولم يجبرهم على فعله، بل أمرهم ونهاهم فمن قبل وأطاع فله الجنة، ومن أبى وعصى فله النار: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩][٢].

كما أنه القهار الذي يجبر الخلق على ما يريد، ويحملهم على ما أراد من أمور تقتضيها الحكمة الإلهية؛ فقد أجبر الخلق على أشياء لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه حكمته الإلهية، وذلك كإكراههم على الموت والبعث والنشور، وتسخير كل منهم لصناعة يتعاطاها، وأعمال يتحراها، والناس في ذلك بين راضٍ بصنعته لا يرى عنها بديلًا، وكاره

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٤).

(٢) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٧٥).

لها يتحملها مع كراهيته لها كأنه لا يجد عنها عوضًا. كما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢][١].

الثاني: هو المصلح لأمور الخلق والمظهر لهم الدين الحق، والميسر لكل عسير، والجابر لكل كسير؛ إذ يغني الفقير، ويجبر الضعيف، ويجبر جبرًا خالصًا قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين له بما يفيض عليها من أنواع الكرامات وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية[٢].

الثالث: بمعنى العلو، فاللَّه تعالى عالٍ على خلقه بصفاته وآياته القاهرة، وهو المستحق للعلو والجبروت[٣].

ولذلك جاء في الحديث عن رسول اللَّه ﷺ يثني على ربه ﷻ في ركوعه في الصلاة بقوله: « **سبحانه ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** »[٤].

وهذه المعاني الثلاثة تبين أن الجبروت في الحق - تبارك وتعالى - محمود؛ لأن جبروته سبحانه حق ورحمة ونعمة؛ لأنه بجبروته قهر الجبابرة وأذل الطغاة، وأنصف المظلومين من الظلمة، ونصر جنده المؤمنين المصلين على المعاندين المفسدين الكفرة.

أما الخلق، فموصوفون بصفات النقص، مقهورون ضعفاء تؤذيهم البعوضة، وتعكر صفوهم الذبابة، وتقعدهم الشوكة، أسرى الجوع والعطش، صرعى الشبع، فكيف يوصف بالجبروت من هذا نعته!!

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الجبار الذي له العلو على خلقه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر والجبر.

٢ - جبر اللَّه تعالى خلقه على ما أراد أن يكونوا عليه من خلق، لا يمتنع عليه شيء منهم أبدًا.

٣ - الجبروت للَّه وحده، أما في حق الخلق فهو مذموم[٥].

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢١٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١٧).

(٣) الزجاج: تفسير أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٣٥).

(٤) صحيح سنن أبي داود رقم (٨٧٣).

(٥) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٠٣، ١٠٤).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يستكين ويتواضع لعظمة اللَّه تعالى وجبروته، ولا يطغى على العباد، ولا يؤذيهم، ولا يظلمهم.

والجبار من العباد - كما يقول أبو حامد الغزالي -: من نال درجة الاستتباع، وتفرد بعلو رتبته، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به، ومتابعته في سمته وسيرته. وقد حظي بهذا الوصف سيد الخلق ﷺ؛ حيث قال: « **لو كان موسى بن عمران حيًّا ما وسعه إلا اتباعي، وأنا سيد ولد آدم، ولا فخر** »[1][2].

* * *
* *
*

(١) مسند أحمد (٣/ ٣٨٧).
(٢) المقصد الأسنى (ص ٧٤).

(١٤)

المتكبر

المتكبر اسم من الأسماء الحسنى، كما قال ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ .. ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى « المتكبر »:

قال الخطابي: « المتكبر: المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم. والتاء في التكبر تاء التفرد والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف »(١).

والمتكبر هو الذي يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا للَّه ﷻ(٢).

والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا اللَّه تعالى(٣).

على أن الكبرياء في صفات اللَّه تعالى مدح وثناء؛ لأنه تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وتكبر بألوهيته فلا إله غيره، وتكبر عن كل سوء، وتعظم عما لا يليق به من الصفات الحدث والذم، فهو سبحانه متفرد بالكبرياء والعظمة، ليس لملكه زوال، ولا لعظمته انتقال(٤).

وفي الحديث القدسي قال اللَّه ﷻ: « **العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني عذبته** »(٥).

فقه معاني هذا الاسم:

ويستنبط مما سبق أن اسم اللَّه « المتكبر » يعني:

---

(١) شأن الدعاء (ص ٤٨).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٥).

(٣) ابن منظور: لسان العرب (٣/ ٢١٠).

(٤) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٨٣).

(٥) أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب (٢/ ٢٤٨).

أولًا: أن اللَّه ﷻ هو الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله؛ لذا فإنه يستحق وحده الاتصاف بصفة الكبر والعظمة؛ ولذلك كان سبحانه واحدًا لا شريك له، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا مثيل له، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]. ومن أجل ذلك استحق ﷻ الكبرياء، وهي العظمة في السموات والأرض، وليس لأحد من المخلوقات أن يتصف بهذه الصفة على الإطلاق: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٧][1].

ثانيًا: لا يجوز لغير اللَّه تعالى أن يكون متكبرًا أو يتصف بهذه الصفة؛ لأن اللَّه تعالى نهى عن ذلك، وفي الدنيا يطبع على قلوب المستكبرين: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]، وفي الآخرة فإن مصيرهم إلى النار: ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧٢][2].

ثالثًا: أن الكبر يفسد نفوس العباد ويدنسها، فينسون ما يتصفون به من العجز، والقصور والنقص والضعف والفقر فيزول عنهم الصلاح والعدل والخير والمعروف فيتعالون على الناس ويحتقرونهم ويظلمونهم. أما اللَّه تعالى فإنه مع كبريائه - وهو صفة كمال وجلال - متصف بالرحمة والعدل والعفو والغفران.

آثار هذا الاسم في حياة النـــاس:

آثار التكبر في الحياة لا يحصيها العد، فما أكثر المتكبرين الذين تكبروا وعتوا في الأرض فسادًا ثم كان عاقبتهم الذل والهوان.

فالشر مفتاحه التكبر؛ ومما يدل على ذلك أن آدم عليه السلام تواضع في ذنبه فنال العفو والكرامة، وأن إبليس اللعين تكبر فلم ينفعه شيء: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ: « **بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف اللَّه به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة** »[3].

وقد روي أن رجلًا من الأغنياء كان يطوف بالكعبة وحوله خدمه وأعوانه يطردون الناس، لينفرد بالطواف، وانقضى زمان فرآه أحد هؤلاء الناس على جسر في بغداد

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٧٨). (٢) المرجع السابق (ص ٧٨، ٧٩)، بتصرف.
(٣) أخرجه مسلم بلفظ قريب رقم (٢٠٨٨).

يتكفف الناس، فقال له: ألست أنت الذي كنت وكنت؟! قال: نعم، قال: فماذا حدث؟ قال: تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس، فأذلني اللَّه في مكان يرتفع فيه الناس[١].

ويروي محمد بن الفضل الجرجاني فيقول: كنت أتولى ضياع عجين قائد المعتصم، وكان متكبرًا جبارًا، فرفع إليه أني خنته وأخربت ضياعه، فأنفذ إليَّ من قيدني وأدخلت عليه، فلما نظر إلي شتمني وقال: أخربت الضياع ونهبت المال لأقتلنك شر قتلة، فبلت على نفسي. فلما رآني كاتبه قال له: أعز اللَّه القائد، أنت اليوم مشغول، وقتل هذا في أيدينا ولن يفوت، فَأمُرْ به الآن إلى الحبس حتى تفرغ له. ثم كان من أمر عجيف أن قتله المعتصم، فأطلق سراحي. ثم عملت في ديار ربيعة، فنزلت إحدى الضياع، وخرجت من الليل من داري إلى تل في الصحراء لأبول، فخرج إلي أحد الناس وقال لي: أتدري على من تبول؟! قلت: على تل من تراب، فقال هذا قبر رجل يعرف بعجيف قائد من قواد المعتصم، كان قد سخط عليه، فأمر به مقيدًا إلى هاهنا ثم قتل ثم طرح به في هذا المكان تحت الحائط، قال محمد بن الفضل: فعجبت من بولي خوفًا منه، ومن بولي عليه![٢].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى أكبر من كل شيء، وأكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته.

٢ - أن التكبر لا يليق إلا به ﷻ، فصفة السيد المطلق التكبر والترفع، وأما العبد فصفته التذلل والخشوع والخضوع[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم هو التواضع والانكسار. والتواضع هو أن يخضع للحق وينقاد له، مع لين الجانب وقهر النفس. ذلك أن الكبر إذا تمكن في القلب كدّره، وظهرت آثاره على الظاهر. ولذلك قيل: التواضع من تصفية الباطن تُلقى بركاته على الظاهر، والتكبر من كدورة الباطن تظهر ظلمته على الظاهر.

على أن المتكبر من العباد هو الزاهد العارف، ومعناه أن يتنزه عما يشغله عن الحق، ويتكبر على حطام الدنيا وغرورها سوى الحق ﷻ، فيكون مستحقرًا لها، مترفعًا عن أن تشغله عن الحق تعالى، فيشتري بمتاع الدنيا الآخرةَ، فيترك الشيء عاجلًا طمعًا في

(١، ٢) إبراهيم الحازمي: الفرج بعد الشدة (١/ ٦٣).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٠٨).

أضعافه آجلًا، ناهيك عن الطمع في رضوان اللَّه تعالى والقرب منه والنظر إلى وجهه الكريم في جنات عدن[١].

وختام القول في هذا الباب: أن الكبرياء في صفات اللَّه ﷻ مدح، وفي صفات المخلوقين قدح وذل وهوان يوم القيامة، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: « **يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس، يغشاهم الذل من كل مكان** »[٢].

وتكبر الإنسان آفة آتية من جهله، فما هو إلا هباءة صغيرة تحيا على ظهر ذرة هي الأرض؛ فما الأرض إلا ذرة في المجرة، وما المجرة إلا ذرة في رحاب الكون الفسيح (السماء الدنيا)، وما السموات بالنسبة لكرسي الرحمن إلا كحلقة في فلاة: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعرش الرحمن أحاط بجميع المخلوقات، بالسموات والأرض والجنة والنار، وكل ما خلق اللَّه تعالى مما لا علم لنا به: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وعظمة اللَّه ﷻ ليس لها حدود، لا إله إلا اللَّه.

* * *
* *
*

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٥) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٩)، والترمذي في صفة القيامة (٤٧).

(١٥، ١٦، ١٧)

الخـالـق، البـارئ، المصــور

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

معنى هذه الأسماء:

قد يظن أن هذه الأسماء: « الخالق، البارئ، المصور » مترادفة، وأنها ترجع إلى الخلق والاختراع. ولكن الأمر ليس كذلك؛ فكل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى تقدير **أولًا**، وإلى الإيجاد وفق هذا التقدير **ثانيًا**، وإلى التصوير بعد الإيجاد **ثالثًا**. واللَّه ﷻ خالق من حيث إنه مقدر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب[١].

وأصل الخلق التقدير، **فالخالق** سبحانه هو الذي قدر الأشياء، ثم أوجدها على وفق التقدير. ولذلك قيل: إن الخالق ﷻ قدر الأشياء وهي في طوايا العدم وكلها بمحض الجود والكرم وأظهرها وفق إرادته ومشيئته وحكمته[٢].

أما البارئ فهو الموجود المبدع، ويقال: برأ اللَّه الخلق، أي أوجدهم، ويقال: برأ اللَّه النسمة[٣].

وقيل: البارئ هو الذي يخلق خلقًا بريئًا من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام، أي أنه يخلق خلقًا منتظمًا محكمًا لا خلل فيه ولا تنافر ولا تفاوت[٤].

وأما المصور فهو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل[٥].

وباعتبار الترتيب في هذه الأسماء الحسنى الثلاثة، فاللَّه ﷻ خالق كل شيء بمعنى أنه مقدره من أصل ومن غير أصل، على مثال سابق أو على غير مثال ومن عدم، ولا يخلق

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٥).
(٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٧٠).
(٣) ابن الأثير: جامع الأصول (٤/ ١٧٧).
(٤) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٧٢).
(٥) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٥١). وابن الأثير: جامع الأصول (٤/ ١٧٧).

ويوجد على غير مثال إلا اللَّه - تبارك وتعالى -. وبارئه أي مخرجه ومنفذه بدقة وحكمة وإتقان من غير تفاوت ولا اختلال. ومصوره في صورة يترتب عليها نوعه وملامحه وسماته، ويتم بها كماله.

والمثال الذي يوضح ذلك - وللَّه المثل الأعلى -: عملية البناء، فإنها تحتاج إلى مهندس معماري يضع التصميم أولًا، ثم إلى مهندس متخصص في البناء يقدر ما يحتاجه هذا البناء من إسمنت وحديد ورمل وخشب، ثم إلى بنّاء يتولى الأعمال وينفذ هذا البناء وفق المعايير والمقادير المعينة له، ثم إلى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته ويعطيه ملامحه النهائية التي يتميز بها عن غيره من الأبنية[١].

لكن الفرق بين الخالق ﷻ والمخلوق في هذا السياق هو أن البناء بالنسبة للبشر يحتاج إلى عدة أشخاص لإخراجه إلى الوجود والفراغ منه، واللَّه ﷻ ليس كذلك؛ لأنه وحده هو الخالق البارئ المصور ليس له شريك ولا معين، كما أنه سبحانه يخلق على غير مثال سابق. أما في البناء، فقد كان على مثال رآه المهندس فصمم مثله أو شبهه. والبناء البشري لم يخلق من عدم، وإنما هو مركب من عدة مواد كالإسمنت والرمل والحديد والخشب... أما الخالق ﷻ فيخلق من موجود ومن عدم[٢].

آثار هذه الأسماء في الوجود:

إذا تأملنا آثار هذه الأسماء الحسنى في الحياة نجد أنها لا تعد ولا تحصى؛ فكل المخلوقات في الوجود، مما نراه ومما لا نراه، إنما هي من خلقه وبرئه وتصويره وإبداعه ﷻ.

الأرض قوقعة مرفهة لمصلحة الإنسان:

لقد خلقنا اللَّه ﷻ على سطح هذا الكوكب (الأرض)، وهي ممدودة تظلها سماء مرفوعة، وحفظ ﷻ الحياة عليها؛ حيث ربطها بمجموعة من الكواكب والأقمار والنجوم، لكل منها مدار ومسار، وأحكم لها سيرها في فلكها بحساب دقيق موزون[٣].

فالشمس تمنح النور للقمر، وفيه منافع كثيرة لبني الإنسان، كما تشع الطاقة التي تبعث الحياة في الأرض، والنجوم تتلألأ زينة للسماء الدنيا وتهدي الإنسان في البر والبحر،

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٧٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٨١).

والليل والنهار يتعاقبان بميقات مرسوم ونظام دقيق يتلاءم مع ظروف الحياة على الأرض، فيقدمان للإنسان وسائر الكائنات أنسب أسباب النمو والارتقاء[١].

والأرض - بالماء - تخرج كل شيء حي، والماء يتبخر، والسحب تتجمع، والمطر يتكون ثم يتساقط بإذن اللَّه تعالى، والأنهار تجري، والعيون تتفجر، والرياح تلقح الأشجار والنباتات، فتخرج الأرض الثمار والأرزاق. وهذه العملية متجددة تجدد الليل والنهار، فتبارك اللَّه أحسن الخالقين[٢].

مثال من عالم الحيوان:

فإذا أبصرنا الموجودات من حولنا نرى أن الخالق ﷻ قد خلق النبات قبل أن يخلق الحيوان: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]؛ لأن الحيوان يعتمد على النبات في غذائه. ويشغل الحيوان مساحات شاسعة من الأرض، فهو يعيش على الثرى وتحته، وتحت الماء في قاع البحار والمحيطات، وأنواعه تبلغ الملايين، وفي النباتات والحيوان تتفاوت الأحجام ما بين بذرة وخلية واحدة إلى شجرة باسقة وحوت ضخم وديناصور عملاق[٣].

- فهناك حيوان يتكون من خلية واحدة مثل « الأميبا »، وهذه الخلية الواحدة لها حياتها العجيبة التي تظهر الإعجاب في الخلق وإبداع الخالق ﷻ. فهذه الخلية الواحدة ليس لها فم لالتهام الطعام وليس لها معدة لهضمه، ومع ذلك فهي تأكل وتهضم، فكيف؟! لقد جعل الخالق سبحانه لهذه الخلية قدرة على التهام الطعام بأي جزء من جسدها، أما حبيبات الطعام التي لا يمكن هضمها فإن جسدها يلفظها! وتتنفس الأميبا على الرغم من أن جسدها ليس له أجهزة ظاهرة، فليس لديها رئات ولا خياشيم، ومع ذلك فهي تولج إلى جسدها من خلال أي جزء من سطحها أوكسجينًا من الهواء المختلط بالماء وتخرج حمض الكربونيك. وتحس الأميبا وتشعر، وإذا صادفت في تجوالها حبة رمل غير صالحة للطعام، فإنها ترتد ببطء وتنساب بحيث تترك حبة الرمل جانبًا، فسبحان الخالق البارئ المصور!![٤].

- وفي خلق وتركيب الجمل إعجاز يفوق التصور، فهو حيوان صمم للعيش في

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٨١). (٢) المرجع السابق (ص ٢٨١) بتصرف.
(٣، ٤) خلوق نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٤٩).

الصحراء رغم ما فيها من حرارة شديدة وندرة ماء؛ ولذلك سمي بسفينة الصحراء. وقد زوده الخالق - تبارك وتعالى - بما يلائم حياته وبيئته الصحراوية المجدبة؛ فالأرجل طويلة نسبيًا حتى تساعده على سرعة الحركة لاتساع المسافات في الصحراء. وتنتهي هذه الأرجل بالخف، وهو عبارة عن وسادة مسطحة تمكنه من السير على رمال الصحراء الناعمة وأحجارها وصخورها الصلدة، وبدونها لا يستطيع السير لمسافات طويلة[(١)].

كما زوده الخالق سبحانه بمخازن لتخزين الغذاء والماء، فله سنام - وفي بعض أنواعه سنامات - وهذا السنام مخزن لحفظ كميات من الدهن يواجه بها ما قد يتعرض له من فقدان للغذاء لمدة طويلة، ولا يوجد هذا المخزن في حيوان آخر. وكذلك عنق الجمل طويل حتى يستطيع تناول ما على الأشجار، وشفته العليا مشقوقة حتى يستطيع أن يتحاشى الأشواك إذا ما أكل نباتًا به أشواك. ويستعمل هذه الشفة المشقوقة أيضًا عند هبوب العواصف فيقفل بها فتحتي أنفه، فلا تدخلهما ذرات الرمال. وإذا ما دخلت ذرة، فإن بالأنف شعرًا كثيفًا يمنعها. والعينان لهما أيضًا طبقات من الأهداب تمنعان دخول أية مواد غريبة قد تحملها الرياح إلى العينين[(٢)].

وفي جسم الجمل تركيبات لم يصل العلماء إلى معرفة سرها إلى يوم الناس هذا، بيد أنهم عرفوا عملها وأثرها. وهذه التركيبات تعمل على نقص درجة حرارة الجمل؛ فكلما اشتد الحر وارتفعت درجة الحرارة برد داخل الجمل، فلا يعرق ولا يبول فيفقد الماء. كما يتجنب فقدان كمية الماء المشروبة عن طريق التنفس، بالمحافظة على كمية بخار الماء الموجود بهواء الزفير، بفضل الأغشية المخاطية الأنفية، والمتصفة بقابليتها لامتصاص الماء[(٣)].

على أن الجمل أكثر الحيوانات تحملًا لمشاق الصحراء من نقص للماء والغذاء وارتفاع في درجة الحرارة، فهو يستطيع تحمل فقدان المياه من جسمه بدرجة كبيرة تصل إلى (٣٠٪) من وزنه؛ فإذا كان مثلًا وزن الجمل (٣٠٠ كيلوغرام) فإنه يتحمل نقصًا من وزنه يصل إلى (٩٠ كيلوغرام)، وهذا الفقد لا يؤثر في طبيعة السائل الدموي لديه، بل يكفي (١٠ دقائق) لتعويض هذا الماء؛ إذ يستطيع شرب (١٠٠ لتر) من الماء

---

(١) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ٢٨٦).

(٢، ٣) المرجع السابق (ص ٢٨٤).

خلالها، وهذه الكمية من الماء تتوزع داخل جسمه، وتصل إلى خلاياه خلال ساعتين من الزمن[١].

كما يقوم وبر الجمل بدور كبير بالنسبة لحياته في الصحراء وتحمل مشاقها، فهو يقلل من التبادل ما بين حرارة الجسم وحرارة الوسط المحيط، كما يعمل على الحد من كمية الماء المتبخر عبر غدد التعرق الموجودة على سطح الجلد. أما كيف يحول الجمل الغذاء المبخر إلى دهون ثم يرفعها من أمعائه إلى سنامه؟ فهذا شيء حير علماء الحيوان، وما زالوا يبحثون فيه، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[٢].

مثال من عالم الإنسان: الخلية الإنسانية:

إن الخلية هي اللبنة الأولى في بناء الجسم، مع التباين الكبير في أشكالها ووظائفها. فكل نسيج يعمل في تناسق، ثم إن الجسم بمجموعه مسخر من اللّٰه تعالى لخدمة هذا الإنسان. فجميع الأجهزة تعمل دون كللٍ أو ملل، تواصل الليل بالنهار، ولذلك لم نسمع في يوم من الأيام أن جهازًا من أجهزة الجسم له إجازة أسبوعية أو شهرية، أو أن تمردًا أو عصيانًا حدث من قِبل هذه الأجهزة، بل إنها مسخرة لخدمة الإنسان، وهي ملك للّٰه ﷻ تعمل بإرادته وتسبحه، ومن تسبيحها طاعتها للّٰه تعالى بأدائها لوظائفها الموكلة إليها[٣].

على أن كل خلية تعمل وكأنها دولة مستقلة بما في الدولة من مقومات، فالدولة لها إداراتها المستقلة ولها دوائرها ومؤسساتها المتمثلة في وزارتها المختلفة، كما وأن لها حدودها ولها نظام حياتها الخاص بها سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وكذلك الخلية[٤].

ولنبدأ بحدود الخلية، ألا وهو ما يسمى بالغشاء الخلوي. فهو إضافة إلى أنه يعطي الشكل والحماية للخلية، فإنه يتعرف على كل المواد التي من شأنها أن تعبر إلى داخل الخلية، وذلك بسبب وجود مستقبلات على السطح الخارجي لها. ثم يأتي دور الغشاء البلازمي والذي بدوره لا يسمح بدخول أو خروج أي مادة إلا حسب قانون معين مرتبط بإدارة الخلية؛ حيث يكون معروفًا لدى هذا الغشاء أي المواد المسموح بإدخالها وأيها غير مسموح له بالدخول.

---

(١) شحاتة: أسماء اللّٰه الحسنى (ص ٢٨٤). (٢) المرجع السابق (ص ٢٨٤، ٢٨٥).

(٣، ٤) عبد الكريم السلال: الأسرار الخفية في حياة الخلية، مجلة الإعجاز العلمي، عدد (١١)، (ص ٥٦).

فالخلية تعمل بنظام يوافق مصلحتها العامة والخاصة. فهي لا يمكنها إدخال أي مادة ضارة بالخلية أو أي مادة ليس للخلية مصلحة في إدخالها. وهذه الدولة المتناهية في الصغر - إذ لا يمكن رؤيتها تحت المجهر إلا بعد تكبيرها مئات أو آلاف المرات - بإدارتها الحكيمة لا تسمح بدخول أي جسم غريب أو خروج أي مادة تحتاجها الخلية لبناء مؤسساتها. فإذا جاز التعبير، فإن عملية الاستيراد والتصدير في الخلية تتم حسب نظام مدروس ومخطط له من قِبل إدارة الخلية[١].

وكما أن للدول حدودًا ومعالم خاصة تميزها عن غيرها وتميز سكانها عن غيرهم، فإن لكل خلية ما يميزها عن غيرها؛ حيث يوجد على سطح كل خلية مركبات كيماوية خاصة بها تميزها عن خلايا أجسام أخرى، مما يتيح لخلايا الدفاع في جسم الإنسان التعرف على خلايا جسمه، فتميز هذه الخلايا بين القريب والغريب[٢].

وإذا ما دخلنا إلى داخل الخلية، فإن المرء سيقف مذهولًا أمام مقومات هذه الدولة الصغيرة؛ حيث الدوائر المتعددة والمتخصصة. ويمكن إطلاق اسم « الوزارات » عليها في عملها والتنسيق والتعاون بينها. فهناك على سبيل المثال لا الحصر: وزارة الطاقة: الميتوكندريا، فهذه العضية تقوم بتصنيع الطاقة المستخدمة داخل الخلية، وهو ما يعرف بـ « ATP » أو (أذينوذين ثلاثي الفوسفات)؛ حيث إن معظم عمليات البناء والهدم تحتاج هذه الطاقة. ومن الإعجاز الخلقي أيضًا أن الخلايا الخاصة بالحركة والتي تحتاج إلى طاقة، والموجودة داخل جسم الإنسان، كخلايا العضلات وخلية الحيوان المنوي، تحتوي على أضعاف مضاعفة من عضيات الميتوكندريا، وخاصة في ذيل الحيوان المنوي اللازم لحركة هذا الحوين[٣].

ومن أهم الإدارات في الخلية الإدارة العامة المركزية أو ما يعرف برئاسة الدولة أو النواة. فالنواة هي المركز الذي يسيطر على كل العمليات الحيوية في الخلية؛ حيث نجد أن النواة تعطي أوامرها بتصنيع مواد تحتاجها العضيات (الوزارات) في الخلية لكي يستقيم عملها في إطار من الحرية المسؤولة. فكل العضيات في الخلية تعمل بجد واجتهاد، وبمراقبة من النواة توجد في كل خلية جزئيات تعمل على تصحيح أي خطأ

(١، ٢) عبد الكريم السلال: الأسرار الخفية في حياة الخلية، مجلة الإعجاز العلمي، عدد (١١) (ص ٥٦).
(٣) المرجع السابق (ص ٥٧).

في عملية التنفيذ للأوامر التي تصدر من النواة، أو عندما تتعرض الخلية لظروف قاسية تؤدي إلى تغيير في بعض البروتينات الموجودة أو أخطاء في عملية التصنيع، فإن هذه الجزئيات تقوم بتصحيح هذه الأخطاء جميعها. وإذا جاز التعبير فإن هذه الجزئيات تعمل عمل كل فرد مسلم في المجتمع من حيث التذكير والأمر بالمعروف للرجوع إلى جادة الصواب. ولو أن هذه الجزئيات ذات التركيب الخاطئ تركت دونما تصحيح لأدت إلى هلاك هذه الخلية. فالخلية تعالج الأمور في مهدها ولا تترك الحبل على الغارب[١].

كذلك فإن العنصر الأساسي في عملية تصنيع البروتينات في الخلية هو ما يسمى بالحمض النووي المرسل « RNA » (رنا)؛ حيث يتم بواسطته تصنيع البروتينات في الخلية. وتعتبر البروتينات من المواد الأساسية والهامة جدًّا في تركيب وظيفة كل جزء من أجزاء الخلية؛ لذلك فإن كل شيء في الخلية محكوم للنواة حكمًا طوعيًّا إراديًّا، لا حكمًا قهريًّا تسلطيًّا. وإذا ما تعرضت النواة في الخلية إلى بعض المؤثرات الخارجية، كأن يتعاطى صاحب هذه الخلية أمورًا حرمها اللَّه تعالى من قبل الخمر أو المخدرات أو التدخين، فإن بعض هذه المؤثرات تؤدي بدورها إلى تحور وتغيير في طبيعة المادة الوراثية الموجودة في النواة، وبالتالي فإن هذه النواة المتطورة والخارجة عن طبيعتها تقوم بإعطاء الأوامر الخاطئة إلى الخلية؛ حيث تتحول هذه الخلية إلى خلية سرطانية لا يستفيد منها الجسم بشيء، وإنما تعتبر عالة عليه تشاركه المأكل والمشرب دونما فائدة. والخلايا السرطانية هذه أشبه ما تكون بالعشب المخرب الذي يأخذ ويفسد ولا يعطي. وطالما الحال كذلك، فإن الخلايا السرطانية تتفشى وتنشر الفساد، مما ينذر بقرب النهاية وموت الجسم[٢].

ولنا أن نتصور أن رئاسة الخلية هذه محاطة بغشاء نووي لا يسمح بدخول أو خروج أي مواد كيماوية إلا حسب قانون معين وعبر بوابات خاصة من خلال هذا الغشاء. وهذا يعني أن هذه الرئاسة لها احترامها وتقديرها من الخلية بكل عضياتها. كما أن لكل عضية استقلالها، علمًا بأن التعاون بين كل أفراد هذا المجتمع الصغير هو على أحسن ما يكون، من أجل أن تقوم هذه الخلية بوظيفتها الخاصة بها، متعاونة كذلك مع بقية خلايا الجسم لكي يستقيم هذا الجسم ويقوى على عبادة اللَّه وحده[٣].

(١ - ٣) المرجع السابق (ص ٥٧).

كما أن هناك شبكة مواصلات ممتازة داخل الخلية، تربط جميع أجزاء الخلية بعضها ببعض؛ حيث تعطي الشبكة دعامة داخلية للخلية، بالإضافة إلى تسهيل حركة العديد من هذه العضيات على هذه الشبكة، وتسمى هيكل الخلية. وكذلك، فإن كل مادة تصنع داخل الخلية لها حق الأولوية في الانتفاع بها. ولكن إذا ما أريد تصديرها إلى الخارج فإنه يتم تغليفها وتسويقها إلى هذا الغرض من قبل ما يعرف بأجسام جولجي. وهكذا تقوم الخلية بالتخلص من كل الفضلات الضارة فيها، حتى لا تتراكم بداخلها وتؤدي إلى موتها. فالخلية تعتبر دولة مستقلة لها نظامها الغذائي الخاص بها، تسمح بدخول وخروج بعض المواد حسب ما تقتضيه مصلحة الخلية[1].

على أن كل ما ينطبق على الخلية وهي اللبنة الأساسية، ينطبق على الجسم كله، وهو ما ينطبق على الدول بأفرادها؛ فإذا هم تعاونوا على البر والتقوى، وتآمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ونسقوا جهود البناء بينهم، كانت دولتهم عزيزة القدر، مهابة الجانب، وكان مجتمعهم آمنًا سعيدًا مرفهًا، يحيا حياة طيبة. أما إذا خالفوا منهج اللَّه تعالى، وعارضوا بشهواتهم وأهوائهم، أوامر اللَّه ونواهيه ﷻ عرَّضوا تماسك مجتمعهم للتفكك والانهيار، فيحدث له كما يحدث للجسم، إلى أن يقاتل الجسم نفسه، وهو ما يعرف في الاصطلاح الدولي بالفتنة الداخلية، أو حين تتمرد بعض الخلايا وتخرج على النظام العام للجسم، فتسبب مرض السرطان، مما يؤدي إلى وفاة الإنسان. وهذا غيض من فيض، يبين عظمة الخالق البارئ - تبارك وتعالى - ووحدانيته وتفرده في تسيير الخلق.

- كيف خلق الإنسان؟

نشأ الإنسان في البداية من خلية واحدة ملقحة، والتلقيح والإخصاب يعني خلط الأشرطة الوراثية بين خليتين جنسيتين للذكر والأنثى. ويبلغ وزن الخلية الملقحة التي خلق منها الإنسان واحدًا على مليار من الجرام[2].

ومن إبداع الخالق - تبارك وتعالى - أن جعل خلق الإنسان من الزوجين: الذكر والأنثى، من التقاء حيوان منوي الأب مع بويضة الأم، ليجمع الولد أفضل الصفات الموجودة في هذين الزوجين. ويبدأ تكوين الجنين بالتقاء الزوجين، فتقطع الخلية

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٧).

(٢) نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٤٩).

القادمة من الأب (الحيوان المنوي) مسافة طويلة لكي تصل إلى رحم الأم. والطريق الذي يسلكه الحيوان المنوي ليس سهلًا ميسورًا بل معقدًا؛ فهو يتألف من قنوات عديدة يلتف بعضها حول بعض، والحيوان المنوي يخترق هذه التعاريج، ويعدو عدوًا للالتقاء مع خلية الأم (البويضة)، ولا يضل طريقه بتوجيه وإلهام من اللَّه ﷻ. ولولا هذا التوجيه الإلهي ما استطاعت خلية حية الخروج من جسد والدخول في جسد آخر لتلتقي مع خلية أخرى![(١)].

على أن الخلية القادمة من الأب تحمل نصف بطاقة فيها نصف العمليات الوراثية، وتحمل خلية الأم النصف الثاني الآخر؛ فإذا كانت خلية الأب - مثلًا - تحمل وراثة القلب والكبد نجد خلية الأم لا تحمل هذه الموروثات، إذًا فالخليتان تكمل إحداهما الأخرى. فمن الذي يجعل هذا اللقاء بين متكاملين وليس بين مكررين؟ إنه توجيه الخالق - تبارك وتعالى - فكأن الحيوانات المنوية وهي داخله ترفع كروتًا مكتوبًا عليها: إن فيَّ من الموروثات كذا وكذا، فلا تلتقي البويضة إلا مع من يكملها!![(٢)].

ثم تبدأ الخلايا في الانقسام وبشكل دقيق رائع، وفي ترتيب هندسي بديع، وتعرف الخلية مكانها بدقة، وبوضعها في الجسد بالتحديد؛ فالمعدة تتشكل مع عضلاتها وغشائها المخاطي، والعين تتشكل مع رموشها وحاجبها وأنسجتها الداخلية، فلا تجد - مثلًا - عينًا خرجت في المعدة، ولا قلبًا تكون في الرأس، ولا أذنًا نبتت في الذراع[(٣)]. فتبارك اللَّه أحسن الخالقين.

ولو تأمل الإنسان في عظامه لوجد إعجازًا ليس له حدٌّ؛ فقد خلقها البارئ - تبارك وتعالى - لكي تعطي جسم الإنسان شكله وقوامه، فهي تشبه الأعمدة التي يقوم عليها البناء. ولولا تلك العظام لأصبح الإنسان كتلة من اللحم المتراكم. وقد فصل الخالق سبحانه هذه العظام تفصيلًا دقيقًا، ولو لم تكن كذلك لما تمكن الإنسان أن يقوم من مكانه، ولعجز عن تحريك إصبع من أصابعه، ولأصبح كقطعة من حديد. لكن البارئ سبحانه فصل هذه العظام بمفاصل قد أعدت بإبداع وإتقان:

- فكل عظمة تنتهي بنهاية تناسب وتوافق تركيب العظمة المتصلة بها.

(١، ٢) نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٥٢).

(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٧٨).

- شكَّل الخالق - تبارك وتعالى - المفاصل تشكيلًا يلائم الحركة المطلوبة؛ فمفصل الورك مفصل دائري ليتمكن الفخذ من الحركة في عدة اتجاهات. أما مفصل الركبة فقد شكل بحيث يسمح للساق بالحركة في اتجاهين فقط إلى الأمام وإلى الخلف.

- وإذا تأملت مفاصل العظم وجدتها ملساء بخلاف سائر العظام الخشنة؛ وذلك لتسهيل الحركة على المفصل، ومنع احتكاك العظم وتآكله.

- وهناك سائل لزج يقوم بتسهيل حركة العظام في المفاصل، وهو يقوم مقام الشحم في مفاصل الآلات المعدنية. وإذا كان الشحم لا يمنع نهائيًّا تآكل المعادن واحتكاكها، فإن هذا السائل يمنع أي احتكاك أو تآكل في العظام المتحركة.

- والقوة المحركة لهذه العظام هي العضلات اللحمية المربوطة بالعظام والكاسية لها. وكل عظم قد زوده خالقه ﷻ بما يناسبه من العضلات اللحمية[1].

وعلى العموم فإن هذا الكون الفسيح الذي فطره اللَّه تعالى وبث فيه كل نوع من أنواع المخلوقات - مَعْبَدٌ كبير تتجاوب أرجاؤه بالتسبيح والتقديس لخالقه ومبدعه جل علاه. ومن ينظر فيه نظر معتبرٍ متفكرٍ متدبرٍ يمتلأ قلبه إيمانًا ويقينًا وإجلالًا للَّه تعالى؛ لأنه بذلك يعلم أن اللَّه - جل ذكره - ما خلق هذا الخلق إلا لغاية عظيمة وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

من آثار الإيمان بهذه الأسماء:

١ - أخبر اللَّه تعالى عن نفسه أنه الخالق البارئ المصور.

٢ - أن اللَّه سبحانه لم يزل خالقًا كيف شاء ومتى شاء ولا يزال؛ لقوله سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

٣ - أن اللَّه تعالى خالق كل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٢].

٤ - خلق اللَّه محكم متقن معجز، عجز البشر عن محاكاته وصنع مثله، فضلًا عن خلق أفضل منه[2].

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢٧٩).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١١٩ - ١٢١).

حظ المؤمن من هذه الأسماء:

حظ العبد المؤمن من هذا الأسماء - كما يقول أبو حامد الغزالي -: أن يحصل في نفسه صورة الوجود على هيئته وترتيبه، حتى يحيط بهيئة العالم كأنه ينظر إليها، ثم ينزل من الكل إلى التفاصيل، فيتأمل صورة الإنسان من حيث بدنه وأعضاؤه الجسمانية، فيعلم أنواعها وعددها وتركيبها والحكمة في خلقها وترتيبها، ثم يمعن النظر في صفاتها المعنوية التي بها إدراكاته وإرادته. وكذلك يعرف صورة الحيوانات وصورة النبات ظاهرًا وباطنًا، حتى يحصل نقش صورة الجميع في عقله(١).

وهكذا يكتسب العبد الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية، فإن العلم صورة في النفس مطابقة للمعلوم، وعلم اللّه ﷻ بالصور سبب لوجود الصور في الأعيان، والصورة الموجودة في الأعيان سبب لحصول الصور العلمية في قلب الإنسان، وبذلك يستفيد العبد العلم بمعنى اسم المصور من أسماء اللّه ﷻ.

وبهذه الطريقة في تصور الوجود علميًا يزداد المؤمن إيمانًا ويقينًا ومعرفة باللّه تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى. وهذه المعرفة تقربه من ربه، فيمتلئ قلبه خشية وإنابة وإخباتًا ومحبة وتعظيمًا للخالق البارئ المصور - تبارك وتعالى -.

كما تجدر الإشارة إلى أن الخلق والإيجاد يرجع إلى استعمال القدرة بموجب العلم، واللّه تعالى قد خلق للعبد علمًا وقدرة يبتكر ويخترع وفق تقديره وعلمه(٢).

على أن الأمور الموجودة تنقسم إلى قسمين: قسم لا يرتبط حصوله ووجوده بقدرة العباد أصلًا؛ كالسماء والأرض والنجوم والكواكب والحيوانات والنبات وغير ذلك، وقسم يرتبط حصوله بقدرة العباد التي منحهم إياها الخالق القادر - تبارك وتعالى - كالمخترعات والصناعات من الآلات والسيارات والنباتات والأدوات والملابس وغير ذلك. فإن الإنسان يبتكر ويخترع ما شاء اللّه تعالى له أن يخترع عن طريق البحث وإعمال العقل والفكر في موجودات اللّه تعالى، فيبدع ويطور الصناعات والتقنيات التي هي منبع الخيرات وتقدم الجنس البشري. لكن لا ينبغي الذهول عن الفرق الكبير جدًا والتفاوت العظيم بين الخالق والمخلوق في هذا الصدد.

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٨) بتصرف.

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٧٩).

كذلك يجب على العبد المؤمن أن يحذر من الاتصاف بصفات لا يجوز للبشر أن يتصفوا بها؛ كصفة التصوير والجبروت والعظمة، فقد حذر الرسول ﷺ من ذلك في أحاديث كثيرة؛ منها: « **إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون** »[١].

ومنها: « **إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم** »[٢].

ويستنبط من هذه الأحاديث أن الممنوع والمحرم هو تصوير الأحياء من الإنسان والحيوان باليد. أما النبات والجماد فلا بأس من تصويره.

* * *

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (٥٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٨) في جامعه الصحيح.

(١٨، ١٩)

الغفور، التواب

الغفور:

أخبرنا اللَّه تعالى في كتابه العزيز أنه غافر الذنوب وغفارها وغفورها، والغفار أبلغ من الغافر، والغفور أبلغ من الغفار[١]. قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر: ٣]، وقال جل ثناؤه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

معنى « الغفور »:

الغفر والغفران في اللغة: « الستر، وكل شيء سترته فقد غفرته، والمغفرة من اللَّه ﷻ ستره للذنوب، وعفوه عنها بفضله ورحمته، وغفار وغفور من أبنية المبالغة؛ لأن اللَّه ﷻ يفعل بعباده ذلك مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، فهو من أوصاف المبالغة في الفعل، وليس من أوصاف المبالغة في الذات[٢].

والغفار: هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها، بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة. والغفور بمعنى أنه تام المغفرة والغفران، كاملها، حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة[٣].

وإذا كان الغفر هو الستر، **فأول ستره** على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين وتستقذرها النفوس في باطنه، مغطاة بجمال ظاهره. **وستره الثاني**: أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإراداته القبيحة سر قلبه، حتى لا يطلع أحد على سره. ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه، فتأمل كيف ستر اللَّه ﷻ عن غيره أسراره وعوراته. **وستره الثالث**: مغفرة ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق في الدنيا والآخرة، وقد وعد ﷻ أن يبدل

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٩٠).
(٢) إبراهيم الزجاج: تفسير أسماء اللَّه الحسنى (ص ٩٣).
(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٠ - ١٠٥).

سيئاته حسنات؛ ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته إذا مات على الإيمان والإسلام[(١)].

التواب:

من تاب يتوب، أي يقبل توبة عباده، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٥]. وقال عز من قائل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠]. وتواب على وزن فعال من أبنية المبالغة لقبوله توبة عباده، وتكرير الفعل منهم دفعة بعد دفعة، وواحدًا بعد واحد على طول الزمان، وقبوله ﷻ من يشاء أن يقبل منه، فالعبد يتوب إلى اللَّه ﷻ ويقلع عن ذنوبه، واللَّه يتوب عليه، أي: يقبل توبته، فالعبد تائب واللَّه تواب[(٢)].

والتواب في حق اللَّه تعالى: هو الذي يرجع إليه الفضل في تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آيات، ويسوق إليهم من تنبيهات، ويعود عليهم بألطافه، ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب، استشعروا الخوف بتخويفه، فرجعوا إلى التوبة، فرجع إليهم فضل اللَّه تعالى بالقبول[(٣)].

العلاقة بين الاستغفار والتوبة:

الاستغفار: هو طلب مغفرة الذنب، والتوبة الرجوع عما يكرهه اللَّه ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا[(٤)].

والاستغفار المفرد كقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وكقوله تقدست أسماؤه: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣]، وقوله - جل ذكره - على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

على أن الاستغفار إذا ورد في القرآن الكريم مفردًا فهو كالتوبة في المعنى، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من اللَّه تعالى وهو: محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره. وأما عند اقتران أحد اللفظين بالآخر في الكتاب العزيز، فالاستغفار يعني طلب

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٠).

(٢) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ٦٣).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٣٩).

(٤) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧) بتصرف.

وقاية شر ما مضى، والتوبة تعني الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه العبد في المستقبل من سيئات أعماله[١].

فهاهنا أمران لا بد منهما، مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخص الاستغفار بمفارقة الذنب، وخصت التوبة بالرجوع إلى ما يحبه اللَّه ﷻ ويرضاه؛ ولهذا جاء الأمر بهما مرتبًا بقوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ [هود: ٣]، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل. وأيضًا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة. فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب، والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه[٢].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - اللَّه - تبارك وتعالى - هو « التواب » الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين حتى يغلق باب التوبة حين تطلع الشمس من مغربها قبيل قيام الساعة.

٢ - اللَّه ﷻ هو المتفرد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو[٣].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

وحظ العبد المؤمن من هذين الاسمين أن يعترف بتقصيره وظلمه لنفسه ويستغفر ربه ﷻ طالبًا منه المغفرة، ويجاهد نفسه بالتوبة النصوح للإقلاع عما اقترفه من ذنوب، ويسعى لإصلاح أحواله، ويجفو عن الحال التي كان عليها سابقًا حتى يستقيم أمره ويصلح حاله.

كما أن حظ العبد من هذين الاسمين أن يستر من غيره ما يجب أن يستر منه، فقد قال النبي ﷺ: « **من ستر على مؤمن عورته ستر اللَّه ﷻ عورته يوم القيامة** »[٤]، والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف. وإنما المتصف به من لا يفشي من خَلْق اللَّه تعالى إلا أحسن ما فيه؛ إذ لا ينفك مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن، فمن تغافل عن المساوئ وذكر المحاسن فهو ذو نصيب من هذا الوصف. كما روي عن عيسى عليه السلام أنه مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: ما أنتن

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٣٠٦ - ٣٠٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٠٩).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٤٣٢، ٤٣٣).

(٤) جاء هذا الحديث في لفظ مغاير في صحيح مسلم (رقم ٢٥٩٠).

هذه الجيفة، فقال عيسى صلوات اللَّه عليه: « **ما أحسن بياض أسنانه** »، تنبيهًا على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل شيء ما هو أحسن[١].

* * *
* *
*

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨١).

(٢٠)

القهـار

من أسماء اللَّه الحسنى القاهر والقهار، وقد ورد « القاهر » في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١]. والقهار في قوله جل ثناؤه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

معنى « القاهر » و « القهار »:

و « القهار » أبلغ من « القاهر »، وهو كثير القهر، أي الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه، فيقهرهم بالإماتة والإذلال، بل الذي لا موجود إلا وهو مُسَخَّر تحت قهره ومقدرته[١]. وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى اللَّه تعالى عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا خيرًا ولا شرًّا[٢].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦١]: أي هو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء[٣]. وتتمة هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]، فلا يفلت منه أحد مهما كان قدره أو سلطانه أو جاهه وماله.

ولذا فإن معرفتنا للقهار ﷻ توجب علينا تنزيهه، فهو سبحانه لا ينال لعلو قدره، وأمره نافذ؛ لأنه لا يخرج أحد في الوجود عن قبضته. ولأجل ذلك فهو الذي يستحق العبادة دون سواه، فما سواه مقهور مربوب كما قال يوسف ؑ لصاحبيه في السجن: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٨٤٥ - ٨٦٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٧).

من آثار « القاهر القهار » ﷻ:

إن آثار القهار ﷻ تبدو في حياة الناس وفي تاريخهم، وفي كل ذرة في كيانهم، فقد قهر - جل علاه - الكافرين والمعاندين الجاحدين، قهرهم بانتقامه منهم وإذلاله لهم؛ إذ أخذ العتاة المتجبرين في الدنيا أخذ عزيز مقتدر؛ كفرعون وهامان وقارون ونمروذ وغيرهم، وأباد أقوامًا؛ كعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم لوط وقوم شعيب، ليكونوا عبرة وعظة للناس عبر الدهور والعصور.

أما في الآخرة، فلأن الجبار الطاغية عاتٍ متمردٌ معاندٌ للحق قاهر ومذل للخلق، فقد خصه اللَّه تعالى بعذاب غليظ وبوادٍ في جهنم يلقى فيه أشد العذاب: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧]. وروى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « **إن في جهنم واديًا يقال له هبهب حق على اللَّه أن يسكنه كل جبار عنيد** »[١].

على أن قهره ﷻ للطغاة الجبارين المعاندين عدل وحكمة ورحمة ونصر للمؤمنين، لتسود في الأرض قيم العدل والخير والفضيلة، قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

ومن آثار « القهار » - تبارك وتعالى - ما نراه من قهر العناصر المتنافرة واتحادها معًا على الرغم من تباينها واختلافها؛ فهو سبحانه قهر الروح وهي مخلوق من نور لتستقر في البدن المخلوق من طين، ثم قهر هذه الروح فأخرجها من البدن عند الموت. وهو الذي قهر العناصر المختلفة فجعلها تتحد مع بعضها البعض، ولولا ذلك لما وجد تراب ولا ماء ولا شجر ولا حيوان[٢].

كما قهر - تبارك وتعالى - سائر البشر بالجوع والعطش والنوم والمرض؛ فالإنسان يجوع فيبحث عن الطعام، ويعطش فيلهث وراء قطرة من ماء، ويمرض فتنهار قواه فيسرع إلى الأطباء، ويأخذه النوم فلا يستطيع له دفعًا. وقد حار الأطباء في ظاهرة النوم واعترفوا بأنه سر غامض يقهر الإنسان ولا علاج له إلا به.

---

(١) أخرجه أبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٩٧).
(٢) شحاتة، أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢٢٥).

وقد أجرى الدكتور النفساني « هارولد ويليام »، وهو يعمل بمعمل أبحاث « ولتريد » تجربة عجيبة على جماعة مكونة من خمسة وعشرين رجلًا تطوعوا بالبقاء مستيقظين فترات تصل إلى مائة ساعة، أي أكثر من أربعة أيام، فبدأت المتاعب تطرأ عليهم بعد يومين؛ إذ تبين من خلال هذه التجربة أنه من الصعب أن يركزوا انتباههم، وأصبحوا سريعي التهييج، وبدأ بعضهم يرى صور الأشياء مزدوجة، كما عانوا أيضًا من هلوسة غريبة، فقد سمع أحدهم وخيل إليه أن أمه تناديه وصار يلتفت حوله، بينما خيل للآخرين الأثاث يتحرك، وخيل لثالث أن كلبًا يسير في عنبر المستشفى، وهكذا بدأت عقولهم في الانهيار، ولا علاج إلا بالنوم، فسبحان الواحد القهار[١].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن القهار على الحقيقة هو اللَّه وحده سبحانه، قهر عباده أجمعين بالموت الذي لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة وجبروت أن يرده أو يدفعه عن نفسه. وقد ذكر اللَّه ﷻ الموت قريبًا من وصف نفسه بالقاهر: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

٢ - يستفاد من هذا الاسم العلو المطلق للَّه تعالى على عباده، سواء علو المكانة والرتبة أو علو المكان والجهة، كما يليق بجلاله - تبارك وتعالى -.

٣ - أن اللَّه تعالى هو القهار المستحق للعبادة والألوهية، وما سواه من الآلهة المعبودة زورًا وبهتانًا لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا[٢].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن المؤمن الحق لا يخضع ولا يذل لأحد من البشر مهما علا وعظم؛ لأن الكل مقهورون أمام الواحد القهار، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا. فتوحيد العبادة يقتضي ألا يخاف العبد المؤمن إلا من اللَّه، ولا يذل ولا يخشع ولا يستكين إلا له.

كما أن القهار من العباد هو الذي قهر أعداءه، وأعدى عدو للإنسان نفسُه التي بين جنبيه، فهي مدخل الشيطان الذي قد حُذر كيده وعداوته، يستهويه إلى الهلاك بواسطة

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٢٩ - ١٣١).

شهواته المحبوبة للنفس. ومن قهر شهوات نفسه فقد قهر الشيطان، بل وقهر الناس كافة، فلم يقدر عليه أحد[١].

* * *
* *
*

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨١).

(٢١)

الوهاب

ورد اسم الوهاب ثلاث مرات في القرآن الكريم، مرة في سورة (آل عمران) ومرتين في سورة (ص). قال تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال جل ثناؤه: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩]، وقال - جل ذكره - على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥].

معنى « الوهاب »:

والوهاب: هو واهب العطايا التي لا يحدها حدود، ولا يقيدها قيود، فإن مالك السموات والأرض له خزائن السموات والأرض، لا يستعظمه شيء أعطاه، ولا تنقص مواهب خزائن ملكه[١].

والهبة من ناحية هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض[٢]، ومن ناحية ثانية هي الإعطاء تفضلًا وابتداء من غير استحقاق ولا مكان. ولن يتصور الجود والهبة حقيقة بهذين الشرطين إلا من اللّه تعالى.

على أن من وهب من المخلوقين شيئًا لغيره لا يسمى وهابًا؛ لأن الوهاب من كثرت مواهبه واتسعت عطاياه، بينما المخلوقون يمنحون مالًا ونوالًا حالًا دون حال، وشيئًا دون شيء. ولا يستطيعون أن يهبوا كل شيء وفي كل حال. بل هناك أشياء يعجزون ألبتة منحها لأحد من الخلق، فهم مثلًا لا يستطيعون أن يهبوا شفاء لسقيم ولا ولدًا لعقيم، ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء. واللّه تعالى يهب ذلك وكل شيء، فعطاياه دائمة، وأياديه متوالية، ونعمه لا تعد ولا تحصى، فكان وحده هو الوهاب[٣].

مواهب اللّه لعباده:

اللّه تعالى هو واهب الأحياء والحياة؛ فهو الذي وهب لعباده الحياة بعد أن كانوا في

---

(١) الأشقر: أسماء اللّه الحسنى (ص ٩٧).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٢) والزجاجي: اشتقاق أسماء اللّه الحسنى (ص ٧٦).

(٣) شحاتة: أسماء اللّه الحسنى (ص ٢٨٦) (بتصرف).

العدم لا وجود لهم، ووهبهم العقول والأسماع والأبصار، ووهبهم الهواء والماء وبهما قوام الحياة، ووهبهم الطعام والشراب، ووهبهم الأزواج والذرية؛ ففي مجال الذرية يقول - تبارك وتعالى -: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

على أن أعظم مواهب اللَّه تعالى لعباده هو ما أعطاهم إياه من النبوة والكتاب والحكمة على لسان رسله الكرام، وما شرع لهم من الدين الحق لينالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وما هداهم إليه من التوحيد والإيمان والإسلام، وهو الصراط المستقيم الذي نطلب من اللَّه تعالى الهداية إليه، على الأقل (١٧) مرة في اليوم والليلة في الصلوات المفروضة.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن الوهاب هو اللَّه وحده، بيده خزائن كل شيء، الذي له ملك السموات والأرض ومن فيهن.

٢ - النبوة والكتاب هبة من اللَّه تعالى يختص بهما من يشاء من عباده.

٣ - كما أن الملك والسلطان هبة من اللَّه سبحانه لمن يشاء من عباده[١].

حظ العبد من هذا الاسم:

إنه لا يتصور من العبد الجود والهبة حتى يبذل جميع ما يملك، حتى الروح، لنيل رضا اللَّه تعالى وجنته، فهو جدير آنذاك بأن يسمى وهابًا؛ لأنه يجود بكل ما يملكه خالصًا لوجه اللَّه تعالى، من غير توقع حظ من حظوظ النفس العاجلة أو الآجلة في الدنيا، فحظه هو اللَّه تعالى ورضاؤه ولقاؤه والوصول إليه[٢].

كذلك، لا حرج على العبد أن يطلب من اللَّه تعالى المال والجاه والعز، ولكن عليه أن يعزم إذا وهبه اللَّه ﷻ ما طلبه أن يقوم بتحقيق أمر اللَّه تعالى فيه، فيؤدي زكاة المال، وينفق مما آتاه اللَّه تعالى في مراضيه ومحابه، وإذا طلب العلم فوهبه اللَّه تعالى إياه أن يعلمه ابتغاء وجه اللَّه، وإذا وهب الملك أن يُحَكِّم شرع اللَّه بين الناس ويقضي بينهم

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٣٣، ١٣٤).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٣ - ٩٢) (بتصرف).

بالعدل والحق، ويصلح أحوال الرعية، ويحمي حمى الإسلام ويذود عن حياضه، ويعد ما استطاع من قوة لإرهاب أعداء اللَّه وأعداء دينه[1].

* * *
* *
*

(١) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ١٠٠).

(٢٢)

المنان

جاء الفعل من المنان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

وورد هذا الاسم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان جالسًا مع رسول اللَّه ﷺ ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: « **لقد دعا اللَّه باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى** »(١).

معنى هذا الاسم:

قال ابن الأثير: « **في أسماء اللَّه المنان، هو المنعم المعطي من المن: العطاء..** »(٢).

وقال الخطابي: « **المنان كثير العطاء** »(٣).

وقال الزجاجي: « **فاللَّه عز وجل منان على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم، وفلان يمن على فلان إذا كان يعطيه ويحسن إليه** »(٤).

وقال ابن منظور: « **المعطي ابتداء، وللَّه المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى اللَّه علوًّا كبيرًا** »(٥).

وقال الحليمي: « **ومنها المنان وهو عظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن الصور، وأنعم فأجزل، وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، قال وقوله الحق:** ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] »(٦).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو المنان الذي منَّ على عباده بأنواع الإحسان والإنعام والأرزاق

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (١٤٩٥)، والترمذي في سننه، رقم الحديث (٣٥٤٤).
(٢) النهاية (٤/ ٣٦٥).
(٣) شأن الدعاء (ص ١٠٠).
(٤) اشتقاق أسماء اللَّه (ص ١٦٤).
(٥) لسان العرب (٣/ ٥٣٦).
(٦) المنهاج (١/ ٢٠٣).

والعطايا، وهو سبحانه كثير العطاء، فلا نهاية لتوسعته: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

٢ - أن اللَّه تعالى صاحب المنِّ والفضل؛ حيث فطر الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا، وخلقه في أحسن تقويم؛ إذ جعل له الفؤاد والسمع والبصر، وأنعم عليه بالطيبات، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة(١).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن لا يمن بالعطية، أي يذكرها ويكررها، فهو مذموم؛ لأن اللَّه تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقال النبي ﷺ: « **ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** »(٢).

وإنما على المرء أن يريد وجه اللَّه تعالى وثوابه بإنفاقه على المنفَق عليه، ولا يرجو منه جزاء ولا شكورًا، ولا ينظر من أحواله في حال سوى أن يراعي استحقاقه.

أما الامتنان فهو في حق العبد استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل إلا للَّه تعالى؛ إذ المنة أن يشهد المعطي أنه رب الفضل والإنعام، وأنه ولي النعمة ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا للَّه ﷻ. وأيضًا فالمانُّ بعطائه يرى نفسه مترفعًا على الآخذ مستعليًا عليه غنيًّا عنه عزيزًا، ويتوهم ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد ألبتة(٣).

* * *

(١) النجدي، النهج الأسمى (٣/ ٦٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٠٢).

(٣) ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٣٦٥) بتصرف.

(٢٣)

الرزاق، الرازق

الرزاق: اسم من أسماء اللَّه الحسنى، وورد في القرآن الكريم بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

أما الرازق فقد ورد في حديث رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه هو المسعر، القابض، الباسط، الرازق** »(١).

معنى « الرزاق »:

الرزاق: هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة، وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتع بها(٢).

والرزاق: هو الذي خلق جميع الأحياء وتكفل برزقهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وقوله جل ذكره: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

ولذلك فاللَّه الرزاق هو المستحق أن يعبد. أما غيره مما يعبد من دونه، فإنهم لا يملكون الرزق ولا يستطيعونه؛ ولذلك لا يستحقون العبادة: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣]. وقد تكرر السؤال للمشركين لتنبيههم على بطلان آلهتهم العاجزة عن الخلق والرزق: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣]. وإذا كان اللَّه تعالى وحده هو الرزاق، فإنه قادر على أن يمسك رزقه ويقبضه ويذهب به، فيهلك الخلق: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠].

رزق اللَّه تعالى لعباده نوعان: عام وخاص:

١ - **الرزق العام**: هو ما يوصله لجميع المخلوقات مما تحتاجه في معاشها واستمرار

---

(١) انظر: سنن الترمذي (٢/ ٣٢)، وصحيح ابن ماجه (٢/ ١٥).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٤).

حياتها، فسهَّل لها الحصول على الأرزاق، ودبرها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام في جميع المخلوقات من إنس وجن وحيوان ونبات. يعم ذلك البر والفاجر والمسلم والكفَّار من الثقلين: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠][1].

فالحبة الميتة - مثلًا - يقذفها الزارع في أرضه، وقد تكون بقارة أستراليا، وقد تكون بقار أمريكا، وهذا رزق شخص أو عشرات الأشخاص في قارة أخرى. فتصور ذلك الزارع وهو يزرع ذلك الحب ويرعاه وينميه ويحصده ويجمعه في الأوعية المعدة له، ثم يبيعه منه تاجر آخر يذهب به في عربات النقل ويضعه في حاويات إحدى السفن، ثم تسير به عبر المحيطات والبحار تتقاذفها الرياح والأمواج حتى يصل إلى صاحبه. وهذا الصاحب لا يدري عن رزقه ذلك المزروع قبل عشرات الأشهر، وهو ينتقل في بلده من عمله إلى بيته إلى غير ذلك، ثم بحركة بسيطة إلى تاجر الحبوب يحمله إلى بيته. وهكذا يعرف المؤمن بعض جوانب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فاللَّه تعالى هو الرزاق القوي؛ إذ يرعى كل رزق لصاحبه ويحمله إليه أنى كان وحيث وجد، فما أعظمه من إله! وما أقواه من رزاق![2].

٢ - **الرزق الخاص**: وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، **وهو أيضًا قسمان**:

أ - ما يصلح به البدن من الرزق الحلال الطيب الهنيء الذي لا صعوبة فيه، ولا تبعة تعتريه في الآخرة، بل هو وسيلة إلى الازدياد من الطاعات والاستكثار من الحسنات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ب - رزق القلوب بالعلم والإيمان، وما يصلحها من المعرفة والهدى والعمل الصالح والخُلق الحسن، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له، متعبدة للَّه تعالى، وبذلك يحصل قوتها وغناها ويزول فقرها وحاجتها[3].

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٩٠).

(٢) أحمد سعد حمدان: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (٣/ ٥٢٤)، الحاشية رقم (١).

(٣) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٨٥، ٨٦).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن المتفرد بالرزق هو اللَّه وحده لا شريك له، فهو المستقل بالخلق والرزق لا يشاركه في ذلك أحد.

٢ - أن اللَّه ﷻ متكفل برزق من في السموات والأرض.

٣ - وكل ذلك يقع في الكون بلا ثقل ولا كلفة ولا مشقة، قال الطحاوي: « رزاق بلا مؤنة »[١].

٤ - أن اللَّه تعالى لم يختص برزقه من آمن به، وإنما رزقه ممنوح لمن آمن به ولمن كفر به على السواء، وهذا من عظيم لطفه سبحانه.

٥ - أن اللَّه سبحانه متحكم في أرزاق عباده، يبسط لمن يشاء ويقدر، وله في ذلك حكم بالغة.

٦ - كثرة الرزق في الدنيا لا تدل على محبة اللَّه تعالى، ولكن الكفار لجهلهم ظنوا ذلك[٢].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

إن حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أمران:

أحدهما: أن يعرف كنه وحقيقة هذا الاسم بأنه لا يستحقه إلا اللَّه تعالى، فلا ينتظر الرزق إلا منه، فلا يقول مثلًا: فلان أو الحكومة قطعوا رزقي! بل يتوكل على اللَّه ﷻ حق التوكل فيرزقه كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا، كما جاء في الحديث الصحيح: « **لو أنكم توكلتم على اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير**... » (الحديث)[٣].

وفي هذا السياق روي عن حاتم الأصم - رحمه اللَّه - أن رجلًا قال له: من أين تأكل؟ فقال: من خزانته، فقال الرجل: أيلقى عليك الرزق من السماء. فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء، فقال الرجل: إنكم تقولون الكلام، فقال: لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام، فقال الرجل: إني لا أقوى على مجادلتك، فقال: لأن الباطل لا يقوى مع الحق[٤].

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص ١٢٥).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٣٨ - ١٤١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠ - ٣٢).

(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٥).

الثاني: أن يرزقه علمًا هاديًا ولسانًا مرشدًا معلمًا ويدًا منفقة متصدقة، ويكون سببًا لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله، ووصول الأرزاق والأقوات إلى الأبدان بأفعاله وأعماله. وإذا أحب اللَّه عبدًا أكثر حوائج الخلق إليه. ومهما كان واسطة بين اللَّه تعالى وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم، فقد نال حظًّا من هذا الاسم، قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به فيعطيه كاملًا موفورًا طيبة به نفسه أحد المتصدقين...** »(١). وأيدي العباد خزائن اللَّه تعالى، فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان، ولسانه خزانة أرزاق القلوب، فقد أكرم بنصيب من هذا الاسم(٢)، وليكون للعبد حظ من هذا الاسم سن له أن يسير في أرض اللَّه الواسعة، ويلتمس الأسباب، ويطلب الرزق في أرجائها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

- وإذا تيقن العبد بأن اللَّه تعالى هو الرزاق، فعليه الاستعانة به في تحصيل الرزق، فإذا زرع توجه إلى رازقه كي يحفظه ويبارك فيه، وإذا أمسكت السماء القطر تضرع إلى خالقه ورازقه كي يسقيه الغيث ويفيض عليه من بركات السماء: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

- كما ينبغي للعبد شكر اللَّه تعالى على ما أنعم به من رزق بطاعته، والاستقامة على أمره، واتباع شرعه، فالشكر مفتاح الخيرات وسائق البركات كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦].

- كما أن العبد المؤمن ينأى بنفسه عن تحليل وتحريم رزق اللَّه تعالى بهواه، وقد عد اللَّه ﷻ اتباع المشرعين في ذلك عبادة لهم من دون اللَّه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد بين النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم أن اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابًا كان بمتابعتهم فيما أحلوه وحرموه مناقضين حكم اللَّه ﷻ.

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ١٠٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٨٥، ٨٦) بتصرف.

- وعليه أن يستشعر في الدنيا أن ما في يده هو رزق اللَّه تعالى، فلا يجوز أن يبخل في إنفاقه في سبيل اللَّه، فالمال عارية الإنسان مستخلف فيه، فقبيح أن يمنع اللَّهَ ﷻ مما هو له: ﴿ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- وعليه أن يعلم أن تقوى اللَّه وطاعته سبب عظيم للرزق والبركة فيه، وأن المعصية شؤم تنقص الرزق والبركة؛ لأن ما عند اللَّه تعالى لا يُنَال إلا بطاعته.

* * *
* *
*

(٢٤)

الفتاح

ورد اسم الفتاح في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦].

قال الراغب الأصفهاني: « **الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان أحدهما يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه...** ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ ﴾ [يوسف: ٦٥]، **والثاني يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك على ضروب: أحدها في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه، كقوله تعالى:** ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] ... **والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم بابًا مغلقًا... وفتح القضية فتاحًا، فصل الأمر فيها وإزالة الإغلاق عنها** »[١].

معاني « الفتاح »:

والفتاح - كما يقول الخطابي -: « هو الحاكم بين عباده »[٢]. أي القاضي بينهم، الذي لا حكم فوق حكمه؛ لأنه عليم ومحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء من أمر الخصوم، ولا يحتاج إلى شهادة الشهود، ولا إلى دلائل الإثبات؛ ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦]، فقرن بين الفتاح والعليم للدلالة على أنه يحكم بعلمه الذي وسع كل شيء، فهو عالم بحقائق الأمور وفق ما وقعت عليه[٣].

وفي مجال المداولة بين الكفار والمؤمنين، يستفتح الرسل بدعوتهم ربهم أن يحكم بينهم وبين قومهم، وذلك دعاء منهم لإهلاك قومهم، كما فعل شعيب عليه السلام، وهو يواجه قومه الذين أرادوا إخراجه من قريته إذا لم يرجع إلى ملة الكفر، فدعا ربه عز وجل: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ففتح الله - تبارك

---

(١) المفردات (ص ٣٧٠).

(٢) شأن الدعاء (ص ٥٦).

(٣) شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ١٠٨).

وتعالى - بينه وبينهم، وذلك بتدميرهم وإهلاكهم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١].

والفتاح - أيضًا -: هو الذي ينفتح بعنايته كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل[١]. ويفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليبصروا الحق[٢].

ومن هذا الفتح الرباني الرحمات التي يصيب بها اللَّه تعالى عباده، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢]. ومن الرحمة التي يفتحها اللَّه ﷻ لعباده إدخال الإيمان في القلوب، وهداية من كان في قلبه قابلية للهداية. ومن ذلك توفيق المؤمنين إلى طاعة الرحمن والأعمال الصالحة وتزيين ذلك في قلوبهم، حتى يقوموا به في يسر وسهولة. ومن ذلك ما يفتح اللَّه تعالى على من يختارهم من عباده من أبواب العلم الذي يفقهون به كتابه وسنة نبيه ﷺ، حتى تستضيء به قلوبهم، ويهتدوا بما علمهم من دينه وشريعته إلى الحق مما اختلف فيه الناس. وكذلك المعتصمون به من عباده الذين ألمت بهم الشدائد، فيفتح عليهم، ويجعل لهم من كل ضيق فرجًا، ومن كل همٍّ مخرجًا[٣].

والفتاح: هو الحَكَم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسمان: **أحدهما**: فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي، **والثاني**: بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم. وأما فتحه الجزائي فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم كما سبق. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفي ﷻ كل عامل ما عمله. وأما فتحه القدري، فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، وفق حكمته العليا[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه سبحانه هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة بالقسط والعدل، ويفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرسل من الرسل، وأنزل من الكتب.

٢ - توجهت الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إلى اللَّه الفتاح سبحانه أن يفتح

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٦).
(٢) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٥٦).
(٣) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١١١).
(٤) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٥٦).

بينهم وبين أقوامهم المعاندين فيما حصل بينهم من الخصومة والجدال في أمر الرسالة، ففتح بينهم بالحق؛ فنجى الرسل وأتباعهم، وأهلك المعاندين الجاحدين المعرضين عن الإيمان بآيات اللَّه.

٣ - وكذا يوم القيامة، فإن اللَّه - تبارك وتعالى - هو الفتاح الذي يحكم بين عباده فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا.

٤ - أن اللَّه تعالى متفرد بعلم مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وبيده مفاتيح السموات والأرض.

٥ - قد يفتح اللَّه سبحانه أنواع النعم والخيرات على الناس استدراجًا لهم، إذا تركوا ما أمروا به، ووقعوا فيما نهوا عنه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤][١].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

ليكون للعبد حظ من اسم الفتاح، ينبغي أن يتعطش إلى أن يصير بحيث ينفتح بلسانه مغاليق المشكلات الإلهية، وأن يتيسر بمعونته ما يتعسر على الخلق من الأمور الدينية والدنيوية[٢].

كذلك ينبغي أن يعتصم باللَّه تعالى ويلجأ إليه، ويتوكل عليه، ويلح عليه في الدعاء والرجاء ليوفقه إلى ما فيه الصلاح والسداد، ويحبب إليه الطاعات، ويفتح عليه في العلم ليهتدي إلى الحق ويتبين سنن الهدى.

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٤٥ - ١٤٨).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٦).

(٢٥)

العليم

ورد اسم العليم في القرآن الكريم أكثر من مائة وخمسين مرة، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤]، وقال جل ثناؤه: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

سعة علم اللّه وإحاطته بكل شيء:

قد أخبرنا اللّه - تبارك وتعالى - في كتابه الكريم عن علمه الواسع الذي أحاط بكل شيء: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]. فهو ﷻ عالم بالكون من حولنا، شهيد على أقوال وأعمال العباد: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

ولا فرق في علم اللّه بين من أسرَّ القول ومن جهر به، ولا بين المستخفي في ظلمة الليل والمستعلن في ضوء النهار: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠]، فعِلْم اللّه تعالى في كل مكان، لا يغيب عنه شيء، لا تفلت منه ذرة في السموات ولا في الأرض: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦][١].

خصائص علم اللّه تعالى:

إن علم اللّه تعالى بالغ شامل لجميع المعلومات محيط بها، سابق على وجودها، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه شيء، فهو عليم بكل شيء ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

على أن اللّه ﷻ هو العليم المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات والممتنعات والممكنات. فيعلم - تقدست أسماؤه - نفسه الكريمة ونعوته المقدسة وأوصافه

---

(١) الأشقر: أسماء اللّه الحسنى (ص ١١٣، ١١٤).

العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت؛ كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. كما يعلم ﷻ الممكنات وهي التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتضِ الحكمة إيجاده[١].

فعِلْم اللَّه ﷻ لا نهاية له، ثابت لا يزول، لا يتغير بتغير المعلومات، ولا يزيد بالإضافة ولا ينقص بالنسيان، مستفادة منه الأشياء، أي أن علمه سابق للأشياء وسبب لها[٢].

والنصوص في ذكر إحاطة علم اللَّه وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جدًا لا يمكن حصرها وإحصاؤها، فاللَّه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأن علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم اللَّه اضمحلت وتلاشت، فهو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون[٣].

فاللَّه ﷻ يعلم ما ظهر وما بطن وما غاب وما حضر، لا يندّ عن علمه شيء في الزمان ولا في المكان، في الأرض ولا في السماء، في البر ولا في البحر، في جوف الأرض ولافي طباق الجو: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فهذه الآية الكريمة تبين صورة لعلم اللَّه الشامل المحيط الذي يشمل آماد الزمان وآفاق المكان، وأغوار المنظور والمحجوب والمعلوم والمجهول. المشرف على كل شيء، المحيط بكل شيء، الحافظ لكل شيء، الصغير والكبير، والحقير والجليل، والخفي والظاهر، والمجهول والمعلوم، والبعيد والقريب[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - إثبات العلم التام الكامل الشامل للَّه تعالى، فعلم اللَّه تعالى علم حقيقة وإحاطة وكمال.

٢ - أن اللَّه تعالى لكمال علمه المطلق يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن ولو كان كيف يكون؛ أي أنه سبحانه يعلم الأمور الماضية التي وقعت، والأمور المستقبلية التي

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٣٨٠، ٣٨١). (٢) المرجع السابق (ص ٣٨١).
(٣) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٣٧، ٣٨). (٤) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢/ ١١٢٣).

لم تقع بعد، ويعلم الأمور التي لن تقع لو فرض أنها تقع كيف تقع، وهذا من كمال علمه بالغيب وعواقب الأمور.

٣ - أن الخلق علمهم نسبي محدود قليل، لا يحيطون علمًا بالخالق، أي: لا يعلمون شيئًا من ذاته وصفاته إلا ما أطلعهم اللَّه تعالى عليه عن طريق رسله وكتبه المنزلة. كما لا يعلمون شيئًا من المعلومات إلا بتعليم اللَّه لهم وتسخيره الظواهر الكونية لهم، فكل علم قدري وشرعي فمرجعه إلى اللَّه العليم الحكيم(١).

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد من هذا الاسم أن يعرف اللَّه تعالى ويقدره حق قدره، ولا يكون ذلك إلا بالعلم: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وفي هذا السياق يقول أبو حامد الغزالي: « وشرف العبد بسبب العلم؛ من حيث إنه من صفات اللَّه ﷻ، ولكن العلم الأشرف ما معلومه أشرف. وأشرف المعلومات هو اللَّه تعالى، فلذلك كانت معرفة اللَّه أفضل المعارف، بل معرفة سائر الأشياء أيضًا إنما تشرف لأنها معرفة لأفعال اللَّه ﷻ أو معرفة للطريق الذي يقرب العبدَ من اللَّه ﷻ، أو الأمر الذي يسهل به الوصول إلى معرفة اللَّه تعالى والقرب منه، وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كثير شرف »(٢).

كذلك إذا آمن العبد بأن اللَّه تعالى عالم به، مطلع عليه، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأن اللَّه تعالى يعلم سره ونجواه، فإن ذلك يثمر له الخشية والمراقبة، ويحمله على الاستقامة على أمر اللَّه والبعد عن معصيته.

كذلك ليكون له حظ من هذا الاسم يجب أن يتواضع للَّه تعالى ويسأله الزيادة في العلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤] ولا يزهو ويفتخر بعلمه، وليعلم أن ما أوتي من علم هو بتوفيق من اللَّه تعالى ومنِّه وبكرمه. وليدرك أن ما توصل إليه البشر اليوم من إنجازات علمية هائلة، جعلت كثيرًا من العلماء يختالون فرحًا بما أوتوا من العلم، لا يعدو أن يكون غرورًا وتبجحًا؛ لأن ما عَلِمَهُ البشر بالنسبة لعلم اللَّه تعالى لا يساوي شيئًا؛ فعلمهم في علم اللَّه ﷻ قطرة في بحر، وذرة من كون.

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٥٢ - ١٥٥) بتصرف.
(٢) المقصد الأسنى (ص ٨٩).

(٢٦، ٢٧)

السميع، البصير

السميع البصير اسمان من أسماء اللَّه الحسنى، وقد ذكر **السميع** في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، اقترن في أكثر من ثلاثين موضعًا باسم العليم، وفي عشرة مواضع بالبصير، كقوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]. وورد اسم **البصير** في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعًا، اقترن في أحد عشر موضعًا منها بالسميع، كقوله جل ذكره: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦].

على أن الاقتران بين هذين الاسمين له دلالته؛ لأن كلًّا من السميع والبصير محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فسمعه أحاط بجميع المسموعات وبصره أحاط بجميع المبصرات[١].

معنى « السميع البصير »:

والسميع: هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فيسمع السر والنجوى، بل ما هو أدق من ذلك وأخفى، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء[٢].

أما البصير، فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى[٣]؛ إذ أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرضين والسموات، فيرى حركة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة، وأصغر من الذرة[٤].

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣٧٢).
(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٩٠).
(٣) المصدر السابق (ص ٩١).
(٤) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٣٤).

قال ابن تيمية: « الرب سبحانه لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، والله سبحانه في الدنيا يسمع دعاء الداعين، ويجيب السائلين مع اختلاف اللغات، وفنون الحاجات »(١).

فسمع اللَّه محيط بجميع الأصوات، ففي اللحظة الواحدة يسمع دعاء الداعين، وقراءة القارئين، وأنين الشاكين، وبكاء الباكين، كما يسمع زقزقة الطيور، ونقيق الضفادع، وثغاء الأغنام، ورغاء الإبل، ويعار الشاء، وزئير الأسود، وخرير المياه، وعصف الرياح، وطنين الذباب، لا يخفى عليه من ذلك شيء(٢).

وقد أخبرنا سبحانه عن سعة سمعه المحيط بكل شيء؛ فقد جاءت خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت تجادل الرسول ﷺ في أمر زوجها الذي ظاهر منها، فلم ينقضِ جدالها معه إلا وقد أنزل اللَّه تعالى في شأنها قرآنًا يتلى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

وفي هذا السياق تقول أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها -: « الحمد للَّه الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل اللَّه قوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ (الآية) »(٣).

كما أن بصره نافذ في جميع مخلوقاته، لا يغيب عنه شيء منهم، ولا يحجبه سبحانه عن خلقه شيء، فهو يراهم؛ كبيرهم وصغيرهم في ظلمة الليل ووضح النهار، المختفي منهم في بطن الأرض والظاهر فوقها(٤).

اللَّه منزه عن صفات المخلوقين:

من المقطوع به أن اللَّه ﷻ يبصر ويسمع حقيقة على ما يليق بجلاله، منزه عن صفات المخلوقين ومماثلتهم. وقد جاءت الآيات صريحة في إثبات السمع والبصر للَّه ﷻ.

قال البيهقي: « السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والسمع له صفة قائمة بذاته، والبصير من له بصر يرى به المرئيات، والبصر له صفة قائمة بذاته »(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٦).
(٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٢٥).
(٣) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح مختصرا تعليقًا في كتاب التوحيد، باب (رقم ٩) (٨/ ١٦٧).
(٤) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٢٥).
(٥) الاعتقاد (ص ٥٨).

ونقل ابن منظور عن الأزهري قوله: « والعجب من قوم فسروا السمع بمعنى المسمع، فرارًا من وصف اللَّه بأن له سمعًا، وقد ذكر اللَّه الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصف اللَّه بما وصف اللَّه به نفسه بلا تحديد ولا تكييف »[١].

وعلى هذا النحو، على المسلم أن يثبت للَّه تعالى السمع والبصر على الطريقة التي أثبتها لنفسه من غير تشبيه ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، فاللَّه ﷻ ليس كمثله شيء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فقد أثبت لنفسه الصفات، وفوض الكيفية.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - إثبات صفة السمع والبصر للَّه ﷻ كما وصف اللَّه ﷻ نفسه.

٢ - أن سمع اللَّه تعالى وبصره مستغرق لجميع المسموعات والمرئيات، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي، سرًّا كان أو جهرًا، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في خفيات مظلم الأرض، يبصر كل شيء وإن رق وصغر، ويبصر ما تحت الثرى كما يبصر ما فوق السموات السبع[٢].

حظ العبد المؤمن من هذين الاسمين:

حظه من هذا أمور:

١ - أن يعلم أن اللَّه ﷻ سميع، فيحفظ لسانه من كل ما يشينه أو ينزلق به إلى مهاوي الغيبة والنميمة واللغو والفحش من القول.

٢ - أن يعلم أنه لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام اللَّه تعالى وحديث رسوله ﷺ والمواعظ الحسنة، فيستفيد بذلك كله في الهداية إلى طريق اللَّه ﷻ.

٣ - أن يعلم أنه خلق له البصر لينظر إلى الآيات وإلى عجائب الملكوت والسموات، فلا يكون نظره إلا عبرة وعظة.

٤ - أن يعلم بأنه بمرأى من اللَّه ﷻ، فلا يستهين بنظره إليه واطلاعه عليه. ومن أخفى

---

(١) لسان العرب (٢/ ٢٠٣).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٦٠، ١٦١، ١٦٥، ١٦٦).

عن غير اللَّه ما لا يخفيه عن اللَّه فقد استهان بنظر اللَّه ﷻ. والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة. فمن قارف معصية وهو يعلم أن اللَّه ﷻ يراه فما أجسره وما أخسره، ومن ظن أن اللَّه تعالى لا يراه فما أظلمه وما أكفره[١].

وإذا أيقن العبد أن بصر اللَّه تعالى يحيط به، وأنه سامع لأقواله، صلحت أعماله، واستقامت أموره، وبلغ درجة الإحسان في الأعمال، وعظم توكله على ربه ﷻ.

وحين يصل إلى هذه الدرجة من المراقبة يبلغ مقامي الإخلاص والشهادة؛ ومقام الإخلاص أن يستحضر العبد مشاهدة اللَّه تعالى إياه، واطلاعه عليه وقربه منه. فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص للَّه تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير اللَّه وإرادته بالعمل. أما مقام الشهادة فهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته للَّه بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام[٢].

* * *
* *
*

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٩١، ٩٢).

(٢) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم (١/ ١٣٢).

(٢٨، ٢٩)

الحكيم، الحَكَم

ورد اسم الحكيم في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيز، والعليم، والخبير، والعلي؛ مما يدل على أن حكمة اللَّه ﷻ صادرة عن عزة وعلم وعلوٍّ وخبرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وقوله جل ذكره: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

معنى « الحكيم »:

والحكيم - على الإطلاق -: هو الذي أحكم أقواله وأفعاله، فأقواله وأفعاله صواب كلها، بلغت غاية الإتقان، ومن الإتقان فيها - الذي هو غاية الحكمة - وضعه كل شيء في موضعه، فقد دبر خلقه أحسن تدبير، وصنع مخلوقاته أحسن الصنع، فلا يدخل في تدبيره وتقديره خلل، ولا يعرو صنعه نقص أو قصور، ولا يقع في أفعاله زلل ولا خطأ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (الآية) [السجدة: ٧][1].

والحكيم: من أحكم الأفعال وأتقنها، فلا تفاوت فيها ولا اضطراب، وقيل: بناء محكم: أي قد أتقن وأحكم. فاللَّه ﷻ حكيم كما وصف نفسه بذلك لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض[2].

وفي هذا السياق يقول أبو حامد الغزالي: « واللَّه تعالى هو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء ولا شبهة. ولا يتصف بذلك إلا علم اللَّه ﷻ. وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها: حكيم، وكمال ذلك أيضًا ليس إلا للَّه تعالى، فهو الحكيم الحق.

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٢٨).

(٢) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٦٠).

إذًا فاللَّه - تبارك وتعالى - حكيم يحكم خلق الأشياء بإتقان التدبير فيها، وحكم التقدير لها، فالحكمة في حقه سبحانه هي معرفة الأشياء، والعلم بها علم إحاطة، وإيجادها على غاية من الإحكام والإتقان والكمال »(١).

حكمة اللَّـه تشمل عالم الطبيعة وميدان الشريعة:

وكما أحكم اللَّه تعالى خلقه؛ إذ هو خالٍ تمامًا من الخلل والقصور والنقص: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٣، ٤]، فقد أحكم آيات كتابه إحكامًا فوقه إحكام: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وحكمته - تبارك وتعالى - نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقه وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللًا ولا نقصًا ولا فطورًا.

ثانيهما: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجلُّ من هذا؟! وقد اشتمل شرعه على كل خير يملأ القلوب علمًا وإيمانًا وتقًى، ويثمر كل خلق جميل وعمل صالح، ويغمر المجتمعات الإنسانية بالسعادة والأمن والعدل؛ لأن أوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح؛ إذ لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عن مضرة خالصة راجحة(٢).

آثار حكمة اللَّه في مخلوقاته:

إن آثار حكمة اللَّه تعالى في مخلوقاته لا يحصيها العد، وإنما نذكر نماذج من ذلك للإيضاح:

- عالم الطبيعـــة:

- عندما ينظر الإنسان إلى الأرض التي يعيش عليها يجدها كُرة معلقة في الفضاء تدور

(١) المقصد الأسنى (ص ١٢٠).

(٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٣٥١). السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٤٨ - ٥٤).

حول نفسها، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذي يؤدي بدوره إلى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح هذا الكوكب، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة. كما يحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد إلى ارتفاع كبير يزيد على (٥٠٠) ميل. ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة إليها. وكذلك فإن الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات؛ حيث يمكن أن يتكاثف مطرًا يحيي الأرض بعد موتها[١].

- ولو نظرنا إلى الماء لوجدنا فيه دلالة واضحة على الحكمة وحسن التدبير؛ إذ يمتاز بخواص تعمل على صيانة الحياة؛ منها درجة ذوبانه المرتفعة، فهو يبقى سائلًا فترة من الزمن طويلة، ومنها أنه يحتوي على حرارة تصعيد بالغة الارتفاع، فيساعد بذلك على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت، ويصونها من التقلبات العنيفة. ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير. كما للماء خواص أخرى فريدة تدل على الحكمة؛ فقد رسم وصمم بما يحقق صالح المخلوقات؛ فالماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد، ولهذه الخاصية أهمية كبرى بالنسبة للحياة؛ إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد بدلًا من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحار والأنهار، ويكون تدريجيًّا كتلة صلبة لا سبيل إلى إخراجها وإذابتها. ويكوِّن الجليد الذي يطفو على سطح البحر طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد، وبذلك تبقى الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية حية. وللماء أيضًا توتر سطحي مرتفع يساعد على نمو النبات بما ينقله إليه من المواد الغذائية التي بالتربة. كما أن الماء أكثر السوائل المعروفة إذابة لغيره من الأجسام، وهو بذلك يؤدي دورًا كبيرًا في العمليات الحيوية داخل أجسامنا بوصفه مركبًا أساسيًّا من مركبات الدم[٢].

---

(١) نخبة من العلماء الأمريكيين: اللّـه يتجلى في عصر العلم (ص ٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٤، ٤٥).

- **عالم الحيوان:**

وفي عالم الحيوان إذا نظرنا إلى أفواه الحيوانات الصنارية المفترسة؛ كالأساد والذئاب نجد أن الحكيم ﷻ قد زودها بأنياب قاطعة وأسنان حادة، وما ذاك إلا أن طعامها هو ما تهاجمه من فرائس، ولأجل ذلك زودت في أرجلها بعضلات قوية، وأظافر ومخالب حادة لاستعمالها في الهجوم، أما معداتها فقد حوت الأحماض والمواد الهاضمة للحوم. أما الحيوانات التي تعيش على المراعي فقد صممت وأحكمت أجهزتها بما يتناسب مع حاجتها؛ فأفواهها واسعة نسبيًا، وقد تجردت من الأنياب القوية والأضراس الصلبة، وأعطيت بدلًا منها الأسنان للقضم والقطع، فهي تأكل في البراري الحشائش والنباتات بسرعة، وتبتلعها دفعة واحدة لتنزل إلى أعجب جهاز للهضم؛ فالطعام الذي تأكله ينزل إلى الكرش وهو مخزن له، فإذا ما انتهى عمل الحيوان وجلس للراحة ذهب الطعام من الكرش إلى تجويف آخر، ثم عاد إلى الفم ليمضغ مضغًا جيدًا؛ حيث يذهب بعد ذلك إلى تجويف ثالث ثم رابع. وهذه العملية صممت لفائدة الحيوان؛ لأن العشب من النباتات العسرة الهضم لما يحتويه من الألياف (السليلوز). ولو أن الحيوان مضغ هذا العشب مضغًا جيدًا فور تناوله لضاع اليوم كله دون أن يأكل ما يشبعه. ومن ثم فهو يبلع سريعًا ويخزن في الكرش، ثم يرجعه مرة ثانية أثناء راحته للمضغ على مهل بعد أن يكون قد حصل له شيء من التخمر[1].

- **عالم الإنسان:**

إن كل شيء في الإنسان ومن حوله مخطط ومنظم ومحكم، ويسعى نحو تحقيق هدف رسمه له الحكيم ﷻ، سواء عرف الإنسان الحكمة من ذلك أو لم يعرف. فمثلًا ثمرة التفاح خلقت للإنسان ليستفيد منها جسمه؛ ولذلك نجدها تحمل فيتامين (C)، وكذا غرامًا واحدًا من الحديد، وهذه هي المقادير التي يحتاجها جسم الإنسان يوميًا. ولو سألنا علماء التغذية: لماذا الحديد مع فيتامين (C)؟ لكان الجواب حتى لا يتعفن فيتامين (C)؛ لأنه مادة ذات تحمل ضعيف، بل هناك مزيد من التخطيط بإضافة أيونات الكربونات إلى محتوى التفاح. ولو سألنا لماذا؟! لكان الجواب: لأن الكمية الكبيرة الموجودة من حامض الفاكهة في التفاح تؤدي إلى زيادة الحموضة في المعدة، وهذه

(١) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ٣٥٦).

الأيونات تحد من ذلك. وهكذا فالقدرة الإلهية الحكيمة رتبت الأمور ونظمتها أحسن تنظيم، فتبارك اللَّه أحكم الحاكمين[١].

في ميدان الشريعة الإسلامية:

وإذا نظرنا إلى جانب آخر من جوانب حكمته ﷻ وهي حكمة شرعه، نجد أن أحكامه الشرعية في غاية الإحكام. انظر أيها القارئ اللبيب إلى العقوبات التي حددها الإسلام لجرائم الزنا والقذف والسرقة والسُّكْر والمحاربة والردة والبغي، تجد إقامة هذه الحدود فيها خير ونفع للناس؛ لأنها تمنع الجرائم، وتردع العصاة، وتزجر من تسول له نفسه الأمارة بالسوء انتهاك الحرمات، وتحقق الأمن للمجتمع، ولكل فرد على نفسه وعقله وماله وعرضه، فأي حكمة أعظم من هذا؟!

ويبين عبد القادر عودة بعض أوجه الحكمة قائلًا: « ففي جريمة الزنا مثلًا فرقت الشريعة بين المحصن والبكر، فخففت عقوبة البكر، وغلظت عقوبة المحصن، وعلة التخفيف على البكر والتشديد على المحصن أن الإحصان يسد الباب على الجريمة، ويفتح للمحصن أبواب الحلال، فانقطعت لذلك الأسباب التي تؤدي إلى الجريمة من ناحية العقل، ولم تعد هناك معاذير لتخفيف العقوبة، وأصبح لا بد أن يؤخذ المحصن بعقوبة الاستئصال (الرجم)؛ لأنه مثل سيئ لغيره، وليس للمثل السيء في الشريعة الإسلامية حق البقاء. والحكيم سبحانه عندما وضع هذه العقوبة إنما كان ذلك لحكمة وهي محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عنها.

فالدافع الذي يدعو الزاني للزنا هو اشتهاء اللذة والاستمتاع بالنشوة التي تصحبها، والدافع الوحيد الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم، ولا يمكن أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة إذا تذوق مس العذاب، وأي شيء يحقق الألم ويذيقه مس العذاب أكثر من الجلد مائة جلدة؟! فالحكيم ﷻ حينما وضع عقوبة الجلد وضعها على أساس من طبيعة الإنسان، وفهم لنفسيته وعقليته، فهي تدفع العوامل النفسية التي تدعو إلى الزنا بعوامل نفسية مضادة تصرف عن الزنا، (بينما) عقوبة الزنا في القوانين الوضعية الحبس وهي عقوبة لا تؤلم الزاني إيلامًا يحمله على هجر اللذة التي يتوقعها من وراء الجريمة، ولا تثير

---

(١) نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٣٣، ٣٤).

فيه العوامل النفسية المضادة للعوامل النفسية الداعية»[١].

وعلى العموم إن تأملنا في العقوبات التي أوجبها الشارع الحكيم على الجناة، نجد أن اللَّه - تبارك وتعالى - أحكم وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر؛ ليعيش الناس في مجتمعاتهم في وئام وانسجام آمنين سعداء.

وهناك إشارة لطيفة لابن القيم - رحمه اللَّه - بأن أحكام الشرع الحنيف مبنية على الحكمة والغاية والهدف، وتتجلى فيها رحمة اللَّه تعالى وعدله ولطفه وإحسانه بخلقه؛ فلم يشرع اللَّه ﷻ قطع اللسان في الكذب، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس، وإنما شرع لهم في ذلك ما هو موجب أسمائه وصفاته من حكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وعدله، لتزول النوائب وتنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان، ويقتنع كل إنسان بما آتاه اللَّه مالكه وخالقه، فلا يطمع في استلاب غير حقه[٢].

معنى «الحكَم»:

الحكَم هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويقضي بينهم بعدله وقسطه، ويفصل بينهم بشرعه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه[٣].

فاللَّه ﷻ هو الحكم الذي سُلِّم له الحكم، ورُدَّ إليه الأمر لقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

وهو ﷻ المستحق لأن يكون حكمًا بين عباده؛ لأنه ربهم وخالقهم ومعبودهم: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، ولأن حكمه - تبارك وتعالى - كله خير ورحمة وعدل وحكمة: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، ولأنه ﷻ خير الحاكمين وأحكم الحاكمين،

(١) التشريع الجنائي الإسلامي (ص ٦٤٠ - ٦٤٩). (٢) إعلام الموقعين (ص ٩٥).

(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٥٦).

فهو العالم بكل شيء، والذي يعطي كل مسألة الحكمَ الذي يناسبها: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين: ٨]، ولأنه ﷻ الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن الحكم للَّه وحده، لا شريك له في حكمه: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

٢ - اللَّه ﷻ يحكم ما يريد وما يشاء، وحده لا شريك له، وله الحكمة البالغة في ذلك كله.

٣ - كلام اللَّه حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين.

٤ - أمر اللَّه تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بين الناس بما أنزل إليه من الأحكام الربانية الآمرة بكل خير، والناهية عن كل شر، وأن يترك ما سواه من الأهواء، والتخرصات البشرية.

٥ - خَلْقُ اللَّه سبحانه محكم لا خلل فيه ولا قصور: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨].

٦ - أن اللَّه تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وهي عبادته - تبارك وتعالى -[١].

حظ العبد المؤمن من هذين الاسمين:

يقول أبو حامد الغزالي: « من عرف جميع الأشياء ولم يعرف اللَّه ﻷ لم يستحق أن يسمى حكيمًا؛ لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها. والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجلُّ من اللَّه ﻷ. ومن عرف اللَّه تعالى فهو حكيم وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية، كَلِيلُ اللسان، قاصر البيان فيها »[٢].

والحكيم من البشر من يهتم بما ينفع في العاقبة، ولا يحمل همَّ مصالح العاجلة. ولذلك فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا. وسيد الحكماء هو رسول اللَّه ﷺ، فقد

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٧١ - ١٧٩).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٢٠).

روي عنه قوله: « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه** »(١)، وقوله عليه أفضل الصلاة: « **كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس** »(٢)، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: « **ما قل وكفى خير مما كثر وألهى** »(٣)، وقوله ﷺ: « **السعيد من وعظ بغيره** »(٤)، وجاء في الآثار عن بعض الحكماء: « البلاء موكل بالمنطق »(٥) و « الصمت حكمة وقليل فاعله »(٦) و « القناعة مال لا ينفد »(٧).

وكذلك ينبغي للعبد المؤمن أن لا يتخذ من دون اللَّه حكمًا؛ لأن اللَّه تعالى لا يرضى أن يشرك في حكمه أحدًا: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]، وإنما يتخذ اللَّه ﷻ حاكمًا وحكمًا بتحكيم كتاب اللَّه ﷻ وسنة رسوله ﷺ في أقواله وأعماله وتصرفاته.

ومن أعظم البلاء والشر الذي وقع فيه البشر عبر تاريخهم المديد رفضهم تحكيم شرع اللَّه المحكم المنزل من اللَّه العزيز الحكيم، الحكم العدل، واتباعهم للقوانين الوضعية التي يخترعها البشر بمقتضى أهوائهم وشهواتهم وتخرصاتهم، بيد أن رب العزة أقسم أن الذين يدعون الإيمان لا يؤمنون حقًّا حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما تنازعوا فيه، ويرضوا بذلك تمام الرضا ويسلموا تسليمًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥](٨).

* * *

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١٠).

(٣) قال العجلوني في كشف الخفاء: رواه أبو يعلى والعسكري، وغيرهم (٢/ ٢٦٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٦).

(٥) انظر العجلوني: كشف الخفاء (١/ ٣٤٣).

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس مرفوعًا بسند ضعيف، وصحح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم. انظر العجلوني، كشف الخفاء (٢/ ٤١).

(٧) المصدر السابق (٢/ ١٥١).

(٨) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٣٠).

(٣٠)

اللطيف

ورد اسم اللطيف في القرآن الكريم سبع مرات، كقوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله عز من قائل على لسان لقمان الحكيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

معنى « اللطيف »:

واللطيف: الرفيق، وهو كما يقول ابن الأعرابي: « الذي يوصل إليك إربك - أي غرضك - في رفق، ومن هذا قولهم: لطف الله، أي: أوصل إليك ما تحب في رفق »[١].

ويقول أبو حامد الغزالي: « إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف. فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله ﷻ »[٢].

واللطيف بالعباد - كما يقول الخطابي - هو « الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون »[٣].

ومن لطفه بعباده أنه أعطاهم - تبارك وتعالى - فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة. ومن لطفه بهم أنه يسر لهم الوصول إلى سعادة الأبد بسعي خفيف في مدة قصيرة، وهي العمر، فإنه لا نسبة لها بالإضافة إلى الأبد[٤].

ولاسم « اللطيف » معنيان:

المعنى الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار وما لطف ودق من كل شيء؛ ولذلك نجد اسم اللطيف اقترن في خمس آيات كريمات باسم الخبير، كقوله تعالى:

---

(١) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٦٢).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠١).

(٣) شأن الدعاء (ص ٦٢).

(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٢).

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] وقوله عز من قائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والمعنى الثاني: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، فيمتحن عبده بما يكره لينيله ما يحب بلطفه وكرمه(١).

آثار هذا الاسم في الخلق:

- وإذا شاء المرء أن يعرف شيئًا من لطف اللَّه تعالى في خلقه فلينظر إلى لطفه ﷻ في تبخير الماء من البحار، وكيف تثيره الرياح إلى طبقات الجو، وكيف يتكثف، ويتألف هناك ليصبح سحابًا، ثم تسوقه الرياح المرسلة إلى جنبات الأرض، ثم كيف تتساقط قطرات المطر فتسقط برقة ومقدار، فلا تؤذي الإنسان ولا الحيوان والنبات، وكيف تتشربه الأرض رويدًا رويدًا، وتسقي به النباتات والأشجار، ويرزق به الإنسان والحيوان، ويسري في طبقات الأرض، فيعظم مخزونها، وتتفجر عيونها وتزيد أنهارها وخيراتها(٢).

- ومن خضرة النبات يُصنع غذاء سائر الحيوانات على ظهر الأرض، فالورقة الخضراء وعلى الأخص الخلية الخضراء أو الكلورفيل، هي بمثابة البؤرة التي تتجه نحو الطاقة الشمسية وتنشأ فيها كل فعاليات الحياة على ظهر الأرض. فالخلية الواحدة تقوم ببناء عشرين مركبًا عضويًا في دقيقة واحدة، وتلك المركبات مختلفة الأنواع؛ منها: السكرية والأحماض الأمينية، عجز العلم الحديث عن تحضيرها صناعيًا بنفس الصفة أو الصورة، فمن الذي يدفع النبات للقيام بهذه المهمة الشاقة غير الرب اللطيف المتكفل بمصالح مخلوقاته، والذي يوصلها إليهم في رفق من حيث لا يشعرون: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣](٣).

- وانظر إلى لطف اللَّه بخلقه في حاجتهم إلى الأوكسجين الذي في الهواء، وكيف جعل النبات معامل تصفي هواء الأرض؛ حيث يتحول ثاني أوكسيد الكربون الذي ينفثه

---

(١) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٦٢) بتصرف.

(٢) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٣٣).

(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٣٢، ٤٣٣) بتصرف.

الإنسان والحيوان إلى أوكسجين يتنفسه الإنسان والحيوان، ولولا ذلك لهلك الأحياء فوق ظهر هذه الأرض[١].

- وانظر أيها الإنسان إلى لطف اللَّه تعالى في خلقه الأجنة في الأرحام؛ حيث خلق الناس خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، وكيف جعل الرحم قرارًا مكينًا، يحفظ الجنين ويحوطه ويحميه، وكيف يمده الرحم بالغذاء الجاهز بواسطة الحبل السُّري، وكيف يتنامى الجنين في الرحم شيئًا فشيئًا، وكيف تتشكل أجهزته: الجهاز الهضمي وغيره من الأجهزة، والدورة الدموية والأعصاب وغيرها، وتأمل في الدورة الدموية كيف تنتشر في الجسد كله، وكيف ترتبط بالقلب فيضخ الدماء إلى جميع أجزاء الجسد!![٢].

- بل تأمل عناية الرب ﷻ ولطفه حتى بأضعف الحيوانات؛ فهناك نوع من النحل الإفريقي لا يتغذى صغاره إلا بغذاء حي؛ فإذا لم تضع النحلة صغارها في وسط حي ماتوا... ولكن هذه النحلة مخططة وموجهة من قِبَل خالقها اللطيف الخبير، بحيث تستطيع التغلب على هذه المشكلة، فتذهب وتهجم على جرادة وتلسعها بين جناحيها، ولكنها في هذه اللسعة لا تفرز المقدار الاعتيادي من السُّم كما في اللسعات الأخرى (مثلًا عندما تلسع الإنسان) مخافة أن يؤدي ذلك إلى موت الجرادة؛ لذا فإنها تعطي في هذه اللسعة سمًّا يكفي لإحداث غيبوبة في الجرادة لمدة (١٥) يومًا، وبعد ذلك تضع النحلة بيضها تحت جناحي الجرادة ثم تطير، فهي تعلم أن صغارها ستتغذى طيلة (١٥) يومًا من الغذاء الحي تحت جناحي الجرادة، وفي اليوم الخامس عشر عندما يكون الصغار على أهبة الطيران، إما أن تموت الجرادة أو تفيق وهي جريحة[٣].

على أن هذه النحلة لكي تستطيع معرفة تركيز سمها والمقدار اللازم للعملية أعلاه يجب أن تكون متخصصة في الكيمياء الحيوية، ولكي تعرف أن صغارها يحتاجون إلى بيئة حية يلزم أن تكون متخصصة في علم الأحياء، وهي لا تعرف هذا ولا ذاك، فالأمر توجيه وإلهام من الخالق - تبارك وتعالى - وما هذا إلا أثر من آثار ربوبيته ولطفه ورحمته بخلقه، فسبحان الذي أعطى كل خلقه ثم هدى[٤].

- وكذلك من لطفه تعالى بعباده إخراج اللبن الصافي لهم من بين الفرث والدم، وإخراج

(١، ٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٣٣).
(٣) نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٤٠).
(٤) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٤٣٦).

الجواهر النفيسة لهم من الأحجار الصلبة، وإخراج العسل لهم من النحل، والإبريسم من الدود، والدر من الصدف، إلى غير ذلك من النعم التي لا يمكن إحصاؤها[١].

- وانظر إلى لطف اللَّه تعالى في تجدد الخلايا، وهو أمر يسترعي الانتباه لدقته وكثرته، فعندما تموت خلية تأت الخلية الجديدة لتحل محلها بالضبط، فهناك دقة في وضع الخلية الجديدة مكان القديمة، ولو لم يحدث ذلك لمات الإنسان. ولعل هذا هو السبب في موت الإنسان بمرض السرطان الذي يعني نمو خلايا البدن وتوزعها بشكل فوضوي غير منتظم، على أن عدد الخلايا التي تموت وتستبدل بغيرها كبير. ويكفي أن نعلم أن في الساعة الواحدة تموت عشرة مليارات كرية حمراء، وعمر الكرية الواحدة حوالي (١٢٠) يومًا. وهكذا فإن الكريات الموجودة في الدم تتبدل كلها في مدى (١٢٠) يومًا، ويتجدد يوميًّا (٢٤٠) مليار كرية حمراء، ويعتبر نقي العظام هو المصنع العملاق لإنتاج هذه الكريات[٢].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى لا يفوته من العلم شيء، وإن دق وصغر، أو خفي وكان في مكان سحيق: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

٢ - اللَّه لطيف بعباده، بالغ الرأفة بهم، يريد بهم الخير واليسر بما شرع لهم من الدين، وقيض لهم أسباب الصلاح والبر. ومن لطفه بهم أن ساق إليهم أرزاقهم، وما يحتاجون إليه في معاشهم، وسخر لهم ما في الكون، ويسّر لهم أسباب ووسائل الحياة المرفهة على الأرض[٣].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد من هذا الاسم الجميل لفظًا ومعنًى: الرفق بالعباد، والتلطف بهم في الدعوة إلى اللَّه تعالى، والتدرج بهم في مراقي الفلاح، والعمل على هدايتهم إلى سعادة الآخرة، من غير إزراء وعنف، ومن غير تعصب وخصام[٤].

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٢). (٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٢٣).
(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٨٣، ١٨٤) بتصرف.
(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٢).

وأحسن وجوه اللطف في الدعوة عرضها على الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة المدعوين بالتي هي أحسن، والتأثير فيهم بالشمائل الحسنة والسيرة المرضية والأعمال الصالحة، فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المنمقة.

* * *
* *
*

(٣١)

الخبير

ورد اسم الخبير في أكثر من أربعين موضعًا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨].

معنى هذا الاسم:

يقول الخطابي: « الخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته »[١]، ويقول الغزالي: « الخبير هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة، ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها »[٢].

والدليل على أن الخبير نوع خاص من العلم؛ جمعه سبحانه بين العليم والخبير في موضع واحد، كقوله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤][٣].

فالفرق إذًا بين لفظي الخبير والعليم: أن الخبير يفيد معنى العليم المتصل علمه بكنه الأشياء وخفاياها الباطنة. فاللَّه ﷻ عليم خبير يعلم ما ظهر وما بطن وما غاب وما حضر، لا يندُّ عن عمله شيء في الزمان ولا في المكان، في الأرض ولا في السماء، في البر ولا في البحر، في جوف الأرض ولا في طباق الجو[٤].

وعلى المؤمن أن يؤمن إيمانًا جازمًا بأن اللَّه - تبارك وتعالى - خبير بعباده جميعهم من الملائكة والجن والإنس، لا يخفى عليه منهم شيء: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١]. وكما هو خبير بعباده، فهو خبير بأعمالهم في حال استقامتهم وإحسانهم، وفي حال انحرافهم والتوائهم، قال سبحانه: ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال جل ذكره: ﴿ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

---

(١) شأن الدعاء (ص ٦٣).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٠٣).

(٣) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٣٧).

(٤) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٣٨٢، ٣٨٣).

تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ١٣٥][1].

ويأتي الخبير أيضًا بمعنى المخبر بالأسرار والأحوال الخفية الباطنة، فهو سبحانه العليم بدقائق الأمور، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣][2].

قال ابن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾: « العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عنه شيء »[3].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الخبير، العالم ببواطن الأمور وخفياتها، لا يفوته من العلم شيء وإن كان صغيرًا دقيقًا.

٢ - أن اللَّه ﷻ خبير بأعمال عباده وأقوالهم، وما يجول في صدورهم من خير أو شر.

٣ - أن اللَّه سبحانه خبير بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه[4].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

من علم وأيقن أن اللَّه ﷻ خبير، آمن به إيمانًا لا ريب فيه وراقبه في السر والعلن، حتى يصل إلى درجة الإحسان، فيعبد اللَّه تعالى كأنه يراه، وكذلك فإن هذا العلم بأن اللَّه مطّلع على ما يصنع، يحمله على غض البصر، وحفظ الفرج كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

كما يدفع الإيمانُ بهذا الاسم العبدَ المؤمنَ إلى الالتزام بطاعة اللَّه ورسوله، وعدم مقارفة المعاصي، متعظًا ومعتبرًا من أن حكمه ﷻ بإهلاك المجرمين المفسدين في الأرض مبني على خبرته بهم، وبما ارتكبوا من ذنوب وآثام ومعاصٍ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٧].

---

(١) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٣٨). (٢) المرجع السابق (ص ١٣٩).

(٣) جامع البيان (١٠/ ٨١٠٢).

(٤) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٨٨، ١٨٩).

وفي هذا السياق يقول الغزالي بأن المؤمن ليكون له حظ من هذا الاسم، ينبغي أن يحاسب نفسه، ويفتش عن عيوبها، ويحذر مزالقها، ويخبر خباياها، ليكشف عن أمراض القلب التي تردي الإنسان صريعًا، يقول: « حظ العبد من ذلك أن يكون خبيرًا بما يجري في عالمه وعالم قلبه وبدنه، والخفايا التي يتصف القلب بها: من الغش والخيانة، والتطواف حول العاجلة، وإضمار الشر وإظهار الخير، والتجمل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس عنه، لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة، وقد خبر نفسه ومارسها، وعرف مكرها وتلبيسها وخداعها، فحاذرها وتشمر لمعاداتها، وأخذ الحذر منها، فذلك من العباد جدير بأن يسمى خبيرًا »[١].

* * *

(١) المقصد الأسنى (ص ١٠٣).

(٣٢)

الحليم

الحليم: اسم من أسماء اللَّه الحسنى، ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١]. وقوله عز من قائل: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٩].

معنى « الحليم »:

الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام، وذلك مع غاية الاقتدار[١].

ويعرفه الخطابي بأنه: « ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصٍ »[٢]. وينبه إلى أمر هام في صفات الحليم، وهو أن الحليم هو: « الصفوح مع القدرة »[٣].

ولذلك اقترن الحليم في الكتاب العزيز بالغفور والغني والعليم، فما وجه هذا الاقتران؟

وجه اقتران « الحليم » بـ « الغفور والغني والعليم »:

لقد قرن اللَّه تعالى صفة الحلم بالمغفرة: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١]، ذلك أن الغفور لا بد أن يكون حليمًا، فبين الصفتين صلة ونسب. يقول ابن كثير في قوله: ﴿ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾: « يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر »[٤].

وفي حديث مسلم عن النبي ﷺ قال: « **ما أحد أصبر على أذى يسمعه من اللَّه تعالى، إنهم يجعلون له ندًّا، ويجعلون له ولدًا، وهو مع ذلك يرزقهم، ويعافيهم ويعطيهم** »[٥].

---

(١) المقصد الأسنى (ص ١٠٣). (٢، ٣) شأن الدعاء (ص ٦٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٥).

(٥) الحديث (رقم ٢٨٠٤) وصحيح البخاري، كتاب الأدب (٧/ ٩٦).

كما قرن ﷻ **الحليم بالغني** في قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، وإنما قرن بينهما للدلالة على أن حلمه لم يكن عن حاجة، فهو مع حلمه على عباده غني عنهم غير محتاج إليهم[١].

وكذلك اقترن الحليم بالعليم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٩]، وإنما قرن - جل ثناؤه - بينهما لدلالة على أن حلمه ليس بجهل بما يفعله الظالمون، فهو عليم بعباده، لا يخفى عليه من أمرهم شيء، فهو - تبارك وتعالى - مع علمه بكفرهم وشركهم وضلالهم، وشتمهم له، وتكذيبهم إياه، والتقوي على معاصيه بنعمه، فإنه يتأنى بهم، ويحلم عليهم[٢].

على أن اللَّه تعالى له الحلم الكامل، والعفو الشامل. وحلمه تعالى يقتضي إمهال العاصين وعدم معاجلتهم لعلهم يتوبوا. بل إن حلمه وسع السموات والأرض، فهو الممسك للسموات والأرض أن تزولا بقدرته وعلمه وقوته وحلمه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

مدى حلم اللَّه ﷻ:

إن الكفار يجحدون آيات اللَّه ﷻ، ويكذبون رسله، ويستكبرون عن عبادته واتباع رسله، ويعرضون عن سماع الحق المنزل من عنده - تبارك وتعالى - ويتخذون من دونه أندادًا، ومنهم من يجيش بالجيوش لمصارعة رسل الإسلام وأتباعه. ومع قدرة اللَّه ﷻ على إهلاكهم وتدميرهم، تراه يتأنى بهم، ويصفح عنهم، بل يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم، وينتظر توبتهم وأوبتهم إلى الإيمان والإسلام رحمة بهم، ودعوات الأنبياء على قومهم تعطينا صورة حية لحلم اللَّه ﷻ على أولئك المعاندين الجاحدين المكذبين للرسل - عليهم السلام -.

وعلى سبيل المثال، نرى نوحًا عليه السلام ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وتكون الحصيلة النهائية بعد هذه المدة المديدة من الدعوة بكافة الأساليب أن استجاب له عدد قليل من قومه، ولا يأتي الطوفان إلا بعد هذه السنوات الطوال.

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٤٣، ١٤٤).

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٤).

وكذلك فرعون طغى وتجبر، وادعى الربوبية والألوهية، واستكبر أن يؤمن بعد أن بعث اللَّه تعالى إليه رسولين كريمين موسى وهارون - عليهما السلام - وجحد الآيات المتواترة التي جاء بها موسى عليه السلام والتي تدل على صحة نبوته حتى بلغت تسع آيات: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١]، ولم يعاجله اللَّه عز وجل بالعقوبة إلا بعد أن بيت الأمر للقضاء على موسى ومن معه وإزالتهم من الأرض: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٣].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - إثبات صفة الحلم للَّه عز وجل، وهو الصفح عن العصاة من العباد، وتأجيل عقوبتهم رجاء توبتهم عن معاصيهم.

٢ - حلمه سبحانه عن عباده وتركه المعاجلة لهم بالعقوبة من صفات كماله - تبارك وتعالى - فحلمه ليس لعجزه عنهم، وإنما هو صفح وعفو عنهم، أو إمهال لهم مع القدرة، فإن اللَّه تعالى لا يعجزه شيء.

٣ - حلم اللَّه عظيم، يتجلى في صبره سبحانه على خلقه، والصبر داخل تحت الحلم؛ إذ كل حليم صابر، وقد جاء في السنة من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليس أحد - أو ليس شيء - أصبر على أذى سمعه من اللَّه، إنهم ليدعون له ولدًا وإنه ليعافيهم ويرزقهم »[(١)].

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم:

إن الحلم من محاسن خصال العباد؛ ولذلك يحب اللَّه تعالى أن يتحلى عباده بصفة الحلم؛ فقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه: « **إن فيك لخصلتين يحبهما اللَّه تعالى: الحلم والأناة** »[(٢)].

وليكون المرء صالحًا لا بد أن يتحلى بالحلم؛ لأنه من صفات الصالحين، فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يهب له من الصالحين: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأعلمنا ربنا - جل علاه - أنه بشره بغلام حليم: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١]،

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٩١ - ١٩٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم برقم (١٨).

مما يدل على أن الحلم من صفات الصالحين[١].

كما ينبغي أن يعلم العبد بأن اللَّه تعالى حليم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فمن جهل أن اللَّه حليم كان مقصرًا وعاصيًا.

وإذا كان اللَّه تعالى يحب من عباده أن يسعوا بالأسباب التي ينالوا بها عفوه، من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، فالحليم من العباد محبوب إلى الناس، كما هو محبب إلى اللَّه تعالى. فإن الحليم بعيد عن الغضب، يتسم بالهدوء والرزانة والتأني، يكثر الصفح عن زلات من يسيء إليه، ويستر عيوبهم، ويحفظ الود، ويصون العهد، ولا يستخفه السفهاء، ولا يسارع إلى الانتقام مع قدرته عليه.

* * *

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٤٤).

(٣٣)

العظيم

معنى « العظيم »:

العظيم: هو الذي جاوز القدر وجل عن حدود العقل، حتى لا يتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته[١].

والله هو العظيم؛ لأنه يتصف بصفة العظمة والجلال والكبرياء، فلا شيء أعظم منه، فهو عظيم في كل شيء، عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في علوه ورفعته، عظيم في إبداعه وإيجاده وخلقه، عظيم في عزته وعدله وثنائه، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه[٢]. فهو العظيم المطلق الذي جاوز جميع حدود العقول حتى أنها لا تتصور الإحاطة بكنهه[٣].

معاني التعظيم:

من معاني التعظيم الثابتة لله تعالى **نوعان**:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، فهو سبحانه أعظم من كل عظيم في وجوده؛ لأن وجوده واجب أزلًا وأبدًا، وأعظم من كل عظيم في علمه وقدرته وقهره وسلطانه ونفاذ حكمه؛ فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة. ومن عظمته أن السموات والأرضين في كفه أصغر من الخردلة، كما قال ابن عباس وغيره[٤]. فتأمل ذلك النجم العملاق الذي يفوق الأرض بملايين المرات، كيف تراه في الليلة المظلمة في الفضاء السحيق كأنه هباءة أو نقطة في بحر، فسبحانه العظيم الذي لا يحيط العقل أصلًا بكنهه وحقيقته وعظمته. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) صلاح الدين حفني: مختصر النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ١٠٤).

(٢) الأشقر: أسماء الله الحسنى (ص ١٤٦). (٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٤).

(٤) شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ١٣٩).

وثانيهما: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم اللَّه تعالى، فيستحق ﷻ من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد والعلم في معرفته ومحبته والذل له والانكسار له، والخضوع لكبريائه والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر[١].

آثار عظمة اللّـه في خلقه:

إن عظمة اللَّه تعالى ليس لها حدود: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ [الملك: ٣، ٤].

فانظر أيها الإنسان نظرة متفحصة إلى البناء الكوني الذي نعيش فيه، إنه مهول الكبر، عظيم الجرم، إلى حد يصعب تصوره، وتبدو كرتنا الأرضية التي تحمل على متنها البحار والجبال والفيافي والقفار إلى جانبه كأنها ذرة هباء متطايرة في فضائه.

فهذا الكون مع أنه واسع الأمداد والمسافات إلى درجة لا يمكن تخيلها مجرد تخيل، إلا أنه مع ذلك كله، مشدود الصلب، متين البنيان، متماسك الأجزاء، متوحد الأطراف كأي جسم آخر ضئيل في حجمه صغير في جرمه[٢].

فمن الذي يشد صلبه، ويعطيه هذا المقدار العظيم من التماسك، ويمنع أجزاء جسمه الكبير والواسع الامتداد من الانفلات والضياع في دروب الفضاء؛ حيث يقاس هذا الامتداد بل التوسع بملايير السنين الضوئية؟ إنه قانون « الجاذبية » المهيمنة على الكون بديناميتها وقوتها الجبارة حتى أنها تصل إلى حد لا يمكن تصوره وتخيله في الثقوب السوداء[٣].

فالذي أوجد هذه الجاذبية ومنحها هذه القدرة العجيبة العظيمة على حفظ الموازنة بين أجرام الكون كما تتوازى كفتا ميزان - هو اللَّه ﷻ. فكل ما في الكون يجري بأمره وفق نظام بديع دقيق دون خطأ على الإطلاق، ولو بمقدار ثانية، وينقاد انقيادًا تامًّا وبطاعة

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٤). (٢) سعيد النورسي: النوافذ (ص ١٠٦).

(٣) انظر: رؤوف وصفي: الكون والثقوب السوداء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ومجلة العلم والحياة (Science et vie) الفرنسية (عدد ١٠٨٥) (ص ٤٥ - ٦١).

مطلقة إلى هذا القانون كانقياد المصلين إلى إمامهم. وهذا دليل من أدلة كثيرة على عظمة القدرة الربانية[١].

فما أعظم هذه القدرة التي تجعل تلك الأجرام الجامدة، والكتل الهائلة وهي بلا شعور تجري في منتهى النظام وكمال الميزان، وفي الحكمة، وعلى صور متباينة، وضمن مسافات مختلفة، وبحركات متنوعة، ولو حدث خطأ أو خلل ضئيل في مسارات المجرات والنجوم لحدثت انفلاتات كونية، واصطدامات هائلة، تدمر الكون وتجعله هباء منثورًا[٢]. فسبحان العظيم الذي ليس لعظمته حد.

كيف نعظم اللـه ﷻ؟

من تعظيم اللَّه ﷻ: أن ننفي عنه الشركاء والأنداد؛ لأنه المستحق - تبارك وتعالى - لأن يكون الإله المعبود بحق، والرب المتفرد بالخلق والإيجاد والتقدير والتدبير[٣].

ومن تعظيمه ﷻ: عدم تشبيهه بخلقه؛ لأنه ﷻ لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير، وعدم نفي صفاته وتعطيلها بدعوى إثباتها مما يؤدي إلى تشبيه اللَّه بخلقه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ومن تعظيمه ﷻ: عدم الإقسام عليه ﷻ؛ لأنه من سوء الأدب، كأن يقال: واللَّه لا يغفر لفلان، أو يدخل فلان الجنة. ومما يتنافى مع تعظيمه تعالى الاستشفاع به على خلقه كأن يقال لإنسان: نستشفع باللَّه عليك، أو أسألك باللَّه، أو كرمًا للَّه، فاللَّه ﷻ أعظم شأنًا من أن يتوسل به إلى خلقه؛ لأن رتبة المتوسل به دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع اللَّه تعالى؛ لأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، فكيف يجعل هو الشافع[٤].

ولذلك روي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: « **ملعون من سأل بوجه اللَّه، وملعون من سئل بوجه اللَّه ثم منع سائله ما لم يسأل هجرًا** »[٥].

ومما يقتضيه تعظيم صفات اللَّه تعالى: تعظيم القرآن الكريم؛ لأنه كلام اللَّه تعالى،

(١) سعيد النورسي: النوافذ (ص ١٠٦). (٢) المرجع السابق (ص ١٠٦) بتصرف.

(٣) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ١٦٩).

(٤) السعدي: القول السديد في مقاصد التوحيد (ص ٨٤، ٨٥).

(٥) الألباني: صحيح الجامع الصغير، وحسَّنه (١/ ١٠٢٤).

فلا يقرأ على الموتى وفي الأماكن التي يجتمع فيها الناس للعزاء، فالقرآن نزل لهداية البشر وإحياء قلوبهم: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠]. ولا يفرض حفظ القرآن الكريم أو نسخه عقابًا على التلاميذ المهملين في واجباتهم، فبئس المعلم الذي يجعل القرآن الكريم عقوبة. وكذلك وجوب الإنصات عند سماع القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وكما يجب على المستمع الإنصات يجب على القارئ أن لا يقرأ القرآن حيث لا ينصت إليه في الأسواق والمحلات التجارية والأماكن العامة وغيرها[١].

وكذلك من تعظيم اللَّه تعالى: تعظيم رسوله ﷺ، بمحبته وتوقيره، وعدم التقدم بين يديه، ومتابعته، والأخذ بسنته، والاهتداء بهديه، والصلاة عليه، وذكر مناقبه، والتعرف إلى سيرته، ونشرها بين الناس[٢].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو العظيم المطلق، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه كلها، عظيم في صفاته كلها، فهو عظيم في سمعه وبصره، عظيم في قدرته وقوته، عظيم في علمه، فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء، بل هو عظيم في كل شيء.

٢ - الفرق بين عظمة الخالق وعظمة المخلوق، أن المخلوق قد يكون عظيمًا في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيمًا في شبابه ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون ملكًا أو غنيًّا معظمًا في قومه، فيذهب ملكه وغناه أو يفارق قومه وتذهب عظمته. لكن اللَّه سبحانه هو العظيم أبدًا، لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، ولا يمكن أن يعصى كرهًا أو يخالف أمره قهرًا. فهو العظيم إذًا حقًّا وصدقًا، وكان الاسم لمن دونه مجازًا[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

العظيم من العباد من يتقي اللَّه حق تقاته ويكثر من ذكره ويسبح بحمده: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤]. وقد نال القدحَ المعلى والسهمَ الأوفر من ذلك الرسلُ والأنبياءُ (صلوات اللَّه وسلامه عليهم).

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٤٣، ١٤٤). (٢) المرجع السابق (ص ١٤٤).
(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ١٩٩).

ولينال العبد المؤمن حظًّا من اسم العظيم ينبغي أن يعظم شعائر اللَّه؛ لأن من تعظيم اللَّه تعالى تعظيم شعائره: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]. وكذلك تعظيم حرماته: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، وذلك باجتناب ما حرمه اللَّه تعالى من الربا والزنا وشرب الخمر وأكل الخنزير، والسرقة والقتل، وغير ذلك مما حرمه اللَّه جل ذكره، فمن اجتنب ذلك كله نال نصيبًا من هذا الاسم.

* * *
* *
*

(٣٤)

الشكور، الشاكر

لقد ورد اسم الشكور في القرآن الكريم أربع مرات، كما في قوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٠]، وورد اسم الشاكر مرتين في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

معنى « الشكور »:

الشكور: الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه بالكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر(١).

والشكور: هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود(٢).

ومن هذا المنظور، إذا نظر العبد إلى معنى الزيادة في المجازات لم يكن الشكور المطلق إلا اللَّه تعالى؛ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة؛ فإن نعيم الجنة سرمدي لا آخر له(٣).

فهو سبحانه الشاكر الشكور الذي لا يضيع أجر من أحسن عملًا، بل يضاعف له الثواب أضعافًا مضاعفة، وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه ﷺ بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئًا لأجله عوضه خيرًا منه، وهو الذي وفق المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقًّا واجبًا عليه، وإنما هو الذي أوجبه على نفسه جودًا منه وكرمًا(٤).

قواعد الشكر:

الشكر مبني على خمس قواعد هي:

---

(١) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٦٥).

(٢، ٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٥).

(٤) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٧٠، ٧١).

١ - خضوع الشاكر للمشكور.

٢ - حبه له.

٣ - اعترافه بنعمته.

٤ - ثناؤه عليه بها.

٥ - أن لا يستعملها فيما يكره[١].

على أن القواعد السابقة تتعلق باللسان والقلب والجوارح، فاللسان يشكر وشكره اعتراف وثناء، والقلب يشكر وشكره حب وخضوع للمشكور، والجوارح تشكر وشكرها أن لا تستعمل النعمة فيما يكره المشكور. فلا يكفي أن يشكر اللسان فقط، ولا أن يشكر القلب مع اللسان فقط، وإنما لا بد من تضافر هذه الثلاثة: اللسان يعترف ويثني، والقلب يخضع ويحب، والجوارح تنقاد وتطيع[٢].

فالشكر إذا على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر الجوارح وهو مكافأة النعمة. واستيفاء هذه الثلاثة من العبد أمر ليس بالهين؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. وفي هذه الآية الكريمة تنبيه على أن توفية شكر اللّه تعالى صعب على النفوس؛ إذ يحتاج إلى مجاهدة وتضحية.

الأعمال التي يشكر اللّه عليها:

من الأعمال التي يشكر اللّهُ تعالى عليها العبدَ: تلاوة كتاب اللّه، وإقام الصلاة، والإنفاق سرًّا وعلانية، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر ٢٩، ٣٠].

ودلالة الشكر من اللّه تعالى أن يقبل العمل ويثيب عليه، فالذي يؤدي الحج والعمرة ويسعى بين الصفا والمروة، ويكثر من التطوع في التعبد يشكر اللّه ﷻ ذلك له: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٤٦).

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨][١].

وأخبرنا اللَّه ﷻ أن الذي يفعل الحسنات يزيد له في حسناته: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يحقر من المعروف شيئًا، فرب عمل يبدو أمام عينيه زهيدًا حقيرًا، فيكون سببًا في جلب مغفرة اللَّه وشكره للعبد وإدخاله الجنة بذلك العمل!

فقد حدثنا رسول اللَّه ﷺ عن رجلين فعل كل منهما فعلًا رضيه اللَّه تعالى، فشكر لكل منهما وغفر له، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **بينما رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسك به، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر اللَّه له، فغفر له** »[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر اللَّه له فغفر له** »[٣].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن اللَّه ﷻ استثنى في الإغناء فقال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ [التوبة: ٢٨]، واستثنى في الإجابة: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ [الأنعام: ٤١]، واستثنى في الرزق: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]، واستثنى في المغفرة: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، واستثنى في التوبة: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [التوبة: ٢٧]، واستثنى في العلم: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، واستثنى في الملك: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، واستثنى في الرحمة: ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٦].

أما الشكر فقطع اللَّه تعالى فيه بتحقيق المزيد من النعمة مع الشكر، ولم يستثن في ذلك فقال جل ثناؤه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الشكور على الإطلاق، الذي يقبل القليل من العمل ويعطي

---

(١) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ١٥٠).
(٢) صحيح مسلم، برقم (٢٢٤٤).
(٣) صحيح مسلم، برقم (١٩١٤).

الكثير من الثواب مقابل هذا العمل القليل.

٢ - شُكْرُ اللَّه تعالى واجب على كل مكلف؛ لأن فضله وإحسانه للمخلوق وإنعامه عليه لا يمكن إحصاؤه، ولا يمكن عده[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يشكر اللَّه تعالى على نعمه، ومن أحسن وجوه الشكر لنعم اللَّه ﷻ أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعته. ويسأل اللَّه تعالى على الدوام أن يوفقه ليكون من الشاكرين.

كما يجب أن يشكر من الناس من أسدى له معروفًا لقول النبي ﷺ: « **من لم يشكر الناس لم يشكر اللَّه** »[٢].

والشكر في حق العبد يكون مرة بالثناء عليه والإحسان إليه، وأخرى بمجازاته بأكثر مما صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة[٣].

* * *
* *
*

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٠٥ - ٢٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر (٤/ ٣٣٩). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٦).

(٣٥)

العلي، الأعلى، المتعال

معنى « العلي، الأعلى، المتعال »:

العلي: هو الذي ليس فوقه شيء، وهو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته، وهو الجليل عظيم الشأن والقدر[(١)].

- **والعلي**: هو الذي لا رتبة فوق رتبته، وجميع المراتب منحطة عنه[(٢)].

- **والعلي**: الذي علا وجل أن تلحقه صفات الخلق أو تكيفه أوهامهم[(٣)].

وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤].

والأعلى: هو اللّه الذي هو أعلى من كل عالٍ واسمه الأعلى، أي صفته أعلى الصفات[(٤)].

وهو أعلى من أن يقاس به أو يعتبر بغيره[(٥)].

وفي القرآن الكريم سورة بهذا الاسم، وهي سورة الأعلى مبتدئة بقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

والمتعال: هو الذي جل عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحيرين[(٦)].

وقد أخبرنا اللّه تعالى في موضع من كتابه أنه الكبير المتعال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

للّه تعالى جميع أنواع العلو:

١ - **علو الذات**، فاللّه - تبارك وتعالى - مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، وعرشه فوق مخلوقاته جميعًا ومحيط بها: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس: ٣].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب (٢/ ٨٧٤).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٦) بتصرف.

(٣) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٦٦).

(٤) ابن منظور: لسان العرب (٢/ ٨٧٤).

(٥) الراغب: المفردات (ص ٣٤٥).

(٦) ابن منظور: لسان العرب (٢/ ٨٧٤).

٢ - **علو القهر والغلب**، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]، فلا ينازعه منازع ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٣ - **علو المكانة والقدر**، وهو الذي أطلق عليه القرآن الكريم: « المثل الأعلى » كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧]. والمثل الأعلى: أي الصفات الكاملة التي لا يخالطها نقص ولا يشوبها باطل بحال من الأحوال[١].

من آثار اسم « الأعلى »:

يقول سيد قطب - رحمه اللَّه - في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١ - ٣]: « فهو سبحانه... الذي خلق كل شيء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه، والذي قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته، فهداه لما خلقه من أجله، وألهمه غاية وجوده، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه وهداه إليه... وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التناسق ميسرة لكي تؤدي في تجمعها دورها الجماعي، مثلما هي ميسرة فرادى لكي تؤدي دورها الفردي، الذرة بمفردها كاملة التناسق بين كهاربها وبروتوناتها وإلكتروناتها، شأنها شأن المجموعة الشمسية في تناسق شمسها وكواكبها وتوابعها... وهي تعرف طريقها وتؤدي وظيفتها... والخلية الحية المفردة كاملة الخلقة والاستعداد لأداء وظائفها كلها شأنها شأن أرقى الخلائق الحية المركبة المعقدة. وبين الذرة المفردة والمجموعة الشمسية، كما بين الخلية الواحدة وأرقى الكائنات الحية، درجات من التنظيمات والترتيبات كلها في مثل هذا الكمال الخلقي، وفي مثل هذا التناسق الجماعي، وفي مثل هذا التدبير والتقدير الذي يحكمها ويصرفها. والكون هو الشاهد الحاضر على هذه الحقيقة العميقة »[٢].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - إثبات العلو المطلق للَّه رب العالمين بكل معانيه، دون تعطيل أو تحريف أو تأويل.

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٥٣، ١٥٤).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٨٤).

٢ - أن اللَّه تعالى عالٍ على كل شيء، وفوق كل شيء، بل هو فوق العرش بائن من خلقه، واستواؤه على العرش كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

العبد المؤمن لا يتصور أن يكون عليًّا مطلقًا؛ إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها، وهو درجات الأنبياء والملائكة[٢].

كما أنه مهما تصور له عالم لا يشق له غبار في فن من الفنون، إلا ويوجد من هو أكثر منه علمًا ومعرفة في هذا الفن: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦][٣].

ولذلك يجب على المؤمن أن يتواضع للَّه تعالى، فلا يقوم في نفسه داعي الكبر والنخوة والاستعلاء على الناس، وإنما يشعر بضآلته أمام آثار العلي الأعلى ﷻ.

* * *

(١) ابن خزيمة: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ (ص ١٠١) وما بعدها.

(٢، ٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٩).

(٣٦)

الكبير، الأكبر

ورد اسم الكبير في عدة مواضيع من الكتاب العزيز؛ منها قوله تعالى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله - جل ثناؤه - معرفًا بنفسه أنه الكبير: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

معنى « الكبير »:

والكبير: هو العظيم الجليل... وكبرياء اللَّه عظمته وجلاله. ومنه قيل: كبرت تكبيرًا وعظمت تعظيمًا، أي وصفته بالكبرياء والعظمة[١].

والكبير: « هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين »[٢].

والكبرياء عبارة عن كمال الذات. وكمال الذات هو كمال الوجود، ويرجع إلى شيئين: **أحدهما**: دوامه أزلا وأبدًا، فالدائم الأزلي الأبدي الذي يستحيل عليه العدم أَوْلَى أن يكون كبيرًا. **والثاني**: إن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه كل موجود، فالذي حصل منه الوجود لجميع الموجودات أَوْلَى أن يكون كاملًا وكبيرًا[٣].

فاللَّه ﷻ هو الكبير في كل شيء، وهو الذي كبر وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله عن مشابهة مخلوقاته، فله - تبارك وتعالى - كبرياء الذات والصفات والأفعال. فهو ﷻ أكبر من كل شيء وأعلى من كل شيء وأجلُّ من كل شيء، يتضاءل أمامه كل شيء في الوجود[٤].

اللَّـه أكبر من كل شيء:

إذا تأملنا النصوص نلاحظ اقتران الكبير بالعلي أو المتعال؛ مما يدل على أنه كبير في

---

(١) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٥٥).

(٢) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٦٦).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٠٩، ١١٠).

(٤) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٨٢).

علوه، عليٌّ في كبريائه ﷻ. لأجل ذلك فاللَّه ﷻ هو الكبير الذي ذلت لكبريائه الكائنات، وسجدت لعلوه المخلوقات، ومن تكبر قصم اللَّه تعالى ظهره، ومن تواضع حفظ اللَّه ذكره.

ويُروى في هذا السياق أن رجلًا من الأغنياء كان يطوف بالكعبة وحوله خدمه وأعوانه يطردون الناس لينفرد بالطواف. وانقضى زمان فرآه أحد هؤلاء الناس على جسر في بغداد يتكفف الناس، فقال له: ألست أنت الذي كنت وكنت؟ قال: نعم، قال: فماذا حدث؟ قال: تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فأذلني اللَّه في مكان يرتفع فيه الناس[(١)].

واللَّه تعالى كبير الذات وكبير القدر، فكل شيء بالنسبة له ﷻ صغير مهما كبر ومهما عظم. وهذا ما يوحي به قوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

على أن التكنولوجيا المعاصرة جعلت هذا الأمر أقرب إلى الأذهان، فالمنظار الفلكي (التليسكوب الإليكتروني) يقرب إلينا أبعد المجرات في الفضاء السحيق من السماء الدنيا، فنرى مجرة من المجرات وهي تحتوي على أكثر من مليار نجم، وتبدو لنا في حجم قطعة مدورة من الجبن؛ إذ تبعد عنا بملايير السنين الضوئية. فسبحان الكبير المتعال الذي ذل لكبريائه كل شيء.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه تعالى أكبر من كل شيء، وأكبر من أن يعرف كنه ذاته وصفاته.

٢ - جاء النهي بعدم التفكر في صفات اللَّه وكيفية ذاته، بل ليزداد المؤمن إيمانًا، عليه أن يتفكر في مخلوقات اللَّه وآياته في الآفاق والأنفس، وقد وقع الفلاسفة في التيه حين حاولوا أن يدركوا كيفية وماهية ربهم بعقولهم، فلم يجنوا سوى الحيرة والتخبط والتناقض فيما سطروه من الأقوال والمعتقدات.

حظ المؤمن من هذا الاسم:

الكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله، بل تتعدى إلى غيره،

---

(١) إبراهيم الحازمي: الفرج بعد الشدة (١/ ٦٣).

فلا يجالسه أحد إلا وفيض عليه شيئًا من كماله. وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه. فالكبير من عباد اللَّه هو العالم التقي المرشد للخلق، الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه. ولذلك قال عيسى عليه السلام: « من علم وعمل، فذلك يدعى عظيمًا في السماء »[1].

وكذلك ليكون للعبد المؤمن حظ من هذا الاسم ينبغي أن يكبر اللَّه تعالى بقلبه ووجدانه، بحيث يستشعر عظم قدره، وعظيم ملكوته وسلطانه. وكذلك يكبره بلسانه عند سماع الأذان، وفي الصلوات المكتوبة والنوافل، وفي صبيحة العيد، وعند التضحية في يوم النحر، وعند مواجهة أعداء الدين في ساحة الوغى؛ إذ كانت ولا زالت نداءات التكبير في الحروب تزلزل قلوب الأعداء وتثبت قلوب المؤمنين.

ولذلك فإن التكبير شعيرة من شعائر اللَّه التي ينبغي للمسلم أن يحافظ عليها في كل وقت حتى يكون كبيرًا عند اللَّه تعالى، وهذا رجاء المؤمن العامل المتواضع التقي.

* * *

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٠).

(٣٧)

الحفيظ

ورد اسم الحفيظ في القرآن ثلاث مرات، كقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

معنى « الحفيظ »:

من معاني « **الحفيظ** »: صون الأشياء عن الزوال، فاللَّه تعالى يحفظ السموات والأرض بقدرته: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥][١].

ومن معاني « **الحفيظ** » **أيضًا**: العالم بجميع المعلومات علمًا لا تغير له ولا زوال، وهو المحيط بما في السموات والأرض، وقد وكل بالخلق ملائكة يحفظون عليهم أعمالهم: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]. وفي هذا السياق يقول الخطابي: « ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، غائبة، ولا تخفى عليه خافية »[٢].

ومن معاني « **الحفيظ** » **كذلك**: رعاية الخلق وصيانتهم: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]. وحفظ أوليائه من الضلال والزيغ، وعصمتهم من الوقوع في الخطايا والذنوب، وحفظهم من أعدائهم ونصرتهم عليهم، كما جاء في الحديث الشريف: « **احفظ اللَّه يحفظك** »[٣].

آثار الحفظ والرعاية في الآفاق والأنفس:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وهذا السقف (الغلاف الجوي) محفوظ بجاذبية الأرض له، ولذلك لا يتسرب ولا يتلاشى في الفضاء، وهو أيضًا حافظ لما فيه ولما يوجد في كنفه:

١ - يحفظ الأوكسجين والنتروجين وكلاهما لازم لحياة الإنسان والحيوان والنبات على سطح الأرض.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب (١/ ٦٧٣). وموسوعة: له الأسماء الحسنى (١/ ٢١٠).

(٢) شأن الدعاء (ص ٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح برقم: (٢٥١٨).

٢ – يحفظ دورة الماء التي تسير فيه من التبخر حتى التكثف.

٣ – يحمي الحياة على ظهر الأرض من أهوال الفضاء: من أشعة فتاكة وشهب ونيازك، ومن درجة الحرارة المنخفضة جدًّا، حوالي (٢٧٠) درجة مئوية تحت الصفر في الفضاء الكوني.

٤ – ينظم هذا الغلاف درجات الحرارة على سطح الأرض.

٥ – يحفظ الصوت ويرجعه مرة ثانية. وقد أقسم بهذا المولى ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ [الطارق: ١١][١].

وبالنسبة لظاهرة حفظ الصوت في الفضاء الخارجي، فقد أثبت العلم الحديث إمكانية استرجاع ما يصدر عن الإنسان من الأصوات؛ ذلك أن كلام الإنسان يتحول إلى موجات هوائية، وأن هذه الموجات تبقى كما هي في الأثير إلى الأبد بعد حدوثها. ومن الممكن سماعه مرة أخرى، ولكن علم البشر الآن قاصر عن إعادة هذه الأصوات أو حفظ تلك الموجات مرة أخرى. ولكن من ناحية علمية نظرية، من الممكن التقاط هذه الأصوات مرة أخرى، وسماع الأصوات القديمة إذا نجح الإنسان في اختراع آلة تقوم بذلك[٢].

وفي هذا السياق يقول العالم وليام جيوس: « إننا إذا قذفنا حجرًا في وسط المحيط، فإن هذا الحجر المُلقى يحدث تموجات وذبذبات في البحر إلى الأبد. إننا في كل مرة نحرك فيها يدنا نسبب تموجات في الأثير الكوني (الأشعة الكونية). وهذا يصدق على الأفعال والأصوات، فإن الصوت يحدث أيضًا تذبذبات كهربائية لا تنقطع أبدًا. ويمكن التقاط الأصوات للكائنات في مختلف العصور إذا وفقنا لجهاز التقاط مناسب؛ لأن أصواتهم لا زالت تجول حول العالم في رحلات دائمة خلال الأثير (الإشعاع الكوني) »[٣].

ويقول الدكتور باروز: « إن الكلمة إذا خرجت من فم القائل مضت كالسهم لا ماحي لأثرها، وأشد منها الفعلة، فإنها متى فعلت بقيت على الأبد مفعولة كالكلمة، وبقيت مسترسلة في فضاء الزمن اللانهائي »[٤].

أما آثار الحفظ والعناية داخل جسم الإنسان فلا يحصيها العد، وهي مدهشة وعجيبة إلى حدٍّ بعيد. ومن ذلك أن منظومة الدفاع عند الإنسان تتكون في العمود الفقري في

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٤٠٠).

(٢ – ٤) ابن خليفة علوي: سبعون برهانًا علميًّا على وجود الذات الإلهية (ص ٧٢).

نخاع العظم. والحكمة أو السر في ذلك هو أن الخلايا الدفاعية تنمو بانقسامات عديدة ومعقدة، ولكي تُحفظ هذه الخلايا التي تمر بكل الانقسامات وتُصان من التأثيرات الخارجية الضارة، فإن الخالق العليم قد وضعها في أبعد الأماكن عن التأثير الضوئي في أجسامنا، وأكثرها أمنًا: وألا وهي نخاع العظام. ونخاع العظام مختبر بيولوجي عجيب، فهو مختبر يستطيع فيه النخاع بواسطة خلية واحدة صنع خلايا لا تعد ولا تحصى، خلايا ذات قابليات عديدة ومدهشة.

وفي جميع الأحيان نجد الخلايا تستطيع تكرار نفسها فقط، ولكن هناك استثناء واحدًا هو نخاع العظم، ففيه وبواسطة خلية اعتيادية جدًّا يصنع كل نوع من أنواع الخلايا! فكيف تنتج خلية معينة خلية أخرى مختلفة عنها لا علاقة لها بها على الإطلاق؟! هذا سر إلهي عجيب!! بعد أن يتم صنع الخلايا اللمفاوية في نخاع العظم ترسل هذه الخلايا إلى الغدة «العصنزية» الموجودة قرب قاعدة العنق للتعلم والتدرب. وفي هذا المركز التدريبي تتعلم ويطبع فيها ما يقارب ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) من الشفرات، لماذا؟ لأن جسم الإنسان يحتوي على ما يقارب ثلاثين ألف نوع من الخلايا، وكل خلية لها شفرة معينة وخاصة بها؛ لذا يجب على الخلية اللمفاوية تعلم وحفظ جميع هذه الشفرات في هذا المركز التدريبي. لكن وماذا بعد هذا التدريب الدقيق؟ تقوم الخلايا اللمفاوية بالتجول في أنحاء الجسم في شبكة تحيط بكل جزء من أجزاء الجسم ابتداء من الشعرة في الرأس حتى أخمص القدمين.

وهذا النظام الشبكي ليست شبكة الأوعية الدموية التي نعرفها والتي تنقل الدماء النقية المحملة بالأوكسجين، وإنما شبكة الدم الأبيض والذي نلاحظه عندما نجرح جرحًا خفيفًا فتخرج مادة بيضاء، هي دماء هذا النظام، وتجول الخلايا اللمفاوية ضمن هذه الشبكة مراقبة كل خلايا الجسم عشر مرات يوميًّا على الأقل. فتقوم هذه الخلايا بفحص جميع الأنسجة والخلايا، فإذا عثرت على خلية لا توافق شفرتها الشفرات التي تعلمتها وحفظتها فإنها تقوم بقتلها في الحال.

وهكذا، فإن الخلايا الدفاعية التي نسميها الخلايا اللمفاوية قد خلقت بشكل مناسب لكي تستطيع حفظ الإنسان وصيانته ضد الأخطار التي تهدد حياة الإنسان من جراثيم وفيروسات وغير ذلك. لكن ماذا يحدث عندما تدور حرب خاصة بين الخلايا اللمفاوية والجراثيم الغازية؟ عندما تتقابل الخلايا اللمفاوية مع الجراثيم، تقوم بالاقتراب منها ثم

تنفث سمومها فيها وتقتلها. ولكن ماذا لو كانت هذه الجراثيم شرسة مثل جرثومة السُّل؟ فجرثومة السل جرثومة ذات بأس وقوة؛ لأنها تستطيع أن تفرز من غشائها مادة تكون لها درعًا واقية، فلا تؤثر فيها السموم التي تفرزها الخلايا اللمفاوية، تمامًا كما يرتد الرصاص عن الدروع دون أن يؤثر فيها، كما أن الخلايا اللمفاوية لا تستطيع ابتلاع هذه الجراثيم لأنها كبيرة. إذًا فما العمل؟

في هذه الحالة ترسل الخلايا اللمفاوية إنذارًا إلى الكبد، فيقوم الكبد نفسه أو بأمر من نخاع العظم بصنع خلايا خاصة تحمل أجسامًا تدعى « أجسام جولجي »، وهي تشبه الخلايا اللمفاوية، ولكنها أكثر منها حجمًا بست مرات، فتقوم بابتلاع جراثيم السل التي لم تستطع الخلايا اللمفاوية ابتلاعها، تبتلعها ولكنها لا تستطيع هضمها، فتقوم بصنع قبر لها؛ إذ تبدأ بغرز طبقة من الكالسيوم حولها حتى تبني ما يشبه الهرم حول الجرثومة التي تموت وتهضم خلاياها. لذلك عندما نتطلع إلى صورة بالأشعة لرئة الإنسان نرى نقطًا جبسية صغيرة، ما هي إلا مقابر لجراثيم السل، هذا غيض من فيض.

فعلى العموم، فالمنظومة الدفاعية في جسم الإنسان، ابتداء من نخاع العظم والكبد حتى طبقة الأدمة الغامضة التي تحتوي على خلايا خاصة جدًّا، مهمتها قتل الجراثيم الناتجة عن الأمراض النافضة مثل الحصبة التي لا تستطيع الخلايا الدفاعية الاعتيادية القضاء عليها، هي أكثر دقة ككل الأنظمة الدفاعية الموجودة في الدول المتقدمة. فهذه الإدارة الدفاعية تعرف من أين تأتي الجراثيم، وكيف تأتي، وما العمل الواجب القيام به، وكيف تحفظ وتصان حياة المدنيين (الخلايا الاعتيادية)؟ وما هي الخطوة الأولى في مواجهة الجراثيم، وما هي الخطوة الثانية، وأخيرًا كيف يتم التخلص من جثث القتلى في المعارك، كل ذلك بنظام دقيق يثير الإعجاب[1]؟

وكل هذه أجهزة وضمانات أودعها الخالق الحفيظ في جسم الإنسان ليعيش حياة مستقرة هنيئة، آمنة من الأخطار المحدقة به، ليشكر ربه العظيم على ما وهبه من نعم، ويتفرغ لعبادته وطاعته، ويقوم بإعمار الأرض وفق المنهج الرباني المخطط له.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن الحافظ لهذه السموات السبع والأرض وما فيهما هو اللَّه وحده لا شريك له.

---

(١) نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ١٠٣) وما بعدها.

٢ - المحفوظ هو ما حفظه اللَّه ﷻ وشاء له أن يُحفظ ويبقى. وأما من شاء سبحانه أن يضيع أو يضمحل ويضعف أو يهلك، فإنه ضائع هالك لا محالة.

٣ - اللَّه سبحانه وحده هو الذي يحفظ الإنسان من الشرور والآفات والمهالك، ومناط الحفظ التقوى.

٤ - اللَّه تعالى يحفظ أعمال عباده فلا يضيع منها شيء، ولا يخفى عليه شيء صغيرًا كان أو كبيرًا، ويوافيهم بها يوم الحساب إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولا ينسى اللَّه ﷻ منها شيئًا وإن نسيه الناس: ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦][1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

الحفيظ من العباد هو الذي يحفظ لسانه من اللغو والغيبة والنميمة وفحش الكلام، فلا يتحدث إلا بما يرضي اللَّه ﷻ.

كما أنه يحفظ سكنات وحركات قلبه من الغفلة واللهو، فلا يزال قلبه عامرًا بكل المعاني والأعمال التي تجعله يزخر بالحيوية والنشاط والسكينة والطمأنينة؛ مثل الرضا واليقين والصبر والخشية والصدق والإخلاص والمحبة وغير ذلك من أعمال القلوب.

وكذلك يحفظ جوارحه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة، واندفاع الغرائز، وغرور الشيطان، وكل المهلكات المفضية إلى البوار والخسران.

ومن أعظم ما يجب على المؤمن حفظه من حقوق اللَّه: التوحيد والصلاة، ثم باقي الفرائض، وأن يحفظ كذلك سمعه وبصره وفؤاده وفرجه ويمينه. وبالجملة فعلى المؤمن أن يحفظ دينه أجمع، فلا يترك منه شيئًا لتعارضه مع هواه وشهوات نفسه، بل هو مطيع لربه على كل حال.

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦).

(٣٨)

المقيت

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥].

معنى « المقيت »:

والمقيت: معناه خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان: وهي الأطعمة، وإلى القلوب، وهي المعرفة[١].

وقيل معناه: القادر الذي لا يعجزه شيء، المؤتي لكل شيء قوته[٢].

فالمقيت إذًا هو الذي يقدر حاجة الخلائق بعلمه، ثم يسوقها إليهم بقدرته، ليقيتهم بها ويحفظهم.

ويبدو أن هناك فرقًا بين اسم المقيت واسم الرزاق، فالمقيت أخص من الرزاق؛ لأنه يختص بالقوت. والقوت: ما يمسك الرمق من الرزق، أو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، كما جاء في الحديث الشريف: « **اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتًا** »[٣]، أما الرزاق فيتناول القوت وغير القوت.

كيف يوزع المقيت سبحانه القوتَ داخل جسم الإنسان؟

عندما يقتات الإنسان ويتناول طعامه، يدخل هذا الطعام في تجويف الفم، فتقوم الأسنان والأضراس بتقطيعه وتمزيقه وطحنه، فيتفتت إلى أجزاء صغيرة بتأثير الفكين والأسنان، واللسان، ويمتزج باللعاب الذي يرطب ويسهل انزلاق جزئيات الغذاء في القناة الهضمية، ثم يقوم اللسان بعدئذ بدفع البلعة الغذائية إلى مؤخرة التجويف الفمي، أي إلى البلعوم الذي هو ملتقى لطريقي الهضم والتنفس، ثم يمر الغذاء إلى المريء، ويمنع من دخوله القصبة الهوائية بواسطة جندي إلهي هو لسان المزمار، ففي دخوله الموت العاجل[٤].

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٣).

(٢) ابن العربي: أحكام القرآن (٢/ ٧٩٩).

(٣) صحيح مسلم، برقم (١٠٥٥).

(٤) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣٠٦، ٣٠٧).

ومن المريء يمر الغذاء في المعدة، وهي الجهاز الهضمي في الإنسان، ففي باطن جدارها عضلات قوية تنقبض بقوة فتمزق الغذاء بالعصارة الهضمية؛ حيث يصبح هذا الغذاء شبه سائل. لكن، هل يصبح هذا الغذاء جاهزًا عند هذا الحد ليمتصه الجسم، أم هناك معامل في انتظار الطعام لأداء وظيفتها تجاهه؟!

إن الغذاء بعد انتهاء وظيفة المعدة يمر إلى الأمعاء الدقيقة وطولها ستة أمتار، وتصب في بدايتها إفرازات الكبد والبنكرياس. وفي هذا المعمل (الأمعاء الدقيقة) يتم هضم المواد الغذائية نهائيًّا وتحويلها إلى جزيئات صغيرة يسهل على جدران الأمعاء الدقيقة امتصاصها ودفعها في الدم. أما المواد الغذائية غير المهضومة فتمر إلى الأمعاء الغليظة، ويبلغ طولها حوالي (١٧٠سم)؛ حيث تطرد من فتحة الشرج على شكل براز[١].

والسؤال: كيف يتحرك الغذاء في القناة الهضمية؟ وكيف يتم تنظيم مروره من معمل إلى آخر؟ يتحرك الغذاء في القناة الهضمية عن طريق انقباضات متتالية للعضلات الموجودة في جدار هذه القناة، ويطلق على هذه السلسلة المتتالية من الحركات اسم الحركة الدودية. أما تنظيم مرور الغذاء من المريء إلى المعدة، ومن المعدة إلى الأمعاء الدقيقة فيتم بواسطة عضلات حلقية تعمل عمل الصمامات. فعندما يفتح الصمام تتحرك جزئيات الغذاء من منطقة إلى أخرى. كما توجد عضلة حلقية أخرى عند فتحة الشرج تضبط مرور فضلات الغذاء إلى الخارج وقت الإرادة[٢].

لكن كيف يتم توصيل الطعام من الأمعاء الدقيقة إلى خلايا الجسم؟ يبطن جدار الأمعاء الدقيقة من الداخل زوائد صغيرة تدعى بالخملات، وتمر الجزئيات الغذائية الصغيرة من خلالها إلى الدم. ويوجد في المليمتر الواحد حوالي (٢٠ – ٤٠ خملة)، والمساحة الإجمالية لجميع الخملات هي حوالي (٣٠٠ مم^2). وتحتوي كل خملة على شعيرات دموية وأوعية لمفاوية، فتمر السكاكير البسيطة والأحماض الأمينية والجلسرين والأملاح المعدنية والفيتامينات في الشعيرات الدموية. وتقوم الأوعية اللمفاوية بطرح الأحماض الذهنية إلى مجرى الدم[٣].

ويحمل الدم نواتج هضم المواد الغذائية إلى الخلايا حاملًا معه الأوكسجين الذي

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣٠٧).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٠٨).

يتحد عند دخوله إلى الدم مع صبغة حمراء توجد في كريات الدم الحمراء تعرف بالهيموجلبين، مكونًا بذلك مركبًا جديدًا يعرف بأكسيهموجلبين، وينتقل الدم إلى خلايا وأنسجة الجسم حاملًا معه الغذاء والأوكسجين، فيقوم الأوكسجين بأكسدة المواد الغذائية وإنتاج الطاقة، أو تتحد هذه المواد الغذائية مع بعضها مكونة المواد اللازمة للنمو ولتعويض الأنسجة التالفة[1].

فمن الذي صمم هذه المعامل والأجهزة المحكمة لتبلع وتهضم وتصنع وتوزع المواد اللازمة لحياة الخلايا والأنسجة وإنتاج الطاقة التي يعمل بها بدن الإنسان باستمرار؟! إنه اللَّه تعالى الرزاق المقيت الرؤوف بعباده.

بل إن كل خلية من هذه الخلايا مدينة قائمة بذاتها محاطة بأسوار عالية، وهي تطلب ما تحتاجه ويقوم غشاؤها بمهمة الحارس الأمين، فهو يتلقى الأوامر باحتياجات الخلية، ومن ثم لا يسمح بدخول أي مواد غير التي تحتاجها، وإذا كان جسم الإنسان يتكون من مليارات الخلايا وكل خلية مدينة كاملة بمرافقها من ماء وكهرباء وصحة وغذاء وإدارة وحراسة، فمعنى هذا أن اللقيمات التي يأكلها الإنسان هي غذاء وقوت لمليارات المدن بداخله[2].

فمن الذي يوصل هذه الأقوات إلى هذه المليارات؟! إن الإنسان عندما يقذف اللقمة في جوفه لا يدري ما يحدث لها. إنه ينام ملء جفونه، وقد يعمل، وقد يركض ويلعب، ولا شأن له بما أكله. فمن ذا الذي يتولى شأن هذا الطعام في جوف الإنسان حتى يوصله إلى كل طالبيه في جسم الإنسان، حتى يبقى بدنه زاخرًا بالحيوية والنشاط؟![3] لا إله إلا اللَّه.

على أن الإنسان ليس وحده الذي يأكل ويشرب ويقتات في هذه الأرض. هناك ملايين الملايين من الأحياء ابتداء من ذوي الخلية الواحدة في النبات والحيوان وانتهاء بالإنسان - في برها وبحرها وجوها - وكل هذه المخلوقات منكبة كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة على هذه المائدة الأرضية المتنوعة التي أعدها الرزاق المقيت وعمرها بأنواع الطعام الذي لا ينفد ولا ينضب، فيتناول كل مخلوق ما يقيته، ويأكل منها رزقه

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٣٠٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٠٨، ٣٠٩)

الذي يناسبه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه سبحانه هو المقيت، أي القدير على كل شيء.

٢ - أن اللَّه ﷻ هو المعطي لأقوات الخلق صغيرهم وكبيرهم، قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، فلا قائم بمصالح العباد إلا هو.

٣ - اللَّه تعالى هو المقيت لعباده، الحافظ لهم، والشاهد لأحوالهم، والمطلع عليهم، وبهذا يتضمن هذا الاسم لجميع الصفات.

٤ - لكل مخلوق قوت؛ فالأبدان قوتها المأكول والمشروب، والأرواح قوتها الذكر والعلوم، وقوت الملائكة التسبيح[1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن المقيت من العباد هو الذي يهمه شأن المعوزين والفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، فيقدم لهم القوت في سبيل اللَّه، وينفق عليهم بنفس سخية كريمة تريد وجه اللَّه تعالى وثوابه في الآخرة.

فالإنفاق من نعم اللَّه التي أنعم بها على العبد، ويعد في حد ذاته شكرًا على هذه النعم. وقد بين ﷻ أن البذل والإنفاق في سبيله وإعالة المحتاجين يعود على صاحبه بالنفع والخير في العاجل والآجل.

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٥٠، ٢٥١).

(٣٩)

الحاسب، الحسيب

ورد اسم « الحاسب، الحسيب » في القرآن الكريم خمس مرات:

- في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦].

- وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

- وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

معنى « الحسيب »:

يأتي الحسيب في اللغة على معنيين: **المحاسب والكافي**:

المعنى الأول: المحاسب؛ فاللَّه ﷻ حسيب عباده أي محاسبهم على أعمالهم ومجازيهم عليها[١].

فاللَّه ﷻ خلق العباد لعبادته وطاعته، وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وسيعيدهم إليه ويحاسبهم على ما قدموه من خير أو شر. وقد أحصى سبحانه أعمالهم عليهم في الدنيا، ودوّن ذلك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيخرج لهم في الآخرة كتب أعمالهم، ويقال لكل منهم: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤][٢].

وكما يجمع اللَّه تعالى الأولين والآخرين بقدرته، فإنه يحاسبهم تعالى بعلمه: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]. وموازين الخالق الدقيقة في يوم

---

(١) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢١٧).

(٢) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٦٤).

القيامة تزن الناس وأعمالهم المادية والمعنوية، فلا ينقص من أعمالهم مثقال ذرة؛ إذ يحاسب اللَّه ﷻ العباد بعدله المطلق، وعلمه المطلق وقدرته المطلقة: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

المعنى الثاني: والحسيب الكفي، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤][١].

فهو الحسيب الذي عليه الاعتماد، وليس في الوجود حسيب سواه. فهو الذي يكفي عباده بفضله ويصرف الآيات بطَوله، وإذا رفعت إليه الحوائج قضاها، وإذا حكم في قضية أبرمها وأمضاها[٢].

فهو سبحانه بقوته وقدرته وعزته وجبروته ورعايته ونصرته كافٍ عباده المؤمنين في وجه الكفرة الملحدين الذين يتهددونهم ويتوعدونهم، ويريدون قهرهم والتغلب عليهم. ومثال ذلك قوم إبراهيم، فقد طغوا وبغوا عندما حطم أصنامهم فألقوه في النار، فكان آخر كلامه قبل إلقائه في النار: « حسبي اللَّه ونعم الوكيل »[٣].

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم ﵇ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له ولأصحابه: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣][٤].

وقد أورد أبو حامد الغزالي كلامًا نفيسًا عن كفاية اللَّه تعالى لعباده من جميع الوجوه بخلقه الأسباب وتسخيرها لهم بفضله وجوده وكرمه، يقول: « وليس في الوجود شيء وحده كافٍ لشيء إلا اللَّه ﷻ فإنه وحده كافٍ لكل شيء... ولا تظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك، فقد احتجت إلى غيره، ولم يكن هو حسبك. فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء، فهو حسبك ولا تظنن أن الطفل الذي يحتاج إلى أم ترضعه وتتعهده فليس اللَّه حسيبه وكافيه. بل اللَّه ﷻ حسيبه وكافيه؛ إذ خلق أمه وخلق اللبن في ثديها، وخلق له الهداية (الإلهام)

---

(١) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢١٧).

(٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٥٦٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٤).

(٤) صحيح البخاري: الحديث رقم (٤٥٦٣).

إلى التقامه، وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكنته من الالتقام، ودعته إليه وحملته عليه. كالكفاية حصلت بهذه الأسباب، والله تعالى وحده هو المتفرد بخلقها (وتسخيرها) لأجله... فهو وحده حسب كل أحد، وليس في الوجود شيء وحده هو حسب شيء سواه، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض، وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى »[(١)].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن الله هو الكافي لعباده، لا غنى لهم عنه أبدًا، بل لا يتصور لهم وجود بدونه، فهو خالقهم وبارئهم ورازقهم وكافيهم في الدنيا والآخرة، لا يشاركه في ذلك أحد أبدًا.

٢ - الله عز وجل هو الحاسب الذي أحصى كل شيء، لا يفوته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

٣ - أعمال الإنسان كلها محسوبة محصاة، لا يضيع منها شيء، ويجزى بها يوم القيامة؛ إذ حساب الخلق كلهم لا مشقة فيه على الخالق الحاسب، بل هو يسير عليه: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢][(٢)].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يعتمد كلية على الله تعالى، فهو كافيه ومؤيده وناصره، فلا يعلق قلبه بأولياء من دون الله فيذل ويهون، ويفتح ثغرة لأعدائه يلجون منها، كما يفعل المنتسبون إلى الإسلام في عصرنا، حين اعتمدوا على هيئة الأمم ومجلس الأمن والدول الغربية الكافرة لحل قضاياهم المصيرية، فذلوا وهانوا وتقطعت بهم السبل ولم يجنوا ثمرة تذكر إلا الخذلان والهزيمة. ولو توجهوا إلى الله تعالى وحده لوجدوا عنده النصر والتأييد.

كذلك فإن الحظ الذي من هذا الاسم للعبد أن يكون الله تعالى وحده حسبه، بالإضافة إلى جمع همته وإرادته وشغل قلبه بالله تعالى، وأنه لا يريد إلا الحسيب تعالى، بل يكون مستغرق الهمِّ به تعالى وحده دون غيره[(٣)].

* * *

---

(١) المقصد الأسنى (ص ١١٤).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) الغزالي، المقصد الأسنى (ص ١١٥)، بتصرف.

(٤٠)

الكريم، الأكرم

ذكر اسم الكريم ﷻ مرتين في القرآن الكريم، في سورة النمل: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، وفي سورة الانفطار: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]. أما الأكرم، فقد ورد مرة واحدة في سورة العلق: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣]. وأما ذو الجلال والإكرام فقد ذكر مرة واحدة في آخر سورة الرحمن: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

معنى « الكريم »:

وللكريم ثلاثة أوجه في كلام العرب كلها - كما يقول أبو القاسم الزجاجي - جائز وصف اللَّه ﷻ بها. فالكريم: الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح[١].

ويقول أبو حامد الغزالي في اسم الكريم: « هو الذي إذا قدر كفا، وإذا وعد وفّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى. وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى. وإذا جُفِيَ عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء. فمن اجتمع له جميع ذلك، لا بالتكلف فهو الكريم المطلق، وذلك للَّه ﷻ فقط »[٢].

ويعرف أبو سليمان الخطابي الكريم بقوله: « أنه يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه: يا كريم العفو، فقيل: إن من كرم عفوه، أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه، وكتب له مكانها حسنة »[٣].

تجليات كرم اللَّـه ﷻ:

إن الكرم إذا وصف به اللَّه تعالى فهو اسم لإحسانه وإنعامه الذي شمل كل شيء؛ فهو مصدر النعمة المسبغة إلى جميع الكائنات.

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ١٧٦).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١١٧).
(٣) شأن الدعاء (ص ٧١).

والله ﷻ كريم، كثير الإحسان والعطايا، لا يخيِّب رجاء أحد، ولا يضيع من توسل به، ولا يترك من التجأ إليه، وهو ﷻ كريم ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، كثير العطاء، دائم الإحسان، واسع الكرم، يعطي ما شاء لمن شاء وكيف شاء بغير سؤال، ولا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء في وصول النوال[١].

فهو ﷻ كريم، إذا أعطى أجزل، وإن عُصِيَ أجمل، وإذا تبصر خللًا جبره وما أظهره، وإذا أولى فضلًا أجزله ثم ستره. فالكريم إذًا اسم لكمال إحسانه وإنعامه، يبتدئ بالنعمة من غير استيجاب، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال، ويكافئ بالثواب الجزيل على العمل القليل[٢].

وبالنسبة لـ « الأكرم » فقد جاء بصيغة التفضيل ليدل على أنه ﷻ هو الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: ربك أكرم، فإنه يدل على الحصر. وكذلك لم يقل: الأكرم من كذا، بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقًا غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكريم الذي لا شيء فوقه[٣].

وأما ذو الجلال والإكرام، فمعناها ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، الذي تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر والمجد الكامل والإكرام لأوليائه[٤].

آثار الكريم في الوجود:

أن الإنسان هو المخلوق الأول الذي أغدق الله تعالى عليه من كرمه وفضله وبره، وفضَّله على سائر المخلوقات، فخلقه وسواه على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة.

فالجمال والسواء والاعتدال في خلق الإنسان إنما هي آثار من كرم الكريم ﷻ. وتبدو هذه الآثار في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي. وانظر إلى الأجهزة العامة التي يتكون منها جسد الإنسان: الجهاز العظمي، والجهاز العضلي، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، والجهاز التناسلي، وجهاز

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ٣١٩).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٩٣ - ٢٩٦).

(٤) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٨١).

الدورة الدموية... إلخ، كلها عجائب متقنة الصنع تنطق بلسان الحال: أنا من فيض الكريم[١].

تقول مجلة العلوم الإنجليزية: إن يد الإنسان في مقدمة العجائب الفذة، وإن من الصعب جدًّا، بل من المستحيل أن تبتكر آلة تضارع يد الإنسان من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف. فحينما تريد قراءة كتاب تتناوله بيدك، ثم تثبته في الوضع الملائم للقراءة، وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائيًّا. وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها ثم يزول الضغط بقلب الورقة، واليد تمسك القلم وتكتب به، وتستعمل كافة الآلات التي تلزم الإنسان من ملعقة إلى سكين إلى آلة كاتبة، وتفتح النوافذ وتغلقها، وتحمل كل ما يريده الإنسان. واليدان تشتملان على سبع وعشرين عَظْمة وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منهما[٢].

كما أن جهاز الذوق في الإنسان: اللسان يرجع عمله إلى مجموعات من الخلايا الذوقية القائمة في حلمات غشائه المخاطي، ولتلك الحلمات أشكال مختلفة، فمنها الخيطية والفطرية والعدسية، ويغذي الحلمات فروع من العصب اللساني البلعومي، والعصب الذوقي. وتتأثر عند الأكل الأعصاب الذوقية، فينتقل الأثر إلى المخ. وهذا الجهاز موجود في أول الفم، حتى يتمكن الإنسان من أن يلفظ ما يحس أنه ضارٌّ به، وبه يحس المرء المرارة والحلاوة، والبرودة والسخونة، والحامض والمالح، واللاذع ونحوه. ويحتوي اللسان على تسعة آلاف من نتوءات الذوق الدقيقة، يتصل كل نتوء منها بالمخ بأكثر من عصب، فكم عدد الأعصاب؟ وما حجمها؟ وكيف تعمل منفردة، وتتجمع بالإحساس عند المخ؟![٣] تبارك الكريم المنان.

وفي التركيب الداخلي، فالقلب والرئتان معلقان في داخل قفص عظمي يتكون من العمود الفقري وضلوع الصدر، في حين نجد الأعضاء الرقيقة كالمخ والنخاع تحتويها صناديق عظمية مبطنة بأغشية ومواد سائلة ولزجة. والأعضاء الزوجية على أبعاد متساوية تمامًا سواء أكانت أعضاء ظاهرة أم باطنة؛ فالكليتان والمبيضان والخصيتان من الداخل، والحاجبان وفتحتا العينين والأنف والأذنين والثديين واليدين والرجلين في الخارج،

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٤٨).

(٢، ٣) عبد الرزاق نوفل: اللـه والعلم الحديث (ص ٥٨).

كل واحدة منها على بعد من منتصف الجسم، فإذا ما مر خط وهمي رأسي من منتصف الجسم ومر في الإنسان ليقسمه قسمين، نرى كل عين على مسافة متساوية من هذا الخط مع العين الأخرى، وكذلك الأنف والأذن وغير ذلك.

أما الأعضاء الفردية فنرى أن الفم مثلًا في منتصف هذا الخط. فسبحان الكريم الذي خلق الإنسان فسواه فعدله، في أي صورة ما شاء ركبه!!

ومن كرم اللَّه ﷻ على الإنسان أن علمه ما لم يعلم، فشرَّفه وكرَّمه بالعقل والإدراك والفهم، وهو القدر الذي امتاز به آدم عليه السلام على الملائكة وسائر الكائنات: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]. والعلم يتداول بين البشر عن طريق الرواية الشفهية أو الكتابة والبيان. وهو تراكمي يعد أساس تقدم البشر وسبب ارتقائها. فهو من أجَلِّ النعم على الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٣ - ٥].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه تعالى هو الكثير الخير، الدائم به، فإن كل شيء ينقطع إلا إحسانه، فإنه دائم متصل في الدنيا والآخرة.

٢ - من كرم اللَّه تعالى غفرانه للذنوب وعفوه عنها، وتبديله السيئات بالحسنات.

٣ - سمى اللَّه ﷻ ما أعد لأنبيائه وأوليائه بالرزق الكريم، وذلك لنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله، فلذلك سماه كريمًا[1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن مما يؤسف له حقًّا ويدمي القلب أن كثيرًا من بني آدم، غرهم كرم اللَّه الذي لا حد له، فلم يقوموا بحق التكريم فيعبدوا اللَّه تعالى ويطيعوه بدل أن يعصوه ويكفروا به.

ولذلك فإن العبد ينبغي أن يكون له حظ من هذا الاسم، فيكون له أولًا شكر خاص للَّه تعالى الذي أكرمه وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة. وهذا الشكر يتمثل في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاة الضحى،

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٢).

والعدل بين الناس وإعانتهم، والكلم الطيب، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وإماطة الأذى عن الطريق، كما جاء ذلك في كثير من الأحاديث الشريفة.

كما يجب أن يقتبس من كرم اللّٰه تعالى فينفق بسخاء وجود وكرم على أهله وعياله وأقاربه المحتاجين، وعلى المساكين والفقراء واليتامى والأرامل. على أن الإنفاق والبذل والكرم يمحو الذنوب ويمحو الخطايا. فإذا انزلق العبد المؤمن إلى معصية وشعر بالبعد عن خالقه، فطهوره من دون المعاصي بالجود والكرم، فيعطي من ماله ذوي الحاجة والفاقة حتى يعود إليه نقاؤه وبهاؤه.

* * *
* *
*

(٤١)

الرقيب

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. وفي قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]. وفي قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

معنى « الرقيب »:

قال أبو القاسم الزجاجي: « الرقيب: الحافظ »[١]. وقال أبو إسحاق الزجاج: « الرقيب: الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه »[٢].

وقال أبو حامد الغزالي: « الرقيب هو العليم الحفيظ. فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه، ولاحظه ملاحظة دائمة لازمة... سمي رقيبًا »[٣].

إذًا فالرقيب في حق اللَّه تعالى هو الذي أحاط علمه بعباده، لا تخفى عليه خافية منهم، ظاهرهم وباطنهم لديه سواء. فهو يحصي على عباده أعمالهم وأقوالهم وأنفاسهم، لا يخفى عنه مثقال ذرة من أعمالهم، سواء عُملت في باطن الأرض أو في أجواء الفضاء أو في ظلمة الليل أو في وضح النهار، كما قال العبد الصالح لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦][٤].

وهكذا فالرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، الحفيظ الذي لا يغفل، الحاضر الذي لا يغيب، العليم الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه، يرى أحوال العباد

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّه (ص ١٢٨). (٢) تفسير الأسماء (ص ٥١).
(٣) المقصد الأسنى (ص ١١٧).
(٤) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٧٠، ١٧١).

ويحصي أعمالهم ويحيط بمكونات سرائرهم، فهو مطلع على الضمائر، شاهد على السرائر، يعلم ويرى ولا يخفى عليه السر والنجوى[(١)].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الرقيب على عباده الذي يراقب حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وأفعالهم، بل ما يجول في قلوبهم وخواطرهم، لا يخرج أحد من خلقه عن ذلك.

٢ - مراقبة العبد للَّه تعالى تثمر الإخلاص في العمل، كما تثمر السعادة والانشراح وقرة العين[(٢)].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن نصيب العبد المؤمن من اسم الرقيب أن يتحقق معناه في قلبه ويملك عليه زمام نفسه، فيورث ذلك التقوى ومراقبة اللَّه ﷻ في السر والعلن. فلا يرى نفسه حيث نهاها الشارع الحكيم، ولا يفتقدها حيث أمرها؛ لأن المغريات والشهوات كثيرة، ومتاهات الباطل عديدة، وظلمات الفساد مستشرية، يسوقها شياطين الإنس والجن، فتأتي رقابة اللَّه التي استقرت في قلب العبد، فتكون حماية ووقاية له.

فحين يعلم العبد أن اللَّه تعالى رقيبه وشهيده في كل حال، ويعلم أن نفسه عدوٌّ له، وأن الشيطان عدوٌّ له، وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة. فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما، حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري[(٣)]، فيكون حينئذ قد راقب ربه، فيحسن القول والعمل، فيبلغ درجة الإحسان للرقيب الديان.

* * *
* *
*

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٣٩٦).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٧٥، ٢٧٦).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٨).

(٤٢، ٤٣)

القريب، المجيب

ورد هذان الاسمان متجاورين في كتاب اللَّه، في قوله تعالى على لسان صالح ﷺ: ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [هود: ٦١]، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

معنى « القريب المجيب »:

والقريب: الذي ليس ببعيد، أي قريب الإجابة[١]. معناه أيضًا أنه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة[٢].

والمجيب: معناه مجيب دعاء عباده إذا دعوه[٣]. ومعناه أيضًا: الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه[٤].

قرب اللَّه وإجابته لكلٍّ منهما معنيان:

- فقربه ﷻ نوعان:

١ - **قرب عام**: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

٢ - **قرب خاص بالداعين والعابدين**، وهو قرب يقتضي المحبة والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإنابة للعابدين[٥].

ولأجل ذلك ينبغي فهم القرب بهذا المعنى في العموم والخصوص حتى لا يكون هناك تعارض بينه وبين ما هو معلوم من استوائه تعالى فوق عرشه كما يليق بجلاله، فسبحان من هو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه[٦]. فهو سبحانه قريب ممن دعاه، مجيب لاستغفار التائبين إليه[٧].

---

(١) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّه (ص ١٤٦).
(٢) الخطابي: شأن الدعاء (ص ١٠٢).
(٣) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّه (ص ٢٤٥).
(٤) الخطابي: شأن الدعاء (ص ٧٢).
(٥) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٦٤).
(٦) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٥٢٧).
(٧) أحمد عيسى: توضيح المقاصد (٢/ ٢٢٩).

- وكذلك إجابة اللَّه ﷻ لعباده لها نوعان:

١ - **إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة.** على أن دعاء المسألة يقع من البر والفاجر، ويستجيب اللَّه ﷻ فيه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته، وهذا يُستدَل به على كرم المولى وشمول إحسانه للبر والفاجر، ولا يدل بمجرده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه وعلى صدقه وتعين الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيجيبهم اللَّه تعالى، فإنه يدل على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربهم. ولهذا كان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته. وذلك من دلائل نبوته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء اللَّه من إجابة الدعوات، فإنه من أدلة كرامتهم على اللَّه ﷻ.

٢ - **إجابة خاصة**، ولها أسباب عديدة؛ منها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإنه اللَّه تعالى يجيب دعوته: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢]. وسبب ذلك شدة الافتقار إلى اللَّه وقوة الانكسار وانقطاع تعلقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة اللَّه التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها، فكيف بمن اضطر إليها[١].

وقد تحدث القدامى والمعاصرون عن قصص المضطرين الذين أحاط بهم أعداؤهم بعيدًا عن الأنصار والأعوان، أو سقطوا في جبٍّ لا يصل إليهم فيه أحد، أو أطبق على فم غار أووا إليه صخرة أغلقته، أو أصاب طائرتهم خلل فأخذت تتأرجح بهم في الفضاء، أو وقعوا في غابة أحاطت بهم فيها وحوشها، فلم يجدوا من سبيل إلى النجاة إلا أن يدعوا الذي يجيب المضطر إذا دعاه، فينجون وما ظنوا أنهم ناجين، ويؤوبون سالمين بعد أن يئسوا من الحياة، إنه اللَّه - تبارك وتعالى - القريب المجيب الذي لا تخفى عليه خافية من أمر خلقه، القادر على كل شيء[٢].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

القريب المجيب من العباد هو الذي يكون قريب من أمر ربه، مجيبًا فيما أمره به ونهاه عنه، وفيما ندبه إليه ودعاه. ثم مجيبًا لعباده فيما أنعم اللَّه ﷻ عليه بالاقتدار عليه، وفي

---

(١) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٦٦).

(٢) الأشقر: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٧٧).

إسعاف كل سائل بما يسأله إن قدر عليه، وفي لطف الجواب إن عجز عنه[١]. فهو يفزع على قدر المستطاع إذا استغاث الملهوف به، ويحمل الكَلَّ، ويعين ذي الحاجة، ويقري الغريب الذي تقطعت به السبل.

وقد كان رسول اللَّه ﷺ أسوة للناس جميعًا في ذلك، وهو القائل: « **لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت** »[٢].

وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية الإكرام والإيجاب منه. فكم من خسيس متكبر يترفع عن قبول كل هدية، لا يتبذل في حضور كل دعوة، بل يصون جاهه وكبره، ولا يبالي بقلب السائل، المستدعي وإن تأذى بسببه، فلا حظ لمثله في معنى هذا الاسم[٣].

* * *

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، الحديث رقم (٥١٧٨).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٩).

(٤٤)

الواسع

ورد اسم الواسع سبحانه في القرآن الكريم تسع مرات، أربعًا منها في سورة البقرة تعقيبًا على ملكه وجوده ومغفرته، قال تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال جل ذكره: ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨][١].

كما يلاحظ اقتران اسم الواسع باسم العليم في سبعة مواضع من المواضع التسعة الواردة في القرآن الكريم، مما يدل على أن فضل « الواسع » سبحانه وإحسانه ونعمه ورحمته وقدرته تعطى بناء على علمه الشامل المحيط بعباده[٢].

معنى « الواسع »:

والواسع - كما يقول ابن منظور -: « هو الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقير »[٣].

وقال ابن الأنباري: « الواسع من أسماء اللَّه: الكثير العطايا، الذي يسع لما يسأل. ويقال: الواسع: المحيط بكل شيء »[٤].

ويرى الخطابي أن الواسع: « هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب: الغنى، ويقال: اللَّه يعطي عن سعة، أي عن غنى »[٥].

وفي رأي الغزالي: « الواسع مشتق من السعة، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم... فالواسع المطلق هو اللَّه ﷻ؛ لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفد البحار

(١، ٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٦٢).

(٣، ٤) لسان العرب (٣/ ٩٢٥).

(٥) شأن الدعاء (ص ٧٢).

لو كانت مدادًا لكلماته. وإن نظر إلى إحسانه ونعمه، فلا نهاية لمقدوراته. وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة، والله ﷻ هو الواسع المطلق »[١].

فالله ﷻ إذًا واسع الرزق، واسع العطاء، واسع الغنى، واسع العلم، واسع الملك، واسع القدرة، واسع الرحمة، واسع الإحسان والإنعام، واسع المغفرة. فسبحان من وسع علمه جميع المعلومات فلا يشغله معلوم عن معلوم، ووسعت قدرته جميع المقدورات فلا يشغله شأن عن شأن، ووسع سمعه جميع المسموعات فلا يشغله دعاء عن دعاء، ووسع إحسانه جميع الخلائق فلا يمنعه إغاثة ملهوف عن إغاثة غيره، ووسعت رحمته كل شيء فهو سبحانه أرحم الراحمين.

سعة خلق اللـه وكرمه ورحمته وشريعته:

إن سعة جود الله وكرمه وإحسانه وبسط نعمه باب كبير يلحظه جميع الناس فيما ينزل من السماء من ماء غزير، وما تجري به الأنهار والعيون في جنبات الأرض، وما تموج به البحار من خيرات مما لا يعلمه ويحصيه إلا الله تعالى، ومنه ما يوسع به على بعض خلقه دون بعض وفق حكمته العليا[٢].

كما أخبرنا - تبارك وتعالى - عن سعة علمه، وضرب مثلًا لكلماته التي خلق بها الخلق وأوجد بها جميع الكائنات، بأن أشجار الأرض كلها لو تحولت إلى أقلام يكتب بها، وتحولت البحار إلى مداد، وفنيت بحار الأرض كلها، وجيء بقدر هذه البحار سبع مرات، لفني هذا كله وبقيت كلمات الله لم تنفد[٣].

كما أن سعة رحمة الله تظهر فيما أنزله من الكتب، وأرسله من الرسل لهداية الخلق إلى صراطه المستقيم، لتعمهم السعادة في الدنيا والآخرة، ومهما عظمت ذنوب العباد وهفواتهم، فإن عفو الله تعالى ومغفرته أوسع وأعظم.

وكذلك، فإن الله تعالى واسع في خلقه وإيجاده، فالأرض بسهولها وجبالها وبحارها وأنهارها شاهدة على ذلك. والسماء - وهي كل ما علا - واسعة في بنائها، دائمة التوسع إلى ما شاء الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]. ومع سعة الأكوان

---

(١) المقصد الأسنى (ص ١١٩).
(٢، ٣) الأشقر (ص ١٨٢).

والسموات وما فيها وما بينها، والتي لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من وسائل وتقنيات متطورة أن يحيط بجزء منها، بله جميعها؛ إذ يقدر علماء الفلك المعاصرون أن أقصى ما تستطيع المناظير الإلكترونية أن تصل إليه وترصده في الكون (السماء الدنيا) هو بعض النجوم والمجرات البعيدة عنا بحوالي خمسة وعشرين ألف سنة ضوئية، والسماء الدنيا بالنسبة للسموات الأخرى شيء ضئيل جدًا كما ورد في الحديث الشريف.

بل إن اللَّه ﷻ خلق خلقًا أوسع من ذلك: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وعرشه - جل علاه - محيط بجميع الكائنات من أرضين وسموات وجنة ونار.

واللَّه ﷻ واسع في تشريعه وحكمته أيضًا، ومن هاهنا فإن الشريعة التي أنزلها لتنظم شؤون عباده تفي بكل حاجاتهم؛ فهي مبنية على العدل والمساواة بين الناس، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. كما أنها جاءت لجلب التيسير ورفع المشقة والحرج عن العباد.

آثار القدير العليم الواسع في الكون:

إن الكون وما فيه من عوالم مختلفة، وأمم شتى من الجن والإنس والحيوان والطير والحشرات - إنما هو آثار الغني الواسع - تبارك وتعالى -. فملايير المجرات وما تحتويه من مئات ملايير النجوم في السماء الدنيا مما لا يحصيه العد، أثر من هذه الآثار، بينما لا أحد من الخلق يعلم سعة السموات الست الأخرى وما خلق فيهن من أسرار: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٢].

ويكفي أن ننظر إلى الشمس وما أودع فيها العليم الواسع من منافع؛ فبضوئها نبصر ونسير في الأرض، وبحرارتها وضوئها يتكون في النبات طعامنا، بل وطعام كل كائن حي، ومن أشعتها وحرارتها يخزن الوقود للإنسان في الأرض. ومن هذه الحرارة نلمس الدفء على سطح الأرض، ولولاه لقضت البرودة على كل كائن حي، فسبحان العليم الواسع[١].

والأرض وما عليها من منافع عظيمة وأرزاق شتى - بحيث نجدها مائدة عظيمة واسعة

---

(١) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ١٦٤).

عامرة بأنواع كثيرة من الطعام - يتناول منها كل ذي حياة طعامه الخاص بحياته ويستمد منها رزقه الذي يناسبه؛ فملايين الملايين من الأحياء ابتداءً من ذوي الخلية الواحدة في النباتات والحيوانات، وانتهاءً بالإنسان في برها وبحرها وجوها، تأكل كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة مِن على هذه المائدة الغنية، ومع ذلك لا ينفد طعامها ولا ينضب، فسبحان الغني الواسع[١]. والحيوانات التي تملأ البر والبحر والتي تساق إليها أرزاقها بسهولة ويسر أثر من هذه الآثار. والجبال الراسيات وما في باطنها من معادن، والبحار وما في أعماقها من جواهر ولآلئ أثر من هذه الآثار. وإبداع خلق الإنسان، وتزويده بالأجهزة المتنوعة، وتسليحه بالأسلحة الكثيرة للحفاظ على حياته أثر من هذه الآثار، فسبحان القدير الواسع[٢].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه ﷻ واسع في علمه، وواسع في حكمته وواسع في رحمته. فلو كان على سبيل المثال ماء البحار مدادًا للقلم الذي يكتب به كلمات اللَّه وحكمته، وآياته وعلمه وشرعه وقدره، لنفدت البحار قبل أن ينفد ما عند اللَّه تعالى من علم وحكمة وآيات، بل إن كلمات اللَّه ﷻ لا نفاد لها.

٢ - اللَّه سبحانه واسع العطاء، كثير الإفضال على خلقه، والخلق كلهم يتقلبون في رحمته وفضله، يعطي من يشاء ويمنع، ويخفض من يشاء ويرفع، بعلمه الذي وسع كل شيء وحكمته.

٣ - أن اللَّه تعالى يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. كما أنه واسع المغفرة يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطاياه[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يتوسع في المعارف والأخلاق وينهل منها قدر الإمكان، فإن كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه. وإن اتسعت أخلاقه حتى لا يضيقها

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٦٤).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦٤، ١٦٥).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٨٠ - ٢٨٣).

خوف الفقر وغيظ الحسد وغلبة الحرص وسائر الصفات الذميمة، فهو واسع[1].

وكذلك الواسع من العباد هو الذي لا يطلب حوائجه إلا من اللَّه تعالى إن أراد السعة في الرزق والمال والولد؛ لأنه يعلم أن الناس عندما يعطون يمنون بعطاياهم وينتظرون عوضًا، وما ذلك إلا لفقرهم وحاجتهم. وأما الرحمن: « **فيده ملأى، لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه** »[2].

* * *

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١١٩).

(٢) والحديث في صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، ومسلم برقم (٩٩٣).

(٤٥)

الودود

ورد اسم الودود في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٣، ١٤].

معنى « الودود »:

الودود – كما يقول الزجاجي –: هو الذي « يود عباده الصالحين ويحبهم »(١).

ويقول الغزالي: « هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم »(٢).

والودود من الود، وهو خالص الحب، فهو سبحانه ودود بمعنى أنه يحب أهل طاعته ومودته سبحانه كما يليق بجلاله، وليست كمودة المخلوق(٣).

كيف يتودد اللـه تعالى إلى عباده؟

إن اللَّه ﷻ يتودد إلى عباده بما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي الكون من حولهم؛ فقد كرم اللَّه ﷻ بني آدم، وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلًا. ومن ذلك أنه خلقهم في أحسن تقويم بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وأنزل عليهم بركات من السماء، وأخرج لهم خيرات الأرض وكنوزها(٤).

ومن نعمه تعالى التي يتودد بها إلى عباده ما أرسل إليهم من الرسل وأنزل من الكتب، وما علَّمهم إياه من الحكمة لتستنير قلوبهم وتستضيء حياتهم. كما تودد إليهم سبحانه فعرفهم بسعة رحمته، وعظيم مغفرته، ودعاهم إلى الفيئة والرجوع إليه، ووعدهم على ذلك أن يقبل توبتهم ويبدل سيئاتهم حسنات: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا

---

(١) اشتقاق أسماء اللـه (ص ٢٦٢).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٢٢).

(٣) صالح الفوزان: شرح العقيدة الواسطية (ص ٤٥).

(٤) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ١٨٧).

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣][1].

على أن اللَّه تعالى يتودد خاصة إلى رسله وأنبيائه وأتباعهم من المؤمنين. وهؤلاء هم القوم الذين لهم القسط الأوفر من ود اللَّه ومحبته، وهداياه إليهم دائمة متصلة: أنوار في النفوس، وطمأنينة في القلوب، وحياة ندية طيبة في الدنيا، تغشاها السكينة، وفي الآخرة يدخلهم جنات عدن، ويحل عليهم رضوانه، ويكشف الحجاب ليروا ربهم، وما شيء على الإطلاق أحب إليهم من ذلك؛ إذ يتلاشى نعيم الجنة أمام الرضوان والقرب والسلام والنظر إلى وجهه الكريم ﷻ.

وعلى العموم، فإن نعم اللَّه وآلاءه على عباده لا تحصى ولا تعد، فهي أجل وأعظم وأوسع من أن تحيط عقول البشر بأدنى جزء منها: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

فالدنيا التي نعيش فيها - كما يقول ابن القيم - « قرية، والمؤمن رئيسها، والكل مشغول به، وساعٍ في مصلحته، والكل قد أقيم في خدمته وحوائجه؛ فالملائكة الذين هم حملة العرش ومن حوله يستغفرون له، والملائكة الموكلون به يحفظونه، والموكلون بالقطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه، والأفلاك سخرت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته... والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره وما أودع فيه، والعالم السفلي كله مسخر له، مخلوق لمصالحه: أرضه وجباله، وبحاره وأنهاره، وأشجاره وثماره ونباته وحيوانه... »[2].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الودود على الإطلاق، المحب لخلقه، والمثني عليهم والمحسن إليهم؛ ولذلك أرشدهم بواسطة كتبه ورسله إلى خير الدارين.

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٨٧). (٢) مفتاح دار السعادة (ص ٣٢٨).

٢ - أن اللَّه تعالى يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه؛ ولذلك يجب على العبد أن يتبع ما يحبه اللَّه تعالى ويرضاه، ويتجنب ما يبغضه ولا يحبه، فيتودد إلى خالقه - تبارك وتعالى - بامتثال أمره ونهيه.

٣ - أن المستحق أن يُحبَّ لذاته هو اللَّه ﷻ، وكل محبة يجب أن تكون للَّه وفي اللَّه[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

الودود من عباد اللَّه من يريد لخلق اللَّه كل ما يريده ويحبه لنفسه. وأعلى ذلك أن يؤثرهم على نفسه كمن قال: أريد أن أكون جسرًا على النار يعبر عليَّ الخلق ولا يتأذون بها[٢].

وكمال ذلك أن لا يمنعه عن الإيثار والإحسان إلى الخلق الغضبُ والحقدُ وما ناله منهم من الأذى، فيقتدي بالنبي ﷺ حين كسرت رباعيته وأدمي وجهه في غزوة أحد، ولم يزد على أن قال: « **اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** »[٣]. وقد أمر - عليه الصلاة والسلام - عقبة بن عامر ﷺ، حيث قال له: « **إن أردت أن تسبق المقربين، فصلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك** »[٤].

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٢٢).

(٣) الحديث في الجامع الصحيح لمسلم رقم (١٧٩٢).

(٤) الحديث في مسند أحمد (٤/ ١٥٨)، وانظر: الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٢٢، ١٢٣).

(٤٦)

المجيد

ورد اسم المجيد في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [البروج: ١٤، ١٥].

معنى « المجيد »:

يقول أبو القاسم الزجاجي: « المجيد في لغة العرب: الكريم، والمجد: الكرم، واشتقاقه من قول العرب: أمجدت الدابة علفًا، إذا كثرت لها، فكأن المجيد المبالغ في الكرم المتناهي فيه »[١].

والمجيد - كما يقول الخطابي -: « الواسع الكرم، وأصل المجد في كلامهم السعة، يقال: رجل ماجد إذا كان سخيًّا واسع العطاء »[٢].

وقال ابن منظور: « المجد في اللغة: المروءة والسخاء، والمجد: الكرم والشرف... والمجيد فعيل للمبالغة... فكأنه يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم »[٣].

ويرى الغزالي أن المجيد هو: « الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونوله، فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدًا »[٤].

مجد اللَّـه تعالى مطلق:

فهو سبحانه المجيد الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ١٥٢).

(٢) شأن الدعاء (ص ٧٤).

(٣) لسان العرب (٣/ ٤٤٠).

(٤) المقصد الأسنى (ص ١٢٣).

أو نقصان. فهو ﷻ مجيد بلغ الغاية في كل شيء، فله الشرف التام الكامل، والملك الواسع، والعطاء الجزيل، والبر الجميل[١].

ومجد اللَّه تعالى لا يشابهه ولا يدانيه مجد، فله المجد الأعلى؛ ولذلك استحق سبحانه التمجيد والتعظيم والتسبيح والتنزيه، وخير ما يمجد به ويعظم ما اصطفاه لنفسه من التعظيم. وقد علمنا سبحانه أنواع التعظيم والتمجيد كقوله عز من قائل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥][٢].

وقد صح في الحديث أن العبد إذا قرأ في صلاته: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] قال الرب: « **حمدني عبدي** »، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الرب: « **أثنى علي عبدي** »، فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: « **مجدني عبدي** »[٣].

ووصف - تبارك وتعالى - عرشه الذي استوى عليه والمحيط بمخلوقاته جميعًا بالمجيد: (ذو العَرْشِ المجيدِ) [البروج: ١٥] - على قراءة من قرأ بالكسر - فاللَّه ﷻ لا يختار لنفسه إلا الأفضل والأتم والأكمل والألطف، والأجمل، ولذلك حق أن يكون مجيدًا[٤].

ووصف الحق ﷻ كتابه بالمجيد: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج: ٢١]؛ لأنه أشرف كتاب وأعظم كتاب، وهو كلام اللَّه - تبارك وتعالى - وقد بلغ غاية الكمال والتمام في الفصاحة والبلاغة، كما بلغ الغاية فيما حواه من العلوم خاصة العلوم المعرِّفة باللَّه تعالى والدالة عليه[٥]. وكذلك بلغ غاية الإعجاز لكثرة ما تضمنه من العلوم الكثيرة، والمكارم والمقاصد العليا، والفوائد الدنيوية والأخروية[٦].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه تعالى له المجد العلي العظيم، بفعاله العظيمة وصفاته العلية وبأسمائه الحسنى، فلا مجد إلا مجده، ولا عظمة إلا عظمته، وكل مجد لغيره إنما هو منه عطاء وتفضل.

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٦٣).

(٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٨٩).

(٣) الحديث في صحيح مسلم برقم (٣٩٥).

(٤، ٥) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٨٩).

(٦) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٦٦).

٢ - مَجَّدَ اللَّه سبحانه نفسه في كتابه العزيز في آيات كثيرة، بل القرآن الكريم مليء بتمجيد اللَّه وتعظيمه.

٣ - عطاء اللَّه تعالى واسع، وفضله سابغ، قد شمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، مجَّد بذلك نفسه في قوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤][1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من « المجيد » أن يتصف بالكرم والسخاء وسعة اليد، ويأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي، فيحسن إلى الفقير بالعطاء وإلى الغني بالمروءة والفضل، ويغيث الملهوف، ويعين على نوائب الحق، ويكرم الضيف، ويحمل الكل.

* * *

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٤٧)

الشهيد

ورد اسم الشهيد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٣٣]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

معنى « الشهيد »:

والشهيد - كما يقول أبو القاسم الزجاجي -: « تقول العرب: فلان كان شاهدًا لهذا الأمر، أي لم يغب عنه، فاللَّه ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شهيدًا لها وشاهدًا لها، أي عالمًا بها وبحقائقها علم المشاهد لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية »[(١)].

وقال ابن الأثير: « الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء »[(٢)].

وقال ابن العربي: « الشهيد الحاضر مع كل موجود بالقدرة والعلم والسمع والبصر »[(٣)].

وهكذا فإن الشهيد مشتق من الشهود بمعنى الحضور، ويستلزم ذلك العلم، فاللَّه ﷻ مطَّلع على كل الأشياء، يسمع جميع الأصوات خفيها وجليها، يبصر جميع المخلوقات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها. وأحاط علمه بتفاصيل كل شيء وحقائقه.

كما أنه سبحانه يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد من أفعالهم وأقوالهم، كما جاء على لسان عيسى - عليه الصلاة والسلام - فيما حكاه اللَّه تعالى عنه في يوم القيامة: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

وتحسن الإشارة إلى أن هناك علاقة بين أسماء العليم والخبير والشهيد؛ فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ١٣٢).
(٢) جامع الأصول (١/ ١٧٩).
(٣) أحكام القرآن (٢/ ٨٠٠).

إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد[1].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه عز شأنه هو عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم، ليس بغائب عنهم.

٢ - اللَّه تعالى أعظم شيء شهادة، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩].

٣ - شهد اللَّه ﷻ لنفسه بأنه واحد أحد، فرد صمد لا شريك له ولا ند ولا نظير ولا مثيل، وشهد ملائكته وأولو العلم بذلك: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨][2].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

للإيمان باسم الشهيد أثر كبير في صلاح العبد وقوة إيمانه ويقينه؛ فحين يعلم العبد بأن شهادة العباد محدودة بأوقات، وتتوقف بالنوم والغفلة والسهر والضعف وأخيرًا بالموت، وبأن شهادة اللَّه ﷻ دائمة تامة لا تؤثر العوامل السابقة الذكر فيها؛ لأنه ﷻ لا ينام ولا يغفل ولا يسهى، بل هو حي دائم لا يموت - فإن العبد في هذه الحال يراقب ربه ﷻ في السر والعلن ويخافه ويرجوه، ويديم على الطاعة؛ لأنه مستيقن أن اللَّه تعالى شهيد عليه دائمًا وأبدًا في كل أحواله، لا يغيب عنه شيء لا في أقواله ولا أفعاله.

* * *

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٢٦).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٤٨)

الحق

ورد اسم الحق في القرآن كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله جل ذكره: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

معنى « الحق »:

قال أبو القاسم الزجاجي في بيان معنى الحق: « اللَّه ﷻ حق، وكل معبود دونه باطل، والحق نقيض الباطل، ويقال: حق الشيء يَحُقُّ حقًّا، تأويله: وجب يجب وجوبًا، فاللَّه ﷻ حق، وكل شيء من عنده حق، وكل ما عاد إليه حق، وكل ما أمر به ونهى عنه حق على العباد امتثاله، أي: واجب ذلك عليهم، فاللَّه الحق، أي هو الحق، وما عبد دونه باطل، واللَّه ﷻ الحق، أي ذو الحق في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وجميع ما أنزله على رسله وأنبيائه »(١).

وقال أبو سليمان الخطابي: « الحق هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق »(٢).

فاللَّه ﷻ هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، الثابت الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق، ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام(٣).

اللَّه هو الإله الحق من عدة وجوه:

الوجه الأول: وجوده - تبارك وتعالى - فله الوجود الحق، فلا يزول ولا يحول بخلاف غيره: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، وحياته ﷻ حياة أزلية أبدية؛ فقد كان

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّه (ص ١٧٨). (٢) شأن الدعاء (ص ٧٦).

(٣) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٦٣٥).

اللَّه ولم يكن شيء، فهو الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

ووجوده في تمام الكمال؛ لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا مرض ولا تعب: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

وأسماؤه - تبارك وتعالى - كلها حق، وكذلك صفاته، فليس في شيء منها شيء من الباطل، لا في وحدانيته ولا قدرته ولا عزته ولا علمه ولا جبروته ولا كبريائه، وسائر الصفات على هذا المنوال[١].

الوجه الثاني: هو الحق في ربوبيته وألوهيته وتدبيره وتصريفه الأمور، فهو تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ومصرف أموره ورازقه، وكل شيء غيره تعالى مألوهٌ مربوب مملوك مصرَّف مدبَّر لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا[٢].

الوجه الثالث: كل ما جاء من عند اللَّه فهو حق، فاللَّه تعالى نزَّل الكتاب بالحق: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وأرسل رسله - عليهم السلام - بالحق: ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وخلق السموات والأرض بالحق: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨٥][٣].

ولذلك فالإنسان ما خُلِقَ ليلهو ويلعب، وما خُلِقَ عبثًا، وإنما خُلِقَ ليؤدي رسالة، ليقوم بأمانة التكليف التي أناطه اللَّه ﷻ بها، وقد أشفقت عن حملها السموات والأرض والجبال.

وكذلك القصص التي قصها - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز حق لا باطل فيه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، بخلاف ما يقصه البشر من قصص وأساطير، فهو كذب كله مختلق أو مزج فيه بين الحق والباطل.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه تعالى هو الحق المبين، لا شك ولا ريب في وجوده، ولا يسع أحدًا إنكاره لظهور دلائل إثباته، وكيف يخفى سبحانه وهو أحق باسم الحق من كل حق.

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٩٥) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ١٩٦) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (ص ١٩٧).

٢ - اللَّه ﷻ حق في ذاته، حق في صفاته، حق في أقواله، حق في أفعاله، ولا وجود لشيء من الأشياء ألبتة إلا به.

٣ - اللَّه سبحانه هو الإله والرب الحق الذي لا تنبغي الألوهية والربوبية إلا له وحده لا شريك له، وما سواه من المعبودات زائل باطل.

٤ - لما كان اللَّه - جل ذكره - هو الحق ويحب الحق ويأمر به، فإنه لا يستحيي من بيانه للناس، وإظهاره لهم بأنواع الأمثلة الحسية التي تعين على فهم الحق وقبوله، والإعراض عما سواه من الباطل[1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يؤمن بأن اللَّه هو الحق سبحانه، وأن كل معبود دونه باطل. ويعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه الحق في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ويتلقى كل ما جاء من عند اللَّه تعالى بالقبول والخضوع والإذعان.

كما ينبغي أن يرى نفسه باطلًا، ولا يرى غير اللَّه ﷻ حقًّا؛ فليس حقًّا بنفسه، بل هو حق باللَّه ﷻ، فإنه موجود به لا بذاته؛ إذ لم يكن شيئًا فخلقه اللَّه تعالى ومنَّ عليه بالحياة والوجود: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

* * *

* *

*

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣١٨ - ٣٢٠).

(٤٩)

المبين

ورد اسم المبين في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

معنى « المبين »:

والمبين له معنيان:

الأول: ظهور اللَّه ووضوحه بظهور الأدلة الدالة على وجوده ووحدانيته، فكل شيء في الكون دال عليه[١].

وفي هذا السياق يقول أبو سليمان الخطابي: « المبين البيِّن أمره في الوحدانية، وأنه لا شريك له: يقال: بان الشيء واستبان بمعنى واحد »[٢].

الثاني: إظهار اللَّه تعالى للحق وإبانته له، ومن ذلك إظهار نفسه - تبارك وتعالى - وتعريفه بها ليدل الخلق عليه ويرشدهم إليه[٣].

وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم الزجاجي: « المبين اسم الفاعل من أبان يبين، فهو مبين إذا أظهر وبيِّن إما قولًا وإما فعلًا، فاللَّه - تبارك وتعالى - المبيِّن لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه والأعمال الموجبة لعقابه، والمبيِّن لهم ما يأتونه وما يذرونه »[٤].

البيان من اللَّـه تعالى:

البيان هو الكشف عن الشيء، والبينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة. فاللَّه ﷻ بيَّن لعباده طرق الهداية، وحذرهم من طرق الغواية، وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب ليبين لهم: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ

(١) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٩٩).
(٢) شأن الدعاء (ص ١٠٢).
(٣) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٩٩).
(٤) اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٨١).

وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦][1].

والبيان من اللَّه تعالى له طريقان:

الأول: بما أنزله من الآيات البينات في كتبه المنزلة على رسله - عليهم الصلاة والسلام -.

والثاني: بآياته التي خلقها والمبثوثة في الكون، والتي لا يحصيها عد.

على أن صفة البيان من أعظم صفات اللَّه - تبارك وتعالى -؛ فقد أبان الحق بكلماته المنزلة في كتبه وعلى ألسنة رسله، وأبان الحق بآياته التي أجراها على أيدي رسله، وجعل آياته الكونية دلائل على وحدانيته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[2].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه - تبارك وتعالى - البيِّن أمره في الألوهية والربوبية، لا يخفى على خلقه بما نصب لهم من الدلائل والبينات الدالة عليه ﷻ.

٢ - أنه تعالى « المبين » الذي أوضح لخلقه سبل النجاة من عقابه، والفوز برضاه وجنته، بما فطر عليه الناس من التوحيد، وبما أرسل إليهم من الرسل وأنزل إليهم من الكتب.

٣ - القرآن الكريم بيان اللَّه البين الواضح لكل ما يحتاجه بنو الإنسان في حياتهم لتقوم الحجة لهم أو عليهم يوم الحساب[3].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يكون ذا بصيرة نافذة وعقل مستنير متفتح؛ إذ شهد بوجدانه وقلبه وبصره هذا النور المبين، فكان منه على بينة ويقين، ومشاهدة تامة لحسنه وكماله، بحيث لو عرض على عقله ضده لرآه كالليل البهيم الأسود. فيدخل بهذا الموقف في زمرة أولي الألباب الذين خصهم اللَّه تعالى في كتابه المبين بخطاب التنبيه والإرشاد، وهم المرادون على الحقيقة بالتذكرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩].

* * *

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٥٨٣).
(٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٠١).
(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٥٠)

الوكيل

ورد اسم الوكيل في القرآن الكريم أربع عشرة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ٨١].

معنى « الوكيل »:

والوكيل - كما يقول ابن منظور -: « هو المقيم (أي الموجد للمخلوقات من عدم) الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه. وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٢]. وقيل: الوكيل: الحافظ. وقال أبو إسحاق: الوكيل في صفة اللَّه تعالى الذي توكَّل بالقيام بجميع ما خلق، وقال بعضهم: الوكيل: الكفيل »(١).

وذكر أبو حامد الغزالي أن الوكيل هو: « الموكول إليه الأمور... والوكيل المطلق هو الذي الأمور موكولة إليه، وهو مَليٌّ بالقيام بها، وَفيٌّ بإتمامها، وذلك هو اللَّه تعالى فقط »(٢).

وقال أبو القاسم الزجاجي: « فعيل من قولك: وكلت أمري إلى فلان وتوكل به، أي جعلته يليه من دوني وينظر فيه، فاللَّه ﷻ وكيل عباده، أي كافيهم أمورهم وأسبابهم »(٣).

وقد فرق الراغب الأصفهاني بين الوكيل والكفيل فقال: « وربما فسر الوكيل بالكفيل، والوكيل أعم؛ لأن كل كفيل وكيل، وليس كل وكيل كفيلًا »(٤).

فاللَّه ﷻ هو الكفيل بأرزاق المخلوقات قاطبة، والقائم عليهم بمصالحهم. كما أنه - تبارك وتعالى - يتولى بإحسانه أمور عباده المتقين خاصة، الذين يلجأون إليه ويعتمدون عليه، فيكفيهم ويكلأهم ويغنيهم ويرضيهم ويسددهم وينصرهم على أعدائهم.

---

(١) لسان العرب (٣/ ٩٧٧).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١٢٩).
(٣) اشتقاق أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٣٦).
(٤) المفردات (ص ٥٣٢).

آثار الوكيل في الحياة:

إن إخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه والخضروات متلاحقة متتابعة متنوعة متوافقة مع مصالح وحاجة المقتاتين - يدل دلالة قاطعة على عظم آثار الوكيل ﷻ في حياة المخلوقات على شتى أصنافها[١].

ثم إن هذه الأقوات تأتي مصحوبة بمنافع أخرى من الحديد وأصناف المعادن والخشب والورق والعُشب والعصف وغيرها، وهذه تستخدم في احتياجات المخلوقات كأدوات للبناء وأواني للاستخدام وكعلف للبهائم وغير ذلك... ثم هذه الأقوات وتلك المنافع تساق في منظر بهيج يشوق الناظرين، فالثمار - مثلًا - مختلفة الأنواع والأشكال والمقادير والألوان والروائح والمنافع: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤][٢].

- ولنأخذ على سبيل المثال النخلة وهي شجرة كثيرة المنافع، فريدة في مزاياها ومستخرجاتها. فزينتها دائمة في الفصول الأربعة، وثمرتها طيبة حلوة، تؤكل يانعة ورطبة ويابسة، وهي من أنفع ثمار العالم، تكون قوتًا وأدمًا وفاكهة. ويتخذ منها الخل والناطف والحلوى، وتدخل في الأدوية والأشربة، وعموم المنفعة بها فوق كل الثمار، وشجرتها سهلة التناول؛ فقصيرها لا يحوج المتناول أن يرقاها، وباسقها سهل الصعود لما فيه من مراقي ودرج. وهي كلها منفعة لا يسقط منها شيء بغير منفعة؛ فجذعها فيه منافع للأبنية والسقوف وغير ذلك، وسعفها تسقف به البيوت، وخوصها يتخذ منه المكاتل والزنابيل وأنواع الآنية والحصر وغيرها، وليفها فيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس[٣].

فسبحان الوكيل الذي تكفل بأرزاق جميع المخلوقات، وجعل في الأرض الكفاية لها: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ٩، ١٠].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو القائم بأمر الخلائق أجمعين والمتكفل برزقهم وإيصاله لهم،

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٥٦٧). (٢) المرجع السابق (ص ٥٦٧، ٥٦٨).

(٣) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٣٠ - ٢٩٠) بتصرف.

والرعاية لمصالحهم، وما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. وهذا لا بد أن يتضمن أوصافًا عظيمة من أوصافه كحياته وعلمه وقدرته وقوته ورحمته وحكمته وجوده وكرمه ووفاء عهده وصدق وعده... إلى غير ذلك من الأوصاف الجليلة، اللائقة بكماله وعظمته.

٢ - حض اللَّه - تبارك وتعالى - على التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، وجعل هذا من صفات المؤمنين به: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣][١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يتخذ اللَّه تعالى وكيلًا دون غيره؛ لأنه ﷻ كافي من توكل عليه...

والتوكل هاهنا استقواء بالحق، وثبات على المبدأ، وأخذ بالأسباب، وصبر في مواجهة الباطل، واعتماد على اللَّه تعالى في الحركة بالإسلام في مواجهة الطغيان.

وهذا هو النمط الراقي الذي يمثل الفقه الصحيح للتوكل على اللَّه ﷻ، فيحمل الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، ويحمل همَّ الدعوة إلى اللَّه لتبصير الخلق بحقيقة الدين وتعريفهم بأسماء اللَّه وصفاته وربوبيته وألوهيته، ويواجه أعداء الحق محتميًا باللَّه تعالى، ملتجئًا إليه، مستعينًا به، طالبًا منه النصر والتأييد.

* * *
* *
*

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٢٩ - ٣٣٢).

(٥١، ٥٢)

القوي، المتين

من أسماء اللَّه الحسنى « القوي، المتين »، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]. وقال جل ذكره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

والقوي – كما قال ابن جرير الطبري – هو: « الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه... »[١].

وقال أبو القاسم الزجاجي: « والقوي: ذو القوة والأيد، ويقال لمن أطاق شيئًا وقدر عليه: قد قوي عليه، ولمن لم يقدر عليه: قد ضعف عنه. فاللَّه ﷻ قوي قادر على الأشياء كلها لا يعجزه شيء منها »[٢].

وأما المتين فهو – كما يقول الخطابي –: « الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب »[٣].

والمتين هو الشديد القوي الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ولا إلى معين أو عضد؛ لأن قدرته بلغت أقصى الغايات، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ٢٨، ٢٩].

ويرى أبو حامد الغزالي أن هناك علاقة وربطًا بين القوي والمتين فيقول: « القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة، واللَّه ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قويٌّ، ومن حيث إنه شديد القوة متينٌ »[٤].

قوة اللَّـه تعالى لا يحدها شيء:

وقد قرر اللَّه – تبارك وتعالى – أن القوة جميعًا له، ولكن الكفار والغافلين من العباد

(١) جامع البيان (٥/ ٣٨٧٥).
(٢) اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٤٩).
(٣) شأن الدعاء (ص ٧٧).
(٤) المقصد الأسنى (ص ١٢٩).

لا يدركون ذلك ولا يعلمونه إلا يوم القيامة: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولأجل ذلك فالله ﷻ هو القوي المتناهي في القوة، الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته، وهو القوي الذي له كمال القدرة والعظمة، غالب لا يغلب، قوته فوق كل قوة، ولا يلحقه ضعف في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله.

فهو تعالى أعطى الملائكة قوة كبيرة يستطيع المَلَك بها أن يقتلع الجبال ويقلب المدن: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [هود: ٨٢].

ومع ذلك فإنهم يخشون عذابه ويرتعدون من هيبته ﷻ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣].

آثار القوي في الكون:

هناك دورات أعظم من دورات الأحياء: الإنسان والحيوان والنبات، ألا وهي دورات النجوم والكواكب والمجرات وسائر الأفلاك.

فالكون كله في حركة دائبة ودائمة؛ فكما يدور كل شيء على الأرض، فإن الأرض بدورها تدور على محورها وتدور حول الشمس. وهي بالنسبة للشمس كالإلكترون بالنسبة لنواة الذرة، يدور حول نواته حتى لا ينجذب إليها. وكذلك الأرض فإنها تدور حول شمسها حتى لا تنجذب إليها وتضيع في أتونها المتوهج. والقمر يدور حول محوره ثم يدور حول الأرض، والكواكب الثمانية في المجموعة الشمسية تدور حول نفسها تارة، وحول الشمس تارة أخرى[١].

والشمس بدورها تدور حول محورها، ثم تصحب كواكبها التسعة وتدور بهم في مجرتها (التبانة). ومجرتنا هذه شيء ضخم تدور فيها شموسها (نجومها)، ثم تدور المجرة حول نفسها كأنها شكل حلزوني أو عجلة ضخمة. فكل شيء في الكون يدور: ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]، وكل شيء في الكون يجري: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨]. فمن الذي يهيمن على هذا الدوران الرهيب ويجعله في أفلاك محددة وفي أماكن مقدرة؟ فسبحان القوي المتين![٢].

(١، ٢) عبد المحسن صالح: دورات الحياة (ص ١٥٤).

ثم مَن الذي أبدع هذا الكون الفسيح (السماء الدنيا) الذي لا يمكن للإنسان المعاصر مهما أوتي من علم ومعرفة أن يلم بأطرافه؟ ومن الذي قسمه إلى بلايين المجرات وسدمات وأفلاك لا يحيط بها الحصر؟ إنه اللّه تعالى القوي المتين.

إن مجرتنا التي نعيش فيها، فيها آلاف الملايين من النجوم، حتى قال العلماء: لو أردنا أن نطلق اسمًا على كل نجم من نجوم مجرتنا في ثانية واحدة فقط، فإننا سوف نمكث (١٦٠٠) سنة كاملة، لا يغمض لنا فيها طرف ولا يتوقف فيها لسان عن ترديد الأسماء فقط، فما بالنا ببلايين المجرات الأخرى في فضاء السماء الدنيا السحيق!! لا إله إلا اللّه الكبير المتعال، القوي المتين[١].

أما المسافات التي تفصل بين النجوم والمجرات فهي مسافات واسعة شاسعة جدًّا لا تدركها الأبصار ولا العقول ولا حتى الخيال؛ إذ تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن، مما يشعر كل منهما بضآلته أمام أبعاد الكون، وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه، بله النفاذ إلى المجهول من بعده: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. ويمثل هذا البيان تحديًا للثقلين بعدم القدرة على النفاذ والعجز التام للانطلاق في أغوار الفضاء السحيق.

إن مجرتنا (سكة التبانة) جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين وربع المليون من السنين الضوئية (٣,٢٦١,٥٠٠) سنة ضوئية، وهذه بدورها تشكل جزءًا من حشد مجري يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين والنصف المليون من السنين الضوئية (٦,٥٢٣,٠٠٠) سنة ضوئية. وهذا الحشد المجري يكون جزءًا من الحشد المجري الأعظم، ويقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية، وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية[٢].

وتبدو الحشود المجرية العظمى على هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية تقدر أبعادها في حدود (١٥٠×١٠٠×١٥ سنة ضوئية). وأكبر تلك الشرائح - ويسميها الفلكيون مجازًا باسم الحائط العظيم - يزيد طولها على مائتين وخمسين مليونًا من

---

(١) عبد المحسن صالح: دورات الحياة (ص ١٥٩).
(٢) زغلول النجار: النفاذ من أقطار السموات والأرض، مجلة الإعجاز العلمي (عدد ٣٠) (ص ١٦، ١٧).

السنين الضوئية. وقد تم أخيرًا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمى تكوّن تجمعًا أعظم على هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية[١].

على أن الجزء المدرك من الكون يمثل جزءًا يسيرًا من السماء الدنيا التي زينها ربنا - تبارك وتعالى - بالنجوم، قال عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥]. هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره على العشرين بليون سنة ضوئية، وهي حقائق تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلًا شديدًا أمام أبعاد الكون المذهلة[٢]. فسبحان القوي المتين، وسبحان من لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن القوة للَّه تعالى جميعًا، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

٢ - اللَّه ﷻ قاصم الجبارين، ومهلك العتاة الظالمين؛ ولذلك تمدَّح بأنه القوي العزيز الناصر لرسله وعباده المستضعفين: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

٣ - كثيرًا ما ينسى الإنسان نفسه وضعفه وحاجته ويبارز ربه العداء، ويشرك به ما ليس له به علم ويفسد في الأرض ويتكبر فيها، خصوصًا إذا حباه اللَّه تعالى بالنعمة والمُلك والجاه والمال والولد، فيكون مآله العطب والخسران[٣].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

إن حظ العبد المؤمن من هذين الاسمين أن يعلم بأن قوة اللَّه تعالى قوة مطلقة، فيتبرأ مِنْ حَوْلِه وقوته، ويعتمد على حول اللَّه وقوته. وقد علَّم الرسول ﷺ أبا موسى الأشعري - كما ورد في الصحيح - أن يقول: « **لا حول ولا قوة إلا باللَّه** »، وأعلمه أن هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة[٤].

كما يجب على المؤمن أن يتذكر مصارع الغابرين التي قصها اللَّه ﷻ علينا في كتابه

(١، ٢) المرجع السابق (ص ١٧).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي (٥/ ٧٥).

لنستنتج منها العبرة والعظة؛ إذ فيها تذكير بقوة اللَّه تعالى وبطشه وانتقامه ما تُهَزُّ له القلوب وتخشع له النفوس[1].

* * *
* *
*

(١) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ٢١٠).

(٥٣)

الولي، المولى

ورد اسم «الولي، المولى» في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ [النساء: ٤٥]، وقوله جل ذكره: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

معنى «الولي، المولى»:

والولي - كما يقول أبو القاسم الزجاجي -: «تقول العرب: فلان ولي فلان، أي هو متولي أمره والقيم بشؤونه كأنه يلي إصلاح أمره بنفسه لا يكله إلى غيره... وفلان ولي فلان، أي ناصره كأنه يوليه نصره فلا يحول بينه وبينه... وفلان ولي فلان، أي يوليه وده وموالاته، ويثني عليه بالجميل، ولا يتبرأ منه في حال»[١].

وقال أبو حامد الغزالي: «الولي هو المحب الناصر... ومعنى نُصرَته ظاهر، فإنه يقمع أعداء الدين وينصر أولياءه، قال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١]»[٢].

فالله ﷻ إذًا ولي المؤمنين ومولاهم، أي ناصرهم على أعدائهم ومصلح شؤونهم وهاديهم إلى الصراط المستقيم: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. كما أنه - تبارك وتعالى - يتولى أمرهم، ويتكفل بحاجاتهم، ويحفظهم برعايته، ويختصهم برحمته[٣].

ولاية الله خاصة بالمؤمنين:

وإذا كان الله ﷻ هو الذي يتولى أمور العالم والخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الولي الذي صرف لخلقه ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وإذا كان ﷻ أنعم على

(١) اشتقاق أسماء الله (ص ١١٣).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٢٩، ١٣٠).

(٣) شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ٥٢٤).

الكافرين كما أنعم على المؤمنين، أفيجوز أن يقال: اللَّه ولي الكافرين؟!

يجيب على هذا السؤال أبو القاسم الزجاجي بقوله فيما معناه: إن اللَّه ﷻ لما أنعم على المؤمنين قابلوا إنعامه بالشكر والإقرار والطاعة والتوحيد، فجاز أن يقال: اللَّه ولي الذين آمنوا بإنعامه عليهم وقبولهم وشكرهم. أما الكافرون فقد أنعم عليهم فقابلوا إنعامه بجحودهم وكفرهم وعدم إقرارهم؛ فلذا لا يقال: هو مولاهم. كما أن الولي من معانيه النصرة والثناء؛ ولذا فلا يقال: اللَّه ولي الكافرين حتى لا يسبق إلى ذهن السامع أنه ينصرهم ويثني عليهم. فللكافرين أولياء غير اللَّه وهي طواغيتهم، وأصنامهم ومعبوداتهم[١].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه - جل علاه - ولي الذين آمنوا، أي نصيرهم وظهيرهم ينصرهم على عدوهم، وكفى به وليًّا ونصيرًا.

٢ - اللَّه - جل ذكره - ولي المؤمنين بإنعامه عليهم، وإحسانه إليهم، وتوليه سائر مصالحهم، فهو ولي نعمتهم.

٣ - اللَّه ﷻ مولى الخلق أجمعين بمعنى أنه سيدهم ومالكهم وخالقهم ومعبودهم، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢][٢].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

لما كان اللَّه وحده هو الذي يتولى المؤمنين بالرعاية والحفظ والنصر والتأييد، فعلى المؤمن أن يتخذه وليًّا ونصيرًا؛ لأن الذي يستحق الولاية اللَّه - تبارك وتعالى - فاطر السموات والأرض: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، ولأنه ﷻ واهب الهداية، والمخلِّص من الزيغ والضلالة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

كذلك فإن الولي من العباد هو من يحب اللَّه ﷻ، ويحب أولياءه، وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه[٣]. ومن فعل هذا فقد استكمل الإيمان واستمسك بعراه، كما جاء

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١١٤).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٤٣ - ٣٤٥).

(٣) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٣٠).

في الحديث الشريف: « **أوثق عرى الإيمان: الموالاة في اللَّه والمعاداة في اللَّه، والحب في اللَّه والبغض في اللَّه** »[١].

* * *

* *

*

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٤٢٥). وقال الألباني: حديث حسن، صحيح الجامع الصغير (٢/ ٣٤٣).

(٥٤)

الحميد

من أسماء اللَّه تعالى الحسنى المباركة « الحميد »، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]، وقال عز من قائل: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج: ٦٤].

معنى « الحميد »:

قال أبو القاسم الزجاجي في « الحميد »: « المحمود ذو الحمد المستحق لذلك »[١].

وقال أبو سليمان الخطابي في معناه: « هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله... وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو المحمود على كل حال »[٢].

ويرى أبو حامد الغزالي أن الحميد هو: « المحمود المثنى عليه. واللَّه ﷻ هو الحميد بحمده لنفسه أزلًا، وبحمد عباده له أبدًا. ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال... فإن الحمد هو ذكر أوصاف الجمال من حيث هو كمال »[٣].

وعرَّف الراغب الأصفهاني الحميد بأنه مشتق من الحمد، والحمد للَّه تعالى، أي الثناء والفضيلة[٤].

أوجه الحمد للَّـه تعالى:

إن اللَّه ﷻ حميد من **أوجه كثيرة؛ منها:**

أولًا: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض، الأولين والآخرين، فإن اللَّه تعالى مستحقه على الإطلاق؛ لأنه هو الذي خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره. فما بالعباد من نعمة فمن اللَّه ﷻ، ولا يدفع الشرور والمصائب إلا هو، فيستحق منهم أن

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٠٨).

(٢) شأن الدعاء (ص ٧٨).

(٣) المقصد الأسنى (ص ١٣٠).

(٤) مفردات الراغب (ص ١٣١).

يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات[١].

ثانيًا: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة. فله كل صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع أوصافه التي بلغت غاية الحسن والجمال والكمال؛ فله الحمد لذاته المقدسة، وله الحمد لصفاته الكاملة العليا، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على ما خلق وشرع، وله الحمد على أحكامه القدرية الكونية، وأحكامه الشرعية التنزيلية، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة. على أن تفاصيل حمده لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام[٢].

ثالثًا: أنه المحمود لخلقه السموات والأرض وجعله الظلمات والنور: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١][٣].

رابعًا: أنه المحمود على إنزاله الكتاب العظيم والقرآن الحكيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١][٤].

خامسًا: أنه المحمود في الوجود كله منذ الأزل إلى الأبد، وفي الدنيا وفي الآخرة: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٨].

سادسًا: أنه المحمود على هدايته الخلق، وعلى نعمه وعطاياه التي لا تحصى ولا تعد: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال داود وسليمان: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - الإيمان بأن اللَّه تعالى هو المستحق للحمد على الإطلاق، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢].

٢ - للَّه تعالى جميع المحامد بأسرها، فهو الحميد في ذاته وصفاته وفي أسمائه وفي أفعاله، فله الحمد على كل حال، في كل زمان ومكان، منذ الأزل إلى الأبد.

---

(١) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٤٠)، بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ٤٠).

(٣) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢١٦).

(٤) المرجع السابق (ص ٢١٦) بتصرف.

٣ - كل ما يحمد به العباد فهو من اللَّه - تبارك وتعالى - فيرجع إليه سبحانه؛ لأنه الواهب للصفات المحمودة[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم حمد المحمود ﷻ في السموات والأرض بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه؛ أي يرضى بقضائه وما يفعل به، والخضوع له والامتثال لأمره.

كما أن الحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله، وتعامل مع الخلق بالحسنى وأرشدهم لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٣٥٠ - ٣٥٤).

(٥٥، ٥٦)

المحيي، المميت

كل ما نراه على وجه الأرض من إنسان وحيوان ونبات، فهو من إحياء اللَّه تعالى، كما في قوله عز من قائل: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله جل ذكره: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

معنى الإحياء والإماتة:

قال الزجاجي: « والمحيي اسم فاعل من أحيا يحيي فهو محيٍ، والمميت اسم فاعل من أمات يميت فهو مميت، فاللَّه ﷻ المحيي المميت »[١].

وقال الخطابي: « المحيي هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور معرفته، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث، وإنبات الرزق. والمميت: هو الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢]. وتمدح سبحانه نفسه بالإماتة كما تمدحها بالإحياء، ليعلم مصدر الخير والشر، والنفع والضر من قِبله، وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الفناء »[٢].

وقال الغزالي: « المحيي المميت... يرجع إلى الإيجاد، ولكن الموجود إذا كان هو الحياة سمي فعله إحياء، وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة. ولا خالق للموت والحياة إلا اللَّه ﷻ، فلا مميت ولا محيي إلا اللَّه ﷻ »[٣].

الإحياء والإماتة من أعظم ما يدل على اللَّه:

إن الموت والحياة من أعظم الآيات الدالة على اللَّه ﷻ؛ فهما سران عجيبان يمر بهما

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٣٥).
(٢) شأن الدعاء (ص ٨٠).
(٣) المقصد الأسنى (ص ١٣١).

الأحياء من الإنس والجن والطيور والأسماك والحشرات والحيوانات والنباتات، وتحتار العقول في سرهما، فهي ترى آثارهما، ولا تدرك كنههما.

وتتجلى آثار « المحيي المميت » ﷻ في هذا الوجود، ومظاهرها كثيرة وواضحة للعيان، ومن أبرزها:

أ - من البدهي أن العقول البصيرة والفطر السليمة ترى وتدرك أن الحياة لا تقوم إلا من محيٍ، وظهور الحياة في المادة الصماء هو من صنع خالق محيٍ. على أن الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بالفشل الذريع؛ لأن الحياة ليست مجرد منظومة جامدة مثل البيت أو المصنع، وإنما هي منظومة حية فيها قدرة على تكرار نفسها، وفيها فطرة إرشادية أودعها فيها الخالق - تبارك وتعالى - تقودها من الداخل، وهي فطرة مبثوثة في نسيجها تجدد ما يتلف منها، وتستحدث ما يضيع. فاللغز المطلوب حله - وهو مستعصٍ على البشر - كامن في هذه البصيرة المطلوبة، وفي تضاعيف المادة، وليس في تركيب المادة نفسها[1].

ب - أن إعادة الشيء الذي كان موجودًا ثم فَنِيَ أسهل من إيجاده ابتداء، فاللَّه ﷻ هو الذي أوجد الأشياء من العدم، وأبرزها إلى الوجود بعد أن لم تكن شيئًا، فيسيرٌ عليه أن يعيدها بعد إفنائها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩].

فاحتج القرآن الكريم - كما قال ابن القيم - بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى؛ إذ كل عاقل يعلم علمًا ضروريًّا أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية عجز عن الأولى. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩]؛ فهو عليم بالخلق الأول تفصيله ومداه وصورته، وكذلك عليم بالخلق الثاني، فإذا كان تام العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم!![2].

ج - تتجلى قدرة المحيي المميت - تبارك وتعالى - عندما يخرج الأشياء من أضدادها، فإذا كانت الحياة ضد الموت والبعث ضد الفناء، فإن اللَّه يخرج الضد من ضده: ﴿ يُخْرِجُ

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٩٧)، بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص ١٠١).

﴿ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس: ٨٠]، أي أن الذي جعل لكم بقدرته من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد ولا يعجزه إحياء العظام البالية وإعادتها خلقًا جديدًا[١].

وقد استنبط ابن القيم بعقليته الفذة من هذه الظاهرة مسألة تناسب الأضداد بإذن اللَّه تعالى؛ وذلك بإخراج العنصر الذي هو في غاية اليبوسة والحرارة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة. فالذي يخرج الشيء من ضده هو الذي يفعل ما أنكره الملحد الجاهل من إحياء العظام وهي رميم[٢].

د - هناك ظاهرة أخرى في الإنسان اعتبرها الكتاب والسنة دليلًا متكررًا للموت والحياة ألا وهي ظاهرة النوم واليقظة، فالنوم أخو الموت؛ إذ إن كلًّا منهما عبارة عن انسحاب من الحياة أو توقف الأعضاء عن أداء وظائفها على درجات متفاوتة بينهما. واليقظة شبيهة بالبعث؛ إذ إن كلًّا منهما يعني عودة الأعضاء إلى أداء وظائفها مع اختلاف في الدرجة. فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ لهما، تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣][٣].

هـ - ساق القرآن الكريم دليلًا آخر على البعث وإحياء الموتى في الكون المحيط بالإنسان، وهو ظاهرة الإحياء المتكررة للأرض الموات، والتي يراها الإنسان ويشاهدها حوله في الآفاق. فالإنسان يرى أرضًا مقفرة مجدبة لا حياة فيها، ثم ينزل عليها الغيث أو تُسقى بالماء فتدب فيها الحياة، وتنبت فيها الزروع وأشكال النبات المختلفة، وليس البعث إلا شبيهًا بهذه العملية المتجددة دائمًا، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٩٩).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص ١٠١).
(٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٠١).

يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥ - ٧](١).

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من اسم « المحيي » أن يعلم أن اللَّه تعالى خلقه وأحياه بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، ليؤدي رسالته في الحياة، وهي رسالة التكليف أو الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال عن حملها. وهذا يقتضي عبادة اللَّه وطاعته وفق المنهج الرباني المنزل كما أمر اللَّه ﷻ.

كما أن حظه من اسم « المميت » أن يعتبر بمشاهدة الموت، فيعد نفسه للقاء اللَّه تعالى بالأعمال الصالحة، ويكون سباقًا إلى فعل الخيرات ومبادرًا على الدوام إلى أعمال البر؛ فقد سأل أعرابي النبي ﷺ: متى الساعة قائمة؟ فأجابه: « **ويلك وما أعددت لها؟!** »(٢).

فالمؤمن الفطن الكيِّس هو الذي يتذكر على الدوام هادم اللذات، فيبذل قصارى جهده لملء أوقاته واستثمارها فيما يعود عليه بالنفع والخير بعد الممات في حياة سرمدية أبدية لا نهاية لها: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

* * *
* *
*

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٠١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٧/ ١١٢).

(٥٧، ٥٨)

الحي، القيوم

ورد ذكر هذين الاسمين في مواضع من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه: ١١١].

معنى «الحي القيوم»:

قال أبو القاسم الزجاجي: «والحي في كلام العرب: خلاف الميت، والحيوان خلاف الموات، فالله ﷻ هو الحي الباقي، الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء، جل وعلا علوًّا كبيرًا... وقال أبو عبيدة: القيوم: القائم، وهو الدائم الذي لا يزول»[١].

وقال أبو سليمان الخطابي: «الحي من صفة الله تعالى: هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يَعْتَوِرُهُمْ الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]... والقيوم القائم الدائم بلا زوال...»[٢].

فالله ﷻ هو الحي أزلًا وأبدًا، وهو الأول والآخر، أي أن حياته ﷻ أزلية لا تبدأ من مبدأ، وأبدية لا تنتهي إلى نهاية، فهي متجردة من معنى الزمان المصاحب لحياة الكائنات والخلائق المحددة البدء والنهاية.

وفي هذا السياق فهو: «الحي الكامل المطلق الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذ عن عمله مدرك، ولا عن فعله مفعول»[٣].

وهو القيوم الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وبه قامت هذه المخلوقات، فهو الغني عنها من كل وجه، وهي التي افتقرت إليه من كل وجه[٤].

---

(١) اشتقاق أسماء اللـه الحسنى (ص ١٠٢ - ١٠٥).

(٢) شأن الدعاء (ص ٨٠). (٣) المقصد الأسنى (ص ١٣١).

(٤) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ١٠٧).

خصائص الحي القيوم:

فمن خصائص حياته ﷻ أنها حياة ذاتية غير مكسوبة ولا مخلوقة، وغير مبتدئة ولا منتهية، وغير حائلة ولا زائلة، وغير متقلبة ولا متغيرة، وما من شيء في الوجود له هذه الخصائص والصفة من الحياة[١].

وفي هذا السياق يقول سيد قطب بأنها الحياة المطلقة من الخصائص التي اعتاد الناس أن يعرفوا بها الحياة، فالله ﷻ ليس كمثله شيء، ومن ثم يرتفع كل شبه من الخصائص التي تتميز بها حياة الأشياء، وتنتفي بهذا جميع المفهومات الأسطورية التي جالت في خيال البشر[٢].

والله ﷻ لكمال حياته وقيوميته ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهو سبحانه لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام. فلو نام لضاع الخلق، وفسدت السموات والأرض. وقد جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** »[٣].

ولأجل ذلك، فإن هذين الاسمين من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم؛ إذ يتضمنان إثبات صفة الكمال أكمل تضمن وأصدقه؛ فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة. وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، وهو المقيم لغيره؛ إذ كل مخلوق في الوجود فقير إلى فضله ورحمته في كل نفس[٤].

ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أعظم آية في القرآن الكريم، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ١٠٧).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٢٨٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٣).

(٤) الأشقر: أسماء الله الحسنى (ص ٢٢٦، ٢٢٧)، بتصرف.

(٥) الحديث في الجامع الصحيح لمسلم برقم (٢٥٨)، (نقلًا عن شحاتة: أسماء الله الحسنى (ص ١٠٤، ١٠٥)).

آثار « الحي القيوم » في الكون:

إن آثار « الحي القيوم » في الكون لا تحصى ولا تعد، فكل شيء مستمد حياته منه ﷻ. كما أن الموجودات قائمة به، تدوم به، وتبقى في الوجود به. فلو انقطع هذا الانتساب إلى الحي القيوم طرفة عين لانمحى الوجود كله. فهو سبحانه المهيمن على الكون كله، ويدبر جميع شؤونه وأحواله وكيفياته بكمال الانتظام، ومنتهى التدبير، وغاية الرعاية، وكل ذلك في سهولة ويسر. فالكون كله بذرَّاته ومجراته كجيش مهيب، منظم بحول اللَّه وقوته وأمره. فقيام الأجرام السماوية في هذا الكون ودوامها وبقاؤها إنما هو أثر واضح جلي من آثار اسم اللَّه ﷻ « القيوم »[1].

وأصغر الأشياء من خلايا وذرات أجسامنا تأخذ أوضاعًا منتظمة كالنجوم، وتتحرك وفق نظام معين، وتناسق مخصوص لإنجاز المهام المكلفة بها. ومن شاء فلينظر على الكريات الحمر والبيض يراهما تتحركان حركات خاصة لإنجاز مهمات جسيمة في الجسم، وهما تجريان في السيل الدافق للدم. فمن الذي يسير هذه الذرات، ويرقب هذه الخلايا؟! إنه الحي القيوم ﷻ[2].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه - تبارك وتعالى - حي بحياة هي له صفة، حي أبدًا لا يموت.

٢ - حياته ﷻ منزهة عن مشابهة حياة الخلق، فلا يجري عليها الموت أو الفناء، ولا تعتريها السِّنة ولا النوم.

٣ - وصف اللَّه ﷻ نفسه بأنه قيوم بنفسه، لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد، يطعِم ولا يُطعَم.

٤ - وصف اللَّه - جل ثناؤه - نفسه بأنه المدبر لأمر الخلائق في السماء والأرض، المصرف لشؤونها؛ لأنها ليست قائمة بنفسها، بل محتاجة للحي القيوم الذي يرزقها ويحييها ويقيمها.

٥ - اقتران هذين الاسمين في كتاب اللَّه يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على

---

(١) سعيد النورسي: رسالة الحشر (ص ١١٩، ١٢٠).

(٢) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٠٧).

بقائها ودوامها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلًا وأبدًا. ولهذا كان قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أعظم آية في القرآن، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ[1].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

عندما يعلم العبد المؤمن بأن اللَّه تعالى هو المتفرد بالحياة، وأنه ﷻ واهب الحياة، وأن كل شيء في الوجود مفتقر إليه من كل وجه، فإنه يدعوه مخلصًا له الدين، والإخلاص هو إفراد الحي القيوم بالقصد في الطاعة، ويستوجب هذا تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، حيث لا رياء ولا إعجاب ولا سمعة. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

كذلك، من يريد أن يكون له حظ من هذين الاسمين ينبغي أن يتوكل على الحي القيوم الذي لا يموت: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وحقيقة التوكل على الحي الذي لا يموت هو صدق اعتماد القلب على اللَّه ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها؛ لأنه - تبارك وتعالى - قيوم السموات والأرض، كل شيء فقير إلى فضله ورحمته، وأنه هو الذي يملك العطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والرزق، ولا حول ولا قوة إلا به.

* * *

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٣). والحديث سبق تخريجه.

(٥٩)

الواحد، الأحد

من أسماء اللّٰه الحسنى « الواحد الأحد ». وقد ورد « الأحد » مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]. وورد « الواحد » في أكثر من عشرين موضعًا؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله عز من قائل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

معنى « الواحد الأحد »:

قال أبو القاسم الزجاجي في معنى الواحد الأحد: بأنه الفرد... الذي لا ثاني له، ولا شريك له، ولا مثيل ولا نظير له، لم يسبقه في أوليته شيء ﷻ... واللّٰه ﷻ الواحد الذي يعتمده عباده ويقصدونه، ولا يتوكلون إلا عليه ﷻ[١].

وقال أبو سليمان الخطابي: « هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة... واللّٰه سبحانه الواحد الذي ليس كمثله شيء »[٢].

وبناء على ما سبق، فالواحد الأحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، المتفرد بكل كمال ومجد وجلال وجمال وحمد وحكمة ورحمة وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته وغيرها[٣].

على أن العلماء فرقوا بين « الواحد » و « الأحد » من وجوه:

الأول: أن « الواحد » اسم لمفتتح العدد، فيقال: واحد واثنان وثلاثة. أما « الأحد » فينقطع معه العدد، فلا يقال: أحد اثنان ثلاثة.

الثاني: أن « الأحد » في النفي أعم من « الواحد ». يقال: ما في الدار واحد، ويجوز

---

(١) اشتقاق أسماء اللّٰه الحسنى (ص ١٤٥)، بتصرف.

(٢) شأن الدعاء (ص ٨٢).

(٣) سعيد القحطاني: شرح أسماء اللّٰه الحسنى (ص ١٦٧).

أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر. أما لو قيل: ما في الدار أحد فهو نفي وجود الجنس بالمرة، فليس فيها أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر ولا أقل.

الثالث: لفظ الواحد يمكن جعله وصفًا لأي شيء أريد، فيصح القول: رجل واحد، وثوب واحد، ولا يصح وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا اللَّه الأحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فلا يقال: رجل أحد ولا ثوب أحد، فكأن اللَّه ﷻ استأثر بهذا النعت؛ لأنه الكامل في ذاته وجميع صفاته وأفعاله[1].

آثار « الواحد الأحد » في الوجود:

- أن الكون كله من حولنا لدليل ساطع على وحدانية اللَّه تعالى. فالكون كله من حيث الشكل وحدة واحدة؛ فالشمس والكواكب التي تدور حولها تؤلف وحدة واحدة تحيط بها هالة من المذنبات. وهذه الوحدة الشمسية عضو في سحابة من النجوم، وهذه السحابة النجومية عضو في مجموعة من السحب النجومية تسمى المجرة، وتحيط بها هالة من التجمعات الكروية المتألفة كما يحيط الإطار بالصورة فتجعلها وحدة واحدة. وهذه المجرة عضو في مجموعة من المجرات تؤلف ما يعرف بـ « فوق المجرة. وهكذا ينتظم الكون كله في وحدة واحدة تجمع أطرافه. وهذه الوحدة الشكلية للكون توحي بدورها بأن مالك الكون وخالقه إنما هو إله واحد؛ لأنه لو كان في الكون آلهة إلا اللَّه لذهب كل إله بما خلق، ولانفصلت مخلوقات كل إله على حدة: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٠، ٩١] »[2].

وتوصل علماء الفلك إلى أن القوى الكهرومغناطيسية هي التي تضطر الإلكترونات في ذرات العناصر إلى الدوران حول النواة بنفس الصورة التي تجبر فيها قوى الجاذبية الأرض وغيرها من كواكب المجموعة الشمسية إلى الدوران حول الشمس. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على وحدة البناء في الكون، من أدق دقائقه (الذرة) إلى أكبر وحداته (المجرة)[3].

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٧٤). (٢) المرجع السابق (ص ٧٨).

(٣) زغلول النجار: الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، مجلة الإعجاز العلمي (عدد ١٦)، (ص ١٧).

وهذه الصورة من وحدة البناء في الكون، ووحدة صورة الطاقة فيه، بحيث إن الصور الثلاث للطاقة (وهي القوى الكهربائية/ المغناطيسية/ الجاذبية) تعد ثلاثة أوجه لقوة واحدة، مع شيوع الزوجية في الخلق كل الخلق، هي شهادة الكون لخالقه ﷻ بالتفرد بالوحدانية المطلقة فوق كافة خلقه بغير شريك ولا شبيه ولا منازع[١].

كما أن الأجرام السماوية المرئية كلها تتصف بصفة مشتركة لا يحيد عنها كوكب صغير ولا نجم عملاق، ألا وهي صفة الحركة المزدوجة؛ يدور الشيء حول نفسه وحول غيره، وصفة الحركة هذه نجدها في أصغر الأشياء وهي الإلكترونات، كما نجدها في أكبر الأشياء وهي الكواكب والنجوم والمجرات. فالإلكترونات تدور حول نفسها بالإضافة إلى حركتها حول نواة الذرة. فيلاحظ الحركة المزدوجة في الجميع، ثم إن حركة الأجرام السماوية جميعًا تكون من الغرب إلى الشرق، أي في اتجاه مضاد لحركة عقارب الساعة. وهذا كله من دلائل وحدانية الخالق؛ لأنه لو كان فيهما آلهة إلا اللَّه لكان للآلهة الأخرى أسلوب مختلف في الخلق وفي التدبير. فالأسلوب الواحد في الخلق وفي الحركة دليل قاطع على الإله الواحد الأحد جل وعلا: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢][٢].

- وإذا نظرنا إلى وحدة التكوين في الكائنات الحية والجمادات نجدها واحدة وهي الذرة. ونلاحظ وحدة التصميم والتكوين أيضًا في اشتمال الخلايا والذرات على نوى، فللخلية نواة يحيط بها البروتوبلازم، وللذرة نواة تدور حولها الإلكترونات. وإذا تفحصنا الخلية كوحدة بناء لكل كائن حي وجدنا التقارب الكبير في نواحي الأجزاء الرئيسة للخلايا. فهناك فرق ضئيل جدًا من ناحية خواص الأقسام الرئيسة بين خلية عشب وخلية حشرة، بين خلية جناح فراشة وبين خلية دماغ حيوان. وبعد اكتشاف جزئيات (D.N.A) وإجراء التجارب العديدة والدقيقة عليها، تبين لنا أن جميع الخلايا تستند على هذه الجزئيات المدهشة التي نطلق عليها اسم (D.N.A). ففي نظم هذه الجزئيات وفي شفراتها الوراثية وخواصها الحيوية لا نجد فرقًا يذكر من حيث وحدات البناء بين أبسط خلية في عشب وبين ما يطلقون عليه اسم الخلية المعقدة. والفرق بين هذه الخلايا

---

(١) المرجع السابق (ص ١٧).
(٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٧٩).

هو الفرق في البرمجة الرياضية الموجودة فيها. وما عدا ذلك، فالخلايا مخلوقة بنفس الدقة وبنفس الروعة، فالوحدات البنائية الأساسية واحدة في كل الخلايا[١].

- وكذلك، فإن تشابه أعضاء وجوه البشر من عيون وأنوف وشفاه دليل آخر على وحدانية اللَّه تعالى؛ فالعلامات الفارقة الموضوعة في كل وجه والتي تميزه عن غيره من الوجوه - دليل ساطع على وحدانية الخلاق. فحتى توضع هذه العلامات الفارقة في كل وجه لا بد أن يكون هناك اطلاع على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم ﷺ إلى يوم القيامة. ولا بد لواضع هذه العلامات من أن يكون أفراد البشر كافة تحت نظره ومشهوده، وضمن دائرة علمه حتى يضع ذلك الختم المميز لكل وجه. وهذه آية بديعة جلية تشهد بوحدانية الخالق سبحانه[٢].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - اللَّه - جل ثناؤه - هو الإله « الواحد الأحد »، الفرد الصمد، المتوحد بالألوهية والربوبية، لا مثيل له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، كما قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال جل ذكره: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

٢ - اللَّه - تبارك وتعالى - منفرد بالخلق والإيجاد والتصرف والتدبير، فلا إله غيره، ولا يستحق العبادة سواه.

٣ - اللَّه تعالى هو الواحد الأحد الذي لا يجوز أن تصرف العبادة لغيره، فهو المعبود بحق وغيره يعبد بالباطل، فلا يجوز لعبيده أن يتوجهوا لغير سيدهم بعبادة من العبادات؛ صلاة كانت أو دعاء أو ذبحًا أو نذرًا أو توكلًا أو رجاء أو خوفًا أو خشوعًا أو خضوعًا[٣].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يوحد اللَّه تعالى في أسمائه وصفاته. ووحدانيته تعالى في أسمائه وصفاته تدل على أنه لا مثيل له في رحمته وغضبه، ولا في عزته وجبروته، وملكه وقدرته، وعلمه وحكمته، وغيرها من صفاته.

---

(١) خلوق نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة (ص ٢٦).

(٢) سعيد النورسي: الاسم الأعظم (ص ٥٧).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٣٧١ - ٣٧٣).

كما ينبغي أن يوحِّد ربه في ربوبيته، فهو ﷻ الذي خلق السموات والأرض، وهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات والتدابير من الإحياء والإماتة، والخلق والرزق، والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال، والإسعاد والإشقاء، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والضر والنفع. فكل خلقه في قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماضٍ فيهم حكمه، عدل فيهم قضاؤه، نافذة فيهم مشيئته.

كما يقر بألوهيته؛ لأن وحدانية اللَّه تعالى أخص خصائص ألوهيته، ولأنها نقيض الشرك والكفر، ومفتاح الإيمان والإسلام. فلا يعبد معه إلهًا آخر يدعوه، ويستعين به، ويستغيث به، ويذبح باسمه، ويتحاكم إليه، ويوالي ويعادي فيه.

* * *
* *
*

(٦٠)

الصمد

ورد اسم الصمد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

معنى « الصمد »:

عن ابن عباس – رضي اللَّه عنهما – « أنه فسر الصمد بالسيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والعليم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو اللَّه سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له... »[١].

ويرى ابن تيمية « أن كلام ابن عباس يفهم منه أن الصمد يتضمن جميع صفات الكمال »[٢].

قال الزجاجي: « والصمد السيد الذي انتهى سؤدده، فالناس يصمدونه في حوائجهم، أي يقصدونه ويعتمدونه »[٣].

وقال الخطابي في معنى هذا الاسم: « السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل »[٤].

وهكذا يستنبط من تعريف العلماء للصمد أنه الذي تقصده جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي كمل علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر صفاته.

اللَّـه هو المقصود وحده:

فاللَّه ﷻ هو الصمد المقصود من جميع خلقه، لا يخيب رجاء من ارتجاه، بابه مفتوح

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٨٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٧٨).

(٣) اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٤٤١).

(٤) شأن الدعاء (ص ٨٥).

إلى يوم القيامة، أمر عباده بالدعاء وضمن لهم الإجابة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

فليس هناك من يُدعى ويرجى غير الصمد ﷻ؛ ففي الحديث القدسي قال الله تعالى: **« يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة »**(١).

وقد علم النبي ﷺ أصحابه ألا يقصدوا إلا الله ﷻ فيتقوه ويسألوه ويستعينوا به؛ فقد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: **« يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »**(٢).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - قد احتوى هذا الاسم على أوصاف عظيمة ومدائح جميلة لربنا جل في علاه، لا تنبغي إلا لمن يتناهى سؤدده، وعظم فضله وجوده، وهو الله وحده.

٢ - ترجع حقيقة الصمدانية في حق الله تعالى إلى قيامه بذاته واستغنائه عن غيره، واحتياج كل شيء إليه؛ إذ يصمد إليه جميع الخلق في حوائجهم. فهي صفة ذاتية له ﷻ، تارة دون إضافة، إذا نظر إلى عين ذاته وصمدانيته، وتارة بإضافة؛ إذا نظر إلى صمد الخلق إليه وقيامهم به واحتياجهم إليه في جميع أمورهم(٣).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

من جعله الله تعالى مقصد عباده في الرغائب، وفي مهمات دينهم ودنياهم، وأجرى على يده ولسانه حوائج خلقه، فقد أنعم عليه بحظ من معنى هذا الاسم(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح، رقم الحديث (٢٥١٨).

(٣) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٣٧٨ - ٣٨٠).

(٤) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٣٤).

وكذلك لينال العبد حظًّا من هذا الاسم، فلا ينبغي أن يسأل غير اللَّه ﷻ؛ لأن سؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، واللَّه تعالى هو السيد الصمد الذي يسد الفاقة، ويرزق في العاجل والآجل بغير حساب.

* * *

(٦١)

القـادر، القديـر، المقتـدر

ورد اسم « القادر » في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]. والقدير ورد في أكثر من أربعين موضعًا من الكتاب العزيز منها: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. والمقتدر ورد أربع مرات في الذكر الحكيم منها: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

معنى « القادر، القدير، المقتدر »:

قال الزجاجي: « **القادر**: هو الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود بلا معالجة ولا واسطة، فلا يلحقه عجز فيما يريد إنفاذه ولا فتور، ولا يعارضه منازع، ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع، لا يتقيد بالأسباب، إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون...

والقدير: هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة، لا زائدًا عليه ولا ناقصًا منه »[١].

وقال الغزالي: « **القادر المقتدر** معناهما ذو القدرة، لكن المقتدر أكثر مبالغة، والقدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء... بتقدير الإرادة والعلم واقعًا على وفقهما. والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعًا يتفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره »[٢].

و « القادر » سبحانه هو الذي يقدِّر المقادير في علمه، وعلمه المرتبة الأولى من قضائه وقدره. فاللَّه ﷻ قدر كل شيء قبل تكوينه، ونظم أمور الخلق قبل إيجاده، ثم كتب في اللوح المحفوظ هذه المعلومات ودونها بالقلم في كلمات، وكل مخلوق مهما عظم شأنه أو قل حجمه كتب اللَّه تعالى ما يخصه في اللوح المحفوظ. ثم يشاء بحكمته وقدرته أن يكون الأمر واقعًا على ما سبق في تقديره؛ ولذلك فإن القَدَر عند السلف مبني على التقدير والقدرة، فبدايته في التقدير، وهو علم حساب المقادير أو العلم الجامع التام

---

(١) اشتقاق أسماء اللّـه الحسنى (ص ٤٨). (٢) المقصد الأسنى (ص ١٣٤).

لحساب النظام العام الذي يسير عليه الكون منذ بدايته إلى نهايته[١].

كما أن اللَّه تعالى هو الذي قدر الأشياء: ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣]، ويتحقق ذلك بإعطائها القدرة على مقدار مخصوص ووجه مخصوص، كتقديره في نواة الزيتون أن تنبت شجرة الزيتون دون التين والعنب، وتقديره أن يوجد من الحيوان المنوي في الإنسان إنسانًا لا حيوانًا، كما قال - جل علاه - في خلق الإنسان: ﴿ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٨، ١٩][٢].

والمقتدر: هو التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة، ويشترك مع « القدير والقادر » في تضمنهم صفة القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق لما فيه زيادة المبنى من دلالة على زيادة المعنى. فالمقتدر سبحانه هو المتناهي في الاقتدار، المتحكم في جميع الآثار، المسيطر بقدرته البالغة على خلقه، المتمكن بسلطانه من ملكه، يقدر على أشياء لا يقدر عليها غيره[٣].

آثار قدرة اللَّـه في الوجود:

إن آثار قدرة اللَّه تعالى في الوجود تشمل كل شيء؛ فكل الكائنات مقهورة له ﷻ، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته. فجميع نواحي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن[٤].

على أن الحياة التي نحياها هي سلسلة من الدورات نرى فيها تقدير القدير - تبارك وتعالى - ولولا الدورات التي تتم سواء في الأرض أو السماء لما كانت حياة ولا أحياء. فبيئة الأرض تتكون من نوعين أساسيين من المركبات: عضوية تتألف منها جميع أشكال المادة الحية، وغير عضوية تتألف منها جميع أشكال المادة غير الحية، فتقوم النباتات الخضراء بتحويل بعض العناصر والمواد غير العضوية إلى مواد عضوية تساعدها على النحو، وتتحول إلى غذاء لمختلف الكائنات الحية، وتحتاج في ذلك إلى الطاقة الشمسية، ثم تعود المواد العضوية على شكل جثث ونفايات في الأرض؛ حيث تقوم الكائنات المحللة بتحويلها إلى مواد غير عضوية من جديد. وهكذا فالكربون له دورة في

---

(١) أسامة الجمال: شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٤١).

(٢) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٣٩). (٣) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٢٩).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٣٢).

الحياة، وكذلك الأوكسجين والنيتروجين والماء والأملاح المعدنية[١].

فالإنسان الذي شرفه اللَّه تعالى وأكرمه فجعله سيد الكائنات، يحيا في دورة الحياة وتدور معه المخلوقات وتحيا معه. فإذا طواها الثرى كانت لها بين جنباته دورات مع عناصر الأرض والماء والهواء. وهذه بدورها لا بد أن تدور في مخلوق مرة، ثم تدور في غير مخلوق، كما دارت قبل ذلك. وتتصرف قدرة القدير - تبارك وتعالى - في عجينة الحياة وعناصرها، وتحليلها بطريقة أو بأخرى، وتقلب آلاف الملايين من أطنان مادة الحياة وجزئياتها وذراتها، ثم تشكلها بطريقة بديعة لكي يسير طوفان الحياة بانتظام في الماء وعلى الأرض وفي الهواء. إن الدارسين لهذه الدورات يعلمون مظاهر روعتها، ويدركون مقدار عمقها، فقد وضع اللَّه تعالى قواعدها منذ ملايين السنين وفق تقدير محكم، وسارت الأمور في السموات والأرض، وكأنها عجلة ضخمة، متوازية في سيرها، منتظمة في دورانها، رائعة في مدلولها، وفوق كل هذا فلا خلل فيها ولا فروج[٢].

من آثار الإيمان بهذه الأسماء:

١ - اتفق المسلمون وسائر الملل على أن اللَّه تعالى على كل شيء قدير.

٢ - اللَّه ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يفوته مطلوب، بل له ﷻ القدرة الشاملة الكاملة المطلقة[٣].

حظ المؤمن من هذه الأسماء:

على المؤمن بقدرة اللَّه ﷻ أن لا يغتر بالقدرة التي منحه اللَّه ﷻ، وأن لا يلجأ إلا إليه - تبارك وتعالى - فيما ينوبه، وأن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول اللَّه وقوته.

فالعبد على الجملة له قدرة لكنها ناقصة؛ لأنه لا أحد غير اللَّه تعالى يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، واللَّه تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يلجأ في كل حين إلى العلي القدير الذي تتساوى جميع الأمور عنده، فلا يركن إلى غيره، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يعتصم بأحد سواه، ولا يمتنع إلا به، ولا يفوض أموره إلا إليه.

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) عبد المحسن صالح: دورات الحياة (ص ٣، ٤)، بتصرف.

(٣) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٦٢، ٦٣)

الأول والآخر

جاء هذان الاسمان من أسماء اللَّه الحسنى في سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣].

وجاء في حديث عمران بن حصين قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **كان اللَّه ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض** »[١].

معنى « الأول » و « الآخر »:

قال البيهقي: « الأول هو الذي لا ابتداء لوجوده، والآخر هو الذي لا انتهاء لوجوده »[٢].

وقال الخطابي: الأول: « السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية إذ كان موجودًا، ولا شيء قبله ولا معه، وهو الآخر الباقي بعد فناء الخلق »[٣].

وقال ابن جرير: « هو الأول قبل كل شيء بغير حدّ، الآخر بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] »[٤].

وقال الزجاجي: « اللَّه ﷻ الأول؛ لأنه كان قبل الأشياء كلها... وهو الآخر؛ لأنه الباقي بعد فنائها »[٥].

وقال الطحاوي في عقيدته: « قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء »[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٦/ ٢٨٦).

(٢) الاعتقاد (ص ٦٣).

(٣) شأن الدعاء (ص ٨٧).

(٤) جامع البيان (٩/ ٧٨٨١).

(٥) اشتقاق أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣٥٥).

(٦) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية (ص ١١٣).

اللّـه تعالى أزلي والكون له بداية:

إن الكون من حولنا ليس أزليًا كما يدعي الماديون الملحدون. وإنما هو مستحدث له بداية وله نهاية. فهناك في عناصر تكوينه عناصر غير ثابتة، إنها العناصر المشعة؛ فاليورانيوم مثلًا يظل يرسل دقائق مشعة حتى يتحول في نهاية الأمر إلى رصاص. فلو كان الكون أزليًا لنفدت العناصر المشعة وانتهت من زمن بعيد. فلا يمكن أن تبقى حتى اليوم ترسل أشعتها، فوجود هذه العناصر دليل على حداثة هذا الكون[١].

وهناك أيضًا قوانين الترموديناميك التي تتعلق بانتشار الحرارة، وتنص على أن الحرارة تنتقل باستمرار من الجسم الحار إلى الجسم البارد حتى تصل حرارة الجسمين إلى الاستواء. ولو كان الكون أزلي الوجود لسادت منذ زمن بعيد درجة حرارة واحدة في جميع أجزائه. ولكن ما زالت الشمس تصدر الحرارة والطاقة كما تفعل ذلك عشرات الألوف من الشموس الأخرى. وهذا يثبت بالدليل القاطع أن الكون - بما فيه من مادة - له بداية[٢].

ويقول جيمس جينز: « إن الكون ليس بناء ثابتًا بل إنه يحيا حياته، ويجتاز الطريق من المهد إلى اللحد شأننا جميعًا، ولا تقدم سوى التقدم نحو القبر »[٣].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - اللَّه - تبارك وتعالى - هو الأول الذي ليس قبله شيء من الموجودات، فهو المتقدم على كل شيء، ولم يكن معه شيء، كما جاء في حديث عمران بن حصين السالف الذكر.

٢ - اللَّه ﷻ هو المتأخر عن الأشياء كلها، ويبقى بعدها، فهو الباقي بعد فناء الخلق، لا انتهاء لوجوده.

٣ - جرى على ألسنة أهل الكلام تسمية اللَّه تعالى بالقديم تأسيًا بالفلاسفة. وهو ليس من الأسماء الحسنى، والتزام تسميته بالأول هو الموافق للكتاب والسنة[٤].

---

(١) عدنان السبيعي: سنريهم آياتنا (ص ٢٨، ٢٩). (نقلًا عن شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى؛ ص ٢٠٢).

(٢) شحاتة: أسماء اللّـه الحسنى (ص ٢٠٢).

(٣) ابن خليفة علوي: سبعون برهانًا علميًا على وجود الذات الإلهية.

(٤) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٤٠٢ - ٤٠٤).

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

أن يعامل العبد هذين الاسمين بمقتضاهما، فيعامل سبقه تعالى بأوليته لكل شيء، وسبقه بفضله وإحسانه الأسباب كلها، بما يقتضيه ذلك من إفراده وتجريد توحيده، وعدم الالتفات إلى غيره والوثوق بسواه والتوكل على غيره. ومن شهد أوليته في كل شيء توكل عليه وحده وعامله وحده وآثر رضاه وحده.

ثم يتعبد باسمه « الآخر »، بأن يجعله وحده الغاية التي لا غاية سواه، ولا مطلوب وراءه، فهو الذي انتهى إليه كل شيء وكان بعد كل آخر، فإليه المنتهى، وإليه انتهت الأسباب والغايات وليس وراءه مرمى ينتهي إليه.

* * *

(٦٤، ٦٥)

الظاهر والباطن

سمى اللَّه تعالى نفسه الظاهر والباطن في كتابه العزيز: ﴿.. وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ..﴾ (الآية) [الحديد: ٣]؛ لأنه:

- **من جهة**: محتجب عن أبصار الخلائق، فلا يراه أحد في الدنيا، ولذلك قال لكليمه موسى عندما سأله الرؤيا والنظر إليه: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلم يطق الصخر الصلد أن يصمد لأنوار الحق سبحانه. أما في الآخرة فإن العباد يخلقون خلقًا آخر غير قابل للفناء؛ ولذا فإن المؤمنين يتمكنون بفضل اللَّه ومنّه وكرمه من رؤية ربهم في جنات النعيم[١].

- **ومن جهة ثانية**: فمع أن اللَّه - تبارك وتعالى - باطن، فهو ظاهر لظهور آياته ودلائله الدالة عليه ووضوحها وبيانها[٢].

معنى « الظاهر والباطن »:

قال الخطابي: « هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته، ويكون الظهور بمعنى: العلو، ويكون بمعنى الغلبة... والباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلق... وقد يكون معنى الظهور والبطون احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه بصائر المتفكرين، ويكون معناه العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب »[٣].

وقال الزجاج: « الظاهر هو الذي ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده، وأدلة وحدانيته... والباطن هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانًا وخبرته: إذا عرفت باطنه

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٤٢).

(٢) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٠٨).

(٣) شأن الدعاء (ص ٨٨).

وظاهره، واللَّه تعالى عارف ببواطن الأمور وظواهرها، فهو ذو الظاهر وذو الباطن »[١].

وقال الغزالي: « واللَّه ﷻ باطن إنْ طُلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال، ظاهر إنْ طُلب عن الخلق بنوره، وخفي عليهم بشدة ظهوره، فهو الظاهر الذي لا أظهر منه، وهو الباطن الذي لا أبطن منه »[٢].

والظاهر عند ابن جرير الطبري هو: « العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه »[٣].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه تعالى هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، فهو العلي الأعلى. وهذا غاية الكمال في العلو أن لا يكون فوق العالي شيء موجود، واللَّه ﷻ موصوف بذلك.

٢ - أن اللَّه ﷻ أعظم الغيب، محتجب عن الخلق، لا يراه أحد في الدنيا، ولا يحيط أحد من الخلق بشيء من علمه إلا بما شاء.

٣ - اللَّه - تبارك وتعالى - ظاهر لخلقه بأفعاله وآياته المتلوة والعيانية.

٤ - اللَّه - جل ثناؤه - هو العليم ببواطن الأمور وظواهرها، يستوي عنده هذا وهذا، وهو أقرب من كل شيء[٤].

حظ العبد من هذين الاسمين:

إذا تحقق العبد من علوه ﷻ المطلق على كل شيء بذاته، وأنه ليس فوقه شيء ألبتة، وأنه قاهر فوق عباده، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، صار لقلبه معبودًا يقصده، وربًّا يؤمن به، وإلهًا يتوجه إليه، فيجمع قلبه على الإله الرب المعبود، يقصده ويصمد إليه في حوائجه، ويلجأ إليه في الشدائد. فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه « الظاهر »، استقامت له عبوديته، وصار له معقلًا وموئلًا يلجأ إليه ويفر إليه في كل وقت[٥].

وأما التعبد باسمه الباطن، فإذا علم العبد إحاطة ربه - جل علاه - بالعوالم كلها، وظهور البواطن له، وبدو السرائر له، بحيث لا يخفى عليه شيء في السماء والأرض،

---

(١) تفسير الأسماء (ص ٦٠، ٦١).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١٣٦ - ١٣٨).
(٣) جامع البيان (٩/ ٧٨٨١).
(٤) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٤٠٧ - ٤١٣).
(٥) ابن القيم: طريق الهجرتين (ص ٢١).

عامله ﷺ بمقتضى هذا الشهود، وطهر سريرته؛ لأنه يعلم أنها عنده علانية، وأصلح غيبته لأنها عند اللَّه تعالى شهادة، وزكى له باطنه، فإنه عنده ظاهر[1].

* * *

* *

*

(١) عبد الحميد كشك: أسماء اللّه الحسنى (ص ١٧٩).

(٦٦)

البـــر

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

معنى هذا الاسم:

قال الخطابي: « البر هو العطوف على عباده، المحسن إليهم، عمَّ ببره جميع خلقه، فلم يبخل عليهم برزقه، وهو البر بأوليائه؛ إذ خصَّهم بولايته، واصطفاهم لعبادته، وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه »[١].

وقال الغزالي: « البر هو المحسن، والبر المطلق هو الذي منه مبرة وإحسان »[٢].

وقال الزجاج بعد أن ذكر معنى البر لغة: « واللَّه تعالى بر بخلقه في معنى أنه يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم »[٣].

وقال الحليمي: « البر: ومعناه الرفيق بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير من سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم الهمّ بالحسنة، ولا يكتب عليه الهمَّ بالسيئة »[٤].

ومن يتأمل هذه التعريفات يتبين له بر اللَّه ﷻ بخلقه، وإحسانه إليهم، وعطفه عليهم، ويجده ﷻ كريمًا لا ساحل لكرمه، عطوفًا لا يتوقف عطفه ولا يتلاشى، خيره إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بالنعم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، يرسل السماء عليهم مدرارًا، ويمددهم بالأموال والبنين، ويجري لهم الأنهار، وينبت لهم جنات الأرض، ويخرج لهم خباياها وكنوزها[٥].

(١) شأن الدعاء (ص ٨٩).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١٣٨).
(٣) تفسير أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٦١).
(٤) المنهاج (١/ ٢٠٤).
(٥) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى، بتصرف (ص ٢٤٥).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه بر رحيم بعباده، مصلح لأحوالهم في الدنيا والدين.

أما في الدنيا، فما أعطاهم وقسم لهم من الصحة والقوة والمال والجاه والأولاد، يخرج عن الحصر والعد: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ويدخل في هذا كل معروف وإحسان ونعمة، لأنها راجعة إلى البر، ويشترك في ذلك المؤمن والكافر[١].

وأما في الدين، فما منَّ اللَّه ﷻ به على المؤمنين من التوفيق للإيمان والطاعات، ثم منحهم الثواب الجزيل على ذلك في الدنيا والآخرة، فهو الذي وفق وأعان أولًا، وأثاب وأعطى آخرًا، وللَّه تعالى المنة وحده[٢].

٢ - وكذلك من آثار الإيمان بهذا الاسم أن اللَّه تعالى يمهل المسيء من عباده، ويعطيه الفرصة بعد الفرصة للتوبة، مع قدرته على المعاجلة بالعقوبة.

وفي هذا السياق يقول ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه -: « منها أن يعرف (أي العبد) بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بره، ومن أسمائه « البر »، وهذا البر من سيده كان به مع كمال غناه عنه وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقى مع اللَّه سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته، وشهود ذل معصيته؛ فإن الاشتغال باللَّه والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى »[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن اللَّه تعالى بر يحب البر ويأمر به، ويحب من يتخلق به من عباده المؤمنين، وجعل الرسول ﷺ كل الأخلاق الفاضلة الحسنة من البر فقال: « **البر حسن الخلق** »[٤].

والعبد إنما يكون برًّا بقدر ما يتعاطاه من البر، ولا سيما مع والديه ثم أساتذته وشيوخه وكل من له حقٌّ عليه. وروي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه - جل علاه - رأى رجلًا قائمًا

(١) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٣٧٨ - ٣٨٠). (٢) المرجع نفسه (ص ٤٢٦).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٠٦).
(٤) أخرجه مسلم في البر والصلة (٤/ ١٩٨٠).

عند ساق العرش، فتعجب من علو مكانه، فقال: « **يا رب، بِمَ بلغ هذا العبد هذا المحل؟ فقال: إنه كان لا يحسد عبدًا من عبادي على ما آتيته، وكان بارًّا بوالديه** »[1].

ولن ينال العبد بر اللَّه تعالى به في الآخرة وهو الجنة والثواب، إلا باتباع ما يفضي إلى طاعته ومرضاته، وبذل الغالي والنفيس في سبيله: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

* * *
* *
*

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٣٨).

(٦٧)

العفــو

« العفو » اسم من أسماء اللَّه الحسنى جاء ذكره في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [المجادلة: ٢]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٩].

معنى « العَفُوّ »:

قال الخطابي: « العَفُوُّ وزنه فعول من العفو، وهو بناء المبالغة، والعفو: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء »[1].

وقال الغزالي: « العَفُوُّ هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه. فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ المحو، والمحو أبلغ من الستر »[2].

وقال الحليمي في معنى العفو: « إنه الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم، وذلك إذا ثابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم مما فعلوا، فيكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به وجزاءً »[3].

إذًا فالعفو في حق اللَّه ﷻ عبارة عن إزالة آثار الذنوب، فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، ولا يطالب بها العباد يوم القيامة، وينسيها من قلوبهم كَيْلا يخجلوا عند تذكرها، ويثبت مكان كل سيئة حسنة ببره وإحسانه.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه هو العفو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر عن عباده من الذنوب، لا سيما إذا أتوا ما يوجب العفو عنهم، من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة

---

(١) شأن الدعاء (ص ٩٠).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١٤٠).
(٣) الحليمي: المنهاج (١/ ٢٠١).

والحسنات الماحية والمصائب المكفرة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات[١].

٢ - كذلك من آثار الإيمان بهذا الاسم كمال عفوه ﷻ؛ فمهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه وكفَّر عن ذنوبه جميعًا، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

٣ - ومن آثار الإيمان بهذا الاسم أيضًا أن اللَّه تعالى عفو غفور مع قدرته على خلقه وقهره لهم، وقد نبه خلقه إلى ذلك بقوله عز من قائل: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩][٢].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

- **من جهة**، فإن اللَّه تعالى يحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه، من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه. كما يجب أن يتضرعوا إليه ﷻ بالدعاء ليتجاوز عن سيئاتهم وذنوبهم بعفوه وكرمه.

وقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن من صفات المؤمنين الذين أثنى عليهم في آخر سورة البقرة أنهم يدعون ربهم قائلين: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقد سألت أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - النبيَّ ﷺ عما تقوله في ليلة القدر إن هي علمتها فعلَّمها أن تقول: « **اللَّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** »[٣]. وكان من دعاء النبي ﷺ إذا قام من الليل: « **اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك** »[٤].

- **ومن جهة ثانية**، فحظ العبد هو أن يعفو عن كل من ظلمه، بل يحسن إليه، كما يرى اللَّه تعالى محسنًا في الدنيا إلى العصاة والكفرة، غير معاجل لهم بالعقوبة[٥].

وقد دعا اللَّه ﷻ عباده إلى العفو عمن ظلمهم، والتجاوز عمن سفه عليهم إذا هم

(١، ٢) النجدي: النهج الأسمى (ص ٤٤٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه بلفظ قريب، الحديث رقم (٣٥٣١).

(٤) أخرجه مسلم في جامعه الصحيح، حديث رقم (٤٨٦).

(٥) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٤٠).

قدروا، ووعدهم على ذلك بعفوه وتجاوزه عنهم: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩]. وقال ﷻ مطمعًا عباده بالعفو والمغفرة والثواب: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وفي الحديث الصحيح: « **ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللّه عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه** »[1].

* * *
* *
*

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٦٨)

الرؤوف

ورد « الرؤوف » في القرآن الكريم (١٠ مرات) كاسم من أسماء اللَّه الحسنى؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله جل ذكره: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].

معنى « الرؤوف »:

قال ابن الأثير في تعريف « الرؤوف »: « في أسماء اللَّه الرؤوف هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه، والرأفة أرق من الرحمة »[١].

وقال الغزالي: « الرؤوف ذو الرأفة، والرأفة: شدة الرحمة، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه »[٢].

وقال الخطابي: « الرؤوف الرحيم العاطف برأفته على عباده، وقال بعضهم: أبلغ الرحمة وأرقها، ويقال: إن الرأفة أخص، والرحمة أعم »[٣].

وقال الحليمي: « ومعناه: المساهل عباده؛ لأنه لم يُحَمِّلْهُمْ ما يطيقون... بل حمَّلهم أقل مما يطيقون بدرجات كثيرة. ومع ذلك غلَّظ فرائضه في حال شدة القوة، وخففها في حال الضعف ونقصان القوة، وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر، والصحيح بما لم يأخذ به المريض، وهذا كله رأفة ورحمة »[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى لا يضيع لعباده طاعة أطاعوها، ولا يبطل لهم عملًا عملوه قبل وقوع النسخ؛ فقد تساءل الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - عن عملهم وعمل إخوانهم الذين

---

(١) ابن الأثير (المبارك بن محمد): النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٦).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٤٠). (٣) شأن الدعاء (ص ٩١).

(٤) المنهاج (١/ ٢٠١).

ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس بعد أن حولت القبلة إلى الكعبة، فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] [١].

٢ - ومن رأفته سبحانه أنه أخبر عباده بما سيلاقونه في يوم القيامة من أهوال وشدائد؛ حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وتود لو أن بينها وبين سوء عملها أمدًا بعيدًا، وذلك ليستعد الناس للقائه في ذلك اليوم العظيم، ويتجنبوا سخطه وغضبه: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠] [٢].

٣ - ومن رأفته - تبارك وتعالى - بعباده أنه أرسل رسله وأنزل كتبه التي تبين شرعه، لينقذ الناس من ظلمات الشرك والجاهلية إلى نور التوحيد والهداية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩] [٣].

٤ - أنه ﷻ يقبل توبة التائبين، ولا يرد عن بابه العاصين المنيبين، مهما كثرت سيئاتهم وتعاظمت خطيئاتهم: ﴿ ...ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] [٤].

٥ - ومن رأفته سبحانه تسخيره لنا وسائل النقل الممثلة في الجمال والخيول والبغال والحمير قديمًا، والسيارات والطائرات والبواخر حديثًا: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد من هذا الاسم أن يحب لإخوانه الخير ويسعى جهده في إيصاله إليهم، ويحرص على هداية الناس إلى الإيمان والتوحيد، ويكره لهم الشر، ويسعى جهده لتنفيرهم منه.

وكان رسول اللَّه ﷺ قدوة العالمين جميعًا في ذلك، فسماه اللَّه تعالى بهذا الاسم في قوله جل ذكره: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

كما أن المؤمن الحق الذي يعلم أن ربه رؤوف رحيم، دائمًا يلجأ إليه سبحانه باسمه

(١، ٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٥٨).
(٣، ٤) النجدي: النهج الأسمى (ص ٤٥٥).

الرؤوف داعيًا ومتضرعًا طالبًا منه أن يرأف به ويرحمه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

* * *
* *
*

(٦٩)

الغنـي

ورد هذا الاسم في (١٨) آية من كتاب اللَّه تعالى؛ منها قوله عز من قائل: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]. وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

معنى « الغني »:

قال الزَّجَّاجي في معنى هذا الاسم: « الغني في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك اللَّه ليس بمحتاج إلى أحد، جل وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]. وكل الخلق إليه - جل اسمه - محتاج، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]. فاللَّه ﷻ ليس بمحتاج إلى أحد فيما خلق ويخلق، ودبر ويدبر، ويعطي ويرزق، ويقضي ويمضي، لا راد لأمره، وهو على ما يشاء قدير »(١).

وقال البيهقي: « هو الذي استغنى عن الخلق، وقيل: المتمكن من تنفيذ إرادته في مراداته، وهذه الصفة يستحقها بذاته »(٢).

وقال الغزالي: « الغني هو الذي لا تعلق له بغيره، لا في ذاته ولا في صفات ذاته، بل يكون منزهًا عن العلاقة مع الأغيار... ولا يتصور ذلك إلا للَّه سبحانه وتعالى »(٣).

وقال الزَّجَّاج: « المستغني عن الخلق بقدرته وعز سلطانه، والخلق فقراء إلى تطوله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨].

فاللَّه ﷻ هو الغني حقيقة عن العالمين، المتعالي عن جميع الخلق في كل زمن وحين. فهو سبحانه الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال

---

(١) اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ١١٧).

(٢) الاعتقاد (ص ٦٥).

(٣) المقصد الأسنى (ص ١٤٤).

صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه. ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا؛ فإن غناه من لوازم ذاته، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها؛ فهي مفتقرة إليه في إيجادها وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه[1].

إذًا فاللَّه ﷻ « الغني »، وما سواه مفتقر؛ ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء بالليل والنهار، وخيره مدرار. ومن كمال غناه أنه أمر عباده بدعائه، ووعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه. ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلًّا منهم ما بلغت أمانيه - ما نقص ذلك من ملكه مثقال ذرة. ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه في دار القرار على أهل كرامته من النعيم المقيم السرمدي واللذات المتتابعات والخيرات المتواصلات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - ملكه - تبارك وتعالى - للسموات والأرض وما فيهما وما بينهما: فمن غناه سبحانه أنه مالك الأكوان، لا شريك له ألبتة في مثقال ذرة من ذلك: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج: ٦٤].

وقد دلنا الرب - جل علاه - على غناه في الحديث القدسي الذي جاء فيه أن العباد كلهم محتاجون إليه ﷻ في هدايتهم، في طعامهم وشرابهم وكسوتهم، وفي غفران ذنوبهم، لا ينفعه - تبارك وتعالى - تقواهم، ولا يضره فسقهم وفجورهم. بل لو أنهم اجتمعوا في صعيد واحد إنسهم وجنهم، وسأل كل واحد منهم ربه مسألته فأعطاه إياها، لم ينقص ذلك من ملكه إلا كما تنقص الإبرة عندما تغمس في البحر ثم تخرج[3].

٢ - غناه سبحانه بذاته: فله الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه. على أنه لا يمكن أن يكون إلا غنيًا؛ لأن غناه من لوازم ذاته. كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلى مخلوق بوجه من الوجوه، فهو غني بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا

---

(١) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٤٧). (٢) المرجع السابق (ص ٤٧، ٤٨).

(٣) وهذا الحديث القدسي العظيم أخرجه مسلم في جامعه الصحيح برقم (٢٥٧٧).

والآخرة، المغني جميع خلقه غنى عامًّا، والمغني لخواص خلقه من المؤمنين بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية(١).

٣ - غناه سبحانه عن الصاحبة والولد والشريك: اتخذ الخلق على مدار التاريخ آلهة من دون اللَّه بأهوائهم وتخرصاتهم ليجلبوا لهم النفع ويكشفوا عنهم الضر، فأكذبهم اللَّه تعالى فيما يدَّعون، ونزه نفسه عن الصاحبة والشريك والولد، فالجميع خلقهم لعبادته وطاعته، وهو غير محتاج إلى أحد منهم وهم محتاجون إليه في كل نَفس: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: ٦٨]. وقد رد صالحو الجن هذه الفرية فيما حدَّث القرآن الكريم عنهم: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴾ [الجن: ٣]، والجَدُّ: العظمة، أي تعالت عظمته - تبارك وتعالى - أن يتخذ صاحبة أو يتخذ ولدًا، فإنه غني عنهم غير محتاج إليهم(٢).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يعلم أن اللَّه غني حميد، فيوجب له استقرار هذا المعنى في القلب أن يتوجه إلى اللَّه ﷻ في كل حاجاته المادية والمعنوية، فالعبد فقير في جميع الأحوال إلى خالقه، يحتاج إليه فيما يمده من هواء وماء وطعام ولباس وسكن وأثاث ودواء وزينة وغير ذلك من مستلزمات الحياة: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١]. أما حاجات الإنسان المعنوية من سداد في الرأي والقول والعمل، فاللَّه سبحانه يمنحها العبد حين يقر بفقره الذاتي عمن سواه، ولا يكيله إلى الناس فيضيع.

* * *

(١) السعدي: الحق الواضح المبين (ص ٤٧، ٤٨).

(٢) الأشقر: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٦٣).

(٧٠)

النــور

من أسمائه المقدسة ﷻ « النور »، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩].

معنى « النور »:

قال الزجاج: « اختلفوا في قول اللَّه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، فقال بعضهم: اللَّه ذو نور السموات والأرض، يريد: أنه خالق هذا النور الذي في الكواكب كلها، لا أنه ضياء لها وأنوار لأجسامها، بل أنوار تنفصل من أنوار اللَّه تعالى، ويقال: إن حول العرش أنوارًا لو انفصلت منها شرارة على الأرض لاحترقت الأرض ومن عليها. وقال بعضهم: بل معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: أي أنه بما بيّن وأوضح بحججه وبراهين وحدانيته نور السموات والأرض... »[(١)].

وقال الخطابي: « النور هو الذي بنوره يبصر ذو العماية، وبهدايته يرشد ذو الغواية، وعلى مثل هذا يُتأول قوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] »[(٢)].

وقال البيهقي: « النور هو الهادي، وقيل: المنور، وهو من صفات فعله، وقيل: هو الحق، وقيل: هو الذي لا يخفى على أوليائه بالدليل، وتصح رؤيته بالأبصار! وهذه صفة يستحقها الباري تعالى بذاته »[(٣)].

وقال الخطابي: « هو الظاهر الذي به كل ظهور، فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا. فالبريء عن ظلمة العدم، بل عن إمكان العدم المخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نورًا. والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته، فهو نور السموات والأرض. وكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس المنورة، فلا ذرة من موجودات السموات والأرض وما بينهما إلا هي دالة على وجوب وجود موجدها »[(٤)].

---

(١) تفسير أسماء اللَّه الحسنى (ص ٦٤).
(٢) شأن الدعاء (ص ٩٥).
(٣) الاعتقاد (ص ٦٦).
(٤) المقصد الأسنى (ص ١٤٦).

وقال ابن العربي ملخصًا الأقوال في بيان معنى هذا الاسم: « وقد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور في وصف الخالق سبحانه بأنه نور على ستة أقوال:

الأول: معناه: هادي، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه: منور، قاله ابن مسعود، وروي أن في مصحفه: (مُنَوِّرُ السموات والأرض).

الثالث: أنه مزين، وهو يرجع إلى معنى نور، قاله أُبي بن كعب.

الرابع: أنه ظاهر.

الخامس: أنه ذو النور.

السادس: أنه نور لا كالأنوار، قاله الشيخ أبو الحسن الأشعري. قال: وقالت المعتزلة: لا يقال: إنه نور إلا بالإضافة. قال: والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار؛ لأنه الحقيقة. والعدول عن الحقيقة إلى نور هادي أو منور أو ما شبه ذلك مجاز من غير دليل يصح! ولأن الأثر يعضده، ويصح أن يكون على هذه الصفة ذات، ويصح أن يكون صفة فعل على معنى أنه ظاهر؛ إذ روح النور: البيان والظهور »[1].

وبالمعنى الذي قرره ابن العربي فإن نور اللَّه تعالى ليس كمثله نور. فالنور الذي يتصف به الباري - تبارك وتعالى - لا يشبه الأنوار المخلوقة، عملًا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأثبت الصفة ونفى الكيفية. كما أنه تعالى له علم لا يشبه علم المخلوقين، ورحمة لا تشبه رحمة المخلوقين، فكذلك نوره لا يشبه نور المخلوقين.

أما أنوار النجوم والكواكب التي تزين السماء الدنيا، ووسائل الإضاءة التي سخرها اللَّه ﷻ لبني آدم، فهي مخلوقة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن النور صفة من صفات اللَّه ﷻ، ومنه اشتق اسم « النور » الذي هو أحد الأسماء الحسنى. فإن الضمير في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] عائد إلى اللَّه تعالى

---

(١) الكتاب الأسنى، نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٤٧٤، ٤٧٥).

على الصحيح من أقوال المفسرين. وأضاف اللَّه تعالى النور إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩][1].

٢ - قرر ابن تيمية وصف اللَّه تعالى بالنور، ثم شرع يبين أن ما ذكره المفسرون من أن معنى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]: هادي أهل السموات والأرض، لا يمنع من كونه في نفسه المقدسة نورًا[2]. ومثله ما جاء في الحديث الشريف: « ... **أنت نور السموات والأرض** »[3].

٣ - أن حجاب اللَّه ﷻ النور، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ الذي أخرجه الإمام مسلم، قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات فقال: « **إن اللَّه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - أو النار[4] - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه** »[5].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

المنور من العباد من استضاء قلبه بنور الإيمان ونور المعرفة ونور اليقين، فانكب على كتاب اللَّه تعالى يحفظه ويفهمه ويتدبره ويعمل به أناء الليل وأطراف النهار. وقد سمى اللَّه تعالى كتابه نورًا: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ لأنه يهدي إلى اللَّه تعالى، وإلى الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

كما أن المؤمن حريص أشد الحرص على اتباع سنة النبي ﷺ المخرجة من ظلمات الجهل والكفر والشك واتباع الهوى إلى نور اليقين والهدى والإيمان والسداد، فإن الأعمال التي يتلقاها المؤمن من مشكاة النبوة مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٠) وما بعدها، والحديث أخرجه البخاري، رقم الحديث (٧٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح برقم (٧٣٨٥).

(٤) إن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلم بها موسى يقال لها نار ونور، كما سمى اللَّـه نار المصباح نورًا، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم، فتلك لا تسمى نورًا. انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٨).

(٥) البخاري: الجامع الصحيح (١/ ١٦١).

ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا والآخرة؛ ولذلك سمى اللَّه تعالى نبيه ﷺ نورًا: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

* * *
* *
*

(٧١)

الهـادي

ورد اسم « الهادي » في القرآن مرتين، في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، وقوله جل ذكره: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

معنى « الهـادي »:

قال الزجاجي: « الهادي هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيته، وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] »[١].

وقال الخطابي: « الهادي هو الذي مَنَّ بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته، وأكرمه بنور توحيده كقوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]، وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق، وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] »[٢].

وقال البيهقي: « هو الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته، وبهدايته اهتدى الحيوان لما يصلحه، واتقى ما يضره »[٣].

وقال الغزالي: « الهادي هو الذي هدى خواص عباده أولًا إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على الأشياء، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته »[٤].

ضروب الهداية:

الهداية الأولى: هداية عامة تشترك فيها جميع المخلوقات، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها

---

(١) تفسير أسماء اللّـه الحسنى (ص ٦٤).
(٢) شأن الدعاء (ص ٩٥).
(٣) الاعتقاد (ص ٦٦).
(٤) المقصد الأسنى (ص ١٤٦).

بغيره وأعطى كل شيء شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

الهداية الثانية: هداية البيان والدلالة والتعريف بطريقي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك. وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب. ولهذا ينبغي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]. أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا.

الهداية الثالثة: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٩٣]، وفي قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الهداية الرابعة: الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩]، وقوله جل ذكره: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣][1].

هداية اللَّـه جليَّة في الأحياء:

في هذا السياق يعرض كريستي موريسون ألوانًا من الهداية الربانية لبعض المخلوقات فيقول: « إن الطيور لها غريزة في العودة إلى الوطن؛ فعصفور الهزار الذي عشش ببابك يهاجر جنوبًا في الخريف، ولكنه يعود إلى عشه في الربيع التالي. وفي شهر سبتمبر تصير أسراب من معظم طيور أمريكا إلى الجنوب، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق أرض البحار ولا تضل طريقها، والحمام الزاجل إذا تحير من جراء أصوات جديدة عليه في رحلة طويلة يحوم برهة ثم يقصد قدمًا إلى موطنه دون أن يضل، والنحلة تجد خليتها مهما طمستها الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار. ومن عجيب الخلق الذي وهبه اللَّه إياها قدرتها على أن تبصر الشمس من خلال السحاب؛ لأن النحل يرى بالأشعة فوق البنفسجية، وهذه الأشعة قادرة على اختراق السحاب، والنحل لا يستطيع الاهتداء إلى

---

(١) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد (٢/ ٣٥) وما بعدها.

خليته كما لا يستطيع أن يحدد موضعه ومساره إلا إذا رأى الشمس فحدد موضعه ومكانه بواسطة أشعتها... والعاملات من النحل تصنع حجرات مختلفات الأحجام في المشط الذي يستخدم في التربية، وتُعَدُّ الحجرات الصغيراتّ للعمال، والأكبر منها للذكور، وتعد غرفة خاصة للملكات الحوامل، والنحلة الملكية تضع بيضًا غير مخصب في الخلايا المخصصة للذكور، وبيضًا مخصبًا في الحجرات الصحيحة المعدة للعاملات الإناث والملكات المنتظرات، والعاملات اللائي من إناث معدلات بعد أن انتظرن طويلًا مجيء الجيل الجديد تهيأن أيضًا لإعداد الغذاء للنحل الصغير بمضغ العسل واللقح ومقدمات هضمه...

والبومة تستطيع أن تبصر الفأر الدافئ اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل. وسمك السلمون الصغير يمضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره الخاص به... فما الذي يجعل السمك يرجع إلى مكان مولده بهذا التحديد الدقيق؟! إن سمكة السلمون التي تصعد في النهر صعدًا إذا انتقلت إلى نهر آخر أدركت تَوًّا أنه ليس جدولها، فهي لذلك تشق طريقها خلال النهر ثم تحيد ضد التيار قاصدة إلى مصيرها. وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة إلى علية بيتك فهي لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية، وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة ولكنه يتلقى هذه الإشارة ويجاوبها مهما أحدثت أنت من رائحة بعملك لتضليلهما، تُرى هل لتلك المخلوقة الضئيلة محطة إذاعة؟! وهل لذكر الفراشة جهاز راديو عقلي، فضلًا عن السلك اللاقط للصوت (إيريال)؟! أتُراها تهز الأثير فهو يتلقى الاهتزاز؟! إن التليفون والراديو من العجائب الآلية، وهما يتيحان لنا الاتصال السريع، ولكنا مرتبطون في شأنهما بسلك ومكان، وعلى ذلك لا تزال الفراشة متفوقة علينا من هذه الوجهة!! »(١).

إن علماء الأحياء ألفوا مئات الكتب عن الحيوانات والطيور والحشرات والنبات، وانكبوا على وصف الخصائص العجيبة والأعمال المدهشة التي تقوم بها هذه المخلوقات التي لا تحصى ولا تعد. فمن الذي ألهمها وهداها إلى اختيار وفعل ما يناسبها من الأعمال؟ إنه اللَّه تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

إن هذا الوجود الكبير المؤلف مما لا يحصى من الذرات والخلايا والخلائق والأحياء،

---

(١) العلم يدعو إلى الإيمان (ص ١١٣ - ١٢٣)، بتصرف.

وكل ذرة فيه تنبض، وكل خلية فيه تحيا، وكل حي فيه يتحرك، وكل كائن فيه يتفاعل مع الكائنات الأخرى، وكلها تعمل منفردة ومجتمعة داخل إطار النواميس المودعة في فطرتها وتكوينها بلا تعارض ولا خلل. بل إن كل كائن بمفرده كون وحده، وعالم بذاته، تعمل في داخله ذراته وخلاياه وأعضاؤه وأجهزته وفق الفطرة التي فطرت عليها، داخل حدود القانون العام في توافق وانتظام[١].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللّه تعالى هو الهادي لعباده، المبين لهم طريق الحق والإيمان، بما أرسل من الرسل، وما أنزل من الكتب التي فيها كلامه، وما نصب من الدلائل في السموات والأرض.

٢ - الهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي سبحانه على عبده؛ إذ كل نعمة دونها زائلة مضمحلة، وبقدر هدايته تكون سعادته في الدنيا، وطيب عيشه وراحة باله، وكذا فوزه ودرجته في الآخرة[٢].

٣ - أن اللّه تعالى خلق كل شيء على الهيئة التي ينتفع بها، وهدى سائر الخلق من الإنسان والحيوان والطير والحشرات والنبات إلى مصالحه، وألهمه كيف يطلب الرزق أو كيف ينتج، وكيف يتقي المضار والمهالك.

حظ المؤمن من هذا الاسم:

لا شك أن الدعوة إلى اللّه تعالى وهداية الخلق أجل وظيفة في الدنيا؛ لأنها قطب الرحى في عمل الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم.

على أن أهل الرشد والسداد من العباد هم الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية، فدلوهم على الطريق القويم، وهدوهم إلى الصراط المستقيم، ففازوا بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

* * *
* *
*

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٣٧).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٧٢)

البديـع

البديع: من أسماء اللَّه الحسنى، ورد في موضعين من الكتاب العزيز، في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

معنى « البديع »:

قال ابن منظور: « والبديع من أسماء اللَّه تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء، واللَّه كما قال: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه المبتدع على غير مثال سابق »(١).

وقال الزجاج: « أبدعت شيئًا إبداعًا، إذا جئت به فردًا لم يشارك فيه غيرك، وقال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، أراد بأنه المنفرد بخلق السموات والأرض »(٢).

وقال ابن الأثير: « البديع هو الخالق المخترع، لا عن مثال سابق »(٣).

على أن خلق السموات والأرض وما فيهن من مخلوقات لا يحصيها إلا اللَّه ﷻ على غير مثال سابق، أمر بادٍ للعيان، تدركه الفطر السليمة، والعقول الراشدة المستنيرة بنور الإيمان.

وقد لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى السماء واتساعها وكثرة نجومها وكواكبها، وإلى الأرض وجبالها ووهادها وأنهارها وبحارها، وحيوانها ونباتها وجمادها، مما يشهد قطعًا بأن اللَّه تعالى قد أبدع ذلك بما لا إبداع فوقه. والنصوص القرآنية الدالة على ما في الكون من إبداع كثيرة جدًّا، ويستطيع العباد من خلال تفكرهم وتأملهم في الكون أن يدركوا شيئًا من هذا الإبداع المطلق، ليعلموا حق العلم بأن اللَّه ﷻ له منتهى الكمالات.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه ﷻ هو « البديع » الذي لا عهد بمثله، فإن لم يكن بمثله عهد لا في ذاته

---

(١) لسان العرب (١/ ١٧٥).
(٢) تفسير الأسماء (ص ٦٤).
(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٠٦).

ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولا في كل أمر راجع إليه - فهو البديع المطلق ﷻ[١].

٢ - أنه - تبارك وتعالى - أوجد الأشياء بصورة مخترعة على غير مثال سَبَق، فهو سبحانه المبدع للسموات والأرض والمخترع لهما، والموجد لجميع ما فيهما[٢].

٣ - على أن الفرق بين الإبداع والخلق أن الإبداع هو إيجاد الشيء بصورة مخترعة على غير مثال سابق، بينما الخلق معناه التقدير، وهو يقتضي شيئًا موجودًا يقع فيه التقدير[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

قال الغزالي: « وكل عبد اختص بخاصية في النبوة أو الولاية أو العلم، لم يعهد مثلها، إما في سائر الأوقات وإما في عصره، فهو بديع بالإضافة إلى ما هو منفرد به، وفيه الوقت الذي هو منفرد فيه »[٤].

ولا زالت الدول والأمم قديمًا وحديثًا تولي أهمية للإبداع والمبدعين؛ فكل دولة تريد بناء المعرفة ثم القوة تبحث عن المبدعين للتعرف عليهم منذ نعومة أظفارهم، فكل من تتوسم فيهم علامات النجابة والذكاء تتولى توجيههم وتربيتهم وتعليمهم في محاضن خاصة بهم. وهنالك يبدأ التأهيل والتدريب والتحفيز على التفكير الإبداعي. وعندما يصل هؤلاء إلى مرحلة النضج الإبداعي، تضع حكوماتهم تحت تصرفهم كل ما يرغبون فيه من وسائل وإمكانيات للنهوض ببلدانهم في ميدان التنمية، واختراع كل ما من شأنه أن ينهض بالأمة في ميادين السلم والحرب على السواء.

* * *

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٤٧).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (١/ ٥٠١).

(٣) رشيد رضا: تفسير المنار (١/ ٤٣٨).

(٤) المقصد الأسنى (ص ١٤٧).

(٧٣)

النصيـر

من أسماء اللَّه تعالى التي وردت في القرآن الكريم: « النصير »: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٥].

معنى « النصير »:

قال القرطبي: « له معانٍ، منها: العون، يقال: نصره اللَّه على عدوه ينصره نصرًا، فهو ناصر ونصير للمبالغة، والاسم: النصرة، والنصير: الناصر ». وقال الحليمي: « الناصر هو الميسر للغلبة. والنصير: هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله ». وقال الأصبهاني: « النصير والناصر بمعنى، ومعناه: ينصر المؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب عدوهم »[١].

وقال ابن منظور: « والنصير في اللغة من صيغ المبالغة، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصرًا إذا أعانه على عدوه »[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: « النصر والنصرة العون... »[٣].

النصر سنة ثابتة:

لقد وعد اللَّه تعالى عباده المؤمنين بالنصر والتأييد، ووعْده لا يتخلف، وسنته ثابتة صارمة ماضية في خلقه في قديم الدهر وحديثه، ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم.

وقد أخبر اللَّه تعالى في كتابه الكريم أن النصر من عنده: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وإنْ نصرنا فإنه لا غالب لنا، وإن خذلنا فلا ناصر لنا: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا

---

(١) نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٢٦).
(٢) لسان العرب (٥/ ٢١٢).
(٣) المفردات (ص ٤٩٥).

غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. كما أرشدنا ﷻ إلى طلب النصر منه في مواجهة الكافرين: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦][1].

وقد نصر اللّه تعالى نبيه محمدًا ﷺ على من خالفه من المشركين واليهود والمنافقين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال جل ذكره: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال عز من قائل عن يهود بني قينقاع: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢]، وأنزل - تبارك وتعالى - في بني النضير: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

لكن لتحقيق سنة النصر لا بد من الأخذ بالأسباب وتوفير الشروط اللازمة لهذه السنة وانتفاء موانعها.

ومن هذه الشروط:

- الاستقامة على منهج اللّه.
- التزكية النفسية والوحدة وائتلاف القلوب؟
- معرفة الذات والخصم معرفة جيدة.

ومن موانع النصر:

- اليأس والهزيمة النفسية من الداخل.
- الفرقة واختلاف القلوب والشحناء.
- الركون إلى الدنيا والتحاسد والعجب وحب الشهرة.
- النقص في التربية.
- عدم التجرد في الكفاح والبذل والتضحية للّه تعالى ودعوته.

---

(١) الأشقر: أسماء اللّه الحسنى (ص ٢٨٦).

- عدم الأخذ للأمر عدته بإعداد ما يلزم من قوة والمعرفة بالعدو، وفهم الواقع المحلي والإقليمي والدولي الذي نتحرك فيه.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو النصير وحده الذي نصر رسله وأنبياءه وأتباعهم من المؤمنين. فهو سبحانه مصدر النصر الحقيقي؛ فالمنصور من نصره، والمخذول والمهزوم من خذله. ففي معرض حديثه ﷻ عن غزوة بدر وإمداد المؤمنين بالملائكة قال ﷻ: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٦].

فقد بين التنزيل الحكيم هاهنا أن اللَّه تعالى ما أنزل الملائكة وأعلم نبيه ﷺ والمؤمنين بإنزالها إلا بشارة لهم وتطييبًا لقلوبهم وتطمينًا لها، وإلا فإنما النصر من عند اللَّه - تبارك وتعالى -، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدون المؤمنين وبدون الملائكة، ومن غير احتياج إلى قتال الكافرين، كما قال تعالى في موضع آخر من الكتاب العزيز: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤][1].

٢ - أوضح اللَّه تعالى لعباده أنه لا ناصر لهم دونه، ولا معين لهم سواه، وذلك في آيات كثيرة، لتتوجه قلوبهم له، وأكفهم بالضراعة إليه. قال جل ثناؤه: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧]. وقال جل ذكره: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الملك: ٢٠]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وقد أيقن بذلك عباده المؤمنون وصفوة خلقه، فقال نوح ﵇ لقومه حين عابوا عليه اتباع الفقراء والضعفاء لدعوته وأمروه بطردهم: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٣٠]، وقال صالح ﵇: ﴿ فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ﴾ [هود: ٦٣]، وقال مؤمن آل فرعون مذكرًا قومه بتعريض أنفسهم لسخط اللَّه وشديد عقابه بعد كفرهم وإعراضهم عن الإيمان باللَّه ورسوله ﷺ: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غافر: ٢٩].

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١١٤).

ولما خسف اللَّه تعالى بقارون الجمَّاع الكفور قال: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١][١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]. فنصرة العبد لربه هي: عبادته، والقيام بحقوقه، ورعاية عهوده، واجتناب نهيه، واعتناق أحكامه.

وقال الأصبهاني: « فينبغي لكل أحد إذا رأى معروفًا أن يأمر به، وإذا رأى منكرًا أن ينهى عنه، ويعتقد أن اللَّه ينصره، قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾، وكل من يريد بقوله وعمله رضا اللَّه ينصره اللَّه ويعينه، فينبغي إذا رأى منكرًا أن يغيره بيده إن قوي، وإلا بلسانه إن ضعف، فإن عجز عن الأمرين أنكر بقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٢].

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٢٨، ٥٢٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٢٨).

(٧٤)

الـوارث

جاء اسم « الوارث » في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣]. وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، وفي قوله تقدست أسماؤه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠].

معنى « الوارث »:

قال الخطابي: « والوارث: الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب »[١].

وقال الغزالي: « هو الذي يرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلَّاك، وذلك هو اللَّه ﷻ؛ إذ هو الباقي بعد فناء الخلق، وإليه مرجع كل شيء ومصيره »[٢].

وقال الزجاجي: « والوارث اسم الفاعل من ورث يرث فهو وارث، فاللَّه ﷻ وارث الخلق أجمعين؛ لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون... »[٣].

والمعنى الذي يُفقه من نصوص الوحي أن اللَّه ﷻ مالك السموات والأرض على الحقيقة، وإنما استخلف بني آدم في الدنيا لينظر كيف يعملون، فهم يتوارثونها فيما بينهم، قوم يأتون وقوم يرحلون، وملكهم إياها ملكًا مؤقتًا وزائلًا لا محالة، وعارية مسترجعة، ثم يفنيهم اللَّه جميعًا، ولا يبقى إلا الحي الوارث الذي لا يموت ﷻ[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه - جل شأنه - هو الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا ينقطع، وإليه مرجع كل شيء ومصيره. فإذا مات جميع الخلائق، وزال عنهم ملكهم،

---

(١) شأن الدعاء (ص ٩٦، ٩٧).
(٢) المقصد الأسنى (ص ١٤٨).
(٣) اشتقاق أسماء اللَّـه (ص ١٧٣).
(٤) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٨٩).

كان اللَّه تعالى هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده، الوارث لها جميعًا، وهو القائل إذ ذاك حين تفنى جميع الخلائق من إنس وجن وملائكة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ وهو المجيب لنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦](١).

٢ - بين اللَّه تعالى أنه وارث ما في الأرض ومن فيها، فكم من القرون عاشوا في أمن ودعة وخفض عيش، حتى أصابهم الأشر والبطر، فلم يقوموا بحق النعمة، ولم يشكروا ربهم الذي وهبهم تلك النعم العظيمة، فكان عاقبة أمرهم خسرًا: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي منهم؛ إذ لم يخلفهم أحد ليتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات أيديهم، بل كان اللَّه وحده الوارث لديارهم وأموالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠](٢).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إذا علم العبد وأدرك بنور البصيرة أن ما يملكه عارية، وأن المال الممنوح له هو مستخلف فيه، وأن اللَّه تعالى هو المالك الحقيقي، جاد بما عنده، وسارع إلى فعل الخيرات، وبادر إلى أعمال البر؛ لأنه قد ثبت لديه يقينًا أنه إذا لم ينفق في حياته في سبيل اللَّه، فإن ماله صائر إلى اللَّه تعالى إذا مات؛ لأن له ميراث السموات والأرض ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠].

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٠٤).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٠٥).

(٧٥)

ذو الجلال والإكرام

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

معنى هذا الاسم:

قال الزجاج: « ذو الجلال: أنه المستحق لأن يجل ويكرم »[١]. وقال الزجاجي: « الجلال: العظمة، فاللَّه ﷻ ذو الجلال والعظمة والكبرياء »[٢].

وقال الغزالي: « الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال، ونعوت الجلال هي: العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق، والجليل المطلق هو اللَّه ﷻ. فكأن الكبير يرجع إلى كمال الذات، والجليل إلى كمال الصفات، والعظيم يرجع إلى كمال الذات والصفات جميعًا »[٣].

وقال الخطابي: « والمعنى: أن اللَّه - جل وعز - مستحق أن يجل ويكرم فلا يجحد، ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى أنه يُكرم أهل ولايته، ويرفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن يتقبل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم »[٤].

وقال ابن منظور: « اللَّه الجليل سبحانه ذو الجلال والإكرام، جل جلال اللَّه، وجلال اللَّه عظمته، ولا يقال: الجلال إلا للَّه، والجليل من صفات اللَّه تقدس وتعالى، وهو ﷻ الجليل، الموصوف بنعوت الجلال، والحاوي جميعها... »[٥].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو المستحق وحده لأن يجل وينزه ويعظم لذاته، وذلك لكمال ذاته

---

(١) تفسير أسماء اللَّه الحسنى (ص ٦٢).
(٢) اشتقاق أسماء اللَّه (ص ٢٠١).
(٣) المقصد الأسنى (ص ١١٥، ١١٦).
(٤) شأن الدعاء (ص ٩١، ٩٢).
(٥) لسان العرب (١/ ٤٨٧).

وصفاته وأسمائه، وليس في الوجود من هو بمثل هذه الصفة غيره جل جلاله وتقدست أسماؤه(١).

٢ - أن اللَّه تعالى يكرم أولياءه، والإكرام قريب من الإنعام ولكنه أخص، فكل إكرام إنعام، وليس كل إنعام إكرامًا؛ لأن اللَّه تعالى قد ينعم تفضلًا على من ليس بكريم، كإنعامه على العاصي والمخالف، فهذا الإنعام ليس إكرامًا، فإذا أسدى المنعم نعمته إلى من يعتز به عنده وله حب لديه ومودة، قيل: أكرمه(٢).

حظ المؤمن من هذا الاسم:

الجليل من العباد من حسنت صفاته الباطنة التي تستلذها وتعرف قدرها القلوب البصيرة(٣).

والموفق من العباد من يلزم الدعاء بهذين الاسمين ويكثر منه، كما جاء في الحديث الشريف: « **أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام** »(٤).

كما أن من دعا بهذا الاسم يكون قد دعا اللَّه ﷻ باسمه الأعظم؛ فقد سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو في المسجد يقول: اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: « **دعا اللَّه باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى** »(٥).

* * *

---

(١) النجدي: النهج الأسمى في شرح أسماء اللَّـه الحسنى (٢/ ٤٥٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المقصد الأسنى (ص ١١٧) بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٨)، وأبو داود في السنن، حديث رقم (١٤٩٥)، والنسائي في السنن (٣/ ٥٢).

(٥) النجدي: النهج الأسمى في شرح أسماء اللَّـه الحسنى (٢/ ٤٥٩).

(٧٦، ٧٧)

القابض، الباسط

ورد هذان الاسمان في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. كما وردا في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال الناس: يا رسول اللَّه، غلا السعر، فسعر لنا، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه هو المسعر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى اللَّه وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة من دم ولا مال** »[١].

معنى هذين الاسمين:

قال الخطابي: « القابض الباسط هو الذي يوسع الرزق ويقتره، ويبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته على النظر لعبده »[٢].

وقال الغزالي: « القابض الباسط هو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأنبياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق على الأغنياء حتى لا يبقى فاقة، ويقبضه عن الفقراء حتى لا يبقي طاقة، ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله، ويبسطها بما يتقرب إليها من لطفه وجلاله »[٣].

وقال ابن الأثير: « الباسط: الذي يبسط الرزق لعباده، ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، والقابض: الذي يمسكه عنهم بلطفه، فهو الجامع بين العطاء والمنع »[٤].

تنبيه:

وقد نبه أبو إسحاق الزجاج: « إلى أنه من الأدب في هذين الاسمين أن يذكرا معًا، لأن تمام القدرة بذكرهما معًا، ألا ترى أنه إذا قلت: إن فلان قبض أمري وبسطه، دلا

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم (٣٤٥٠)، وصحيح الترمذي، حديث رقم (١٠٥٩)، وصحيح ابن ماجه، حديث رقم (٢٢٠٠).

(٢) شأن الدعاء (ص ٥٨).

(٣) المقصد الأسنى (ص ٨٨).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٧٨).

بمجموعهما أنك تريد أن جميع أمرك إليه، وتقول: ليس إليك من أمري قبض ولا بسط، ولا حل ولا عقد »[١].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه تعالى هو القابض الباسط، وهما من الطي والنشر، والتوسعة والتضييق، والأخذ والعطاء، بما يختص بمصالح الدنيا والآخرة، وذلك يتضمن قوام الخلق باللطف والخبرة، وحسن التدبير والتقدير، والعلم بمصالح العباد في الجملة والتفصيل، وبحسب ذلك يرسل الرياح، ويسخر السحاب، فيمطر بلدًا ويمنع غيره، ويقل ويكثر، وفق ما يحقق النفع للعباد: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧][٢].

وقد يكون في القبض الخيرُ الكثير للعبد، فالقبض وإن كان شرًّا في ظاهره إلا أنه يكون سببًا في الخير. فقبض الصحة - مثلًا - عن الإنسان وابتلاؤه بالمرض قد يكون فرصة عظيمة ترد الإنسان عن شرور كثيرة قد تُؤْدِي بحياته كلها، والفقر قد يكون خيرًا من الغنى، فإذا رضي العبد بالرزق القليل رضي اللَّه تعالى عنه بالعمل اليسير وسلامة القلب مع الرضا بالقضاء.

٢ - ما ورد في النصوص الشرعية من إثبات القبض والبسط للَّه تعالى، هو من الأدلة الكثيرة التي تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة اليد للَّه - جل شأنه - على ما يليق بذاته سبحانه من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل[٣].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من اسم الباسط أنه إذا امتن اللَّه تعالى عليه ببسطة في المال أن يبسط يده بالعطاء ليوسع في النفقة على ذوي الإقتار من المسلمين. وإن كان ذا بسط في العلم فيجلس للناس حتى يقتبسوا من ذلك النبراس والنور الذي فتح اللَّه تعالى عليه به. وإن كان ذا بسطة في الجسم، فيعوِّد بدنه على العبادة التي تفضي به إلى السعادة، ويستعمله في الصولة على الأعداء بما منحه اللَّه ﷻ من القوة والشدة.

---

(١) تفسير الأسماء (ص ٤٠).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٦٣٢، ٦٣٣) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (٣/ ٦٣٥).

أما حظ المؤمن من اسم القابض أن يقبض جوارحه عن المعاصي، فلا يضيع فرائض اللَّه، ولا يتعدى حدوده، ويمسك لسانه ويده عن الشر والإساءة إلى عباد اللَّه.

وفي هذا السياق قال أبو حامد الغزالي: « القابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم، فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء اللَّه ﷻ ونعمائه، وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال اللَّه وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه، كما فعل رسول اللَّه ﷺ؛ حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة، حيث ذكر لهم أن اللَّه ﷻ يقول لآدم - عليه الصلاة والسلام - يوم القيامة: « **ابعث بعث النار فيقول: كم؟، فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون** » فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة، فلما أصبح ورآهم على ما هم عليه من القبض والفتور، روح قلوبهم وبسطهم، فذكر أنهم في سائر الأمم قبلهم **كشامة سوداء في مسك ثور أبيض** »[1].

* * *
* *
*

(١) المقصد الأسنى (ص ٨٨).

(٧٨، ٧٩)

الخافض، الرافع

ورد فعل الرافع في عدة آيات من الكتاب العزيز؛ كقوله جل ثناؤه: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

كما ورد فعل الخافض والرافع في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ بخمس كلمات فقال: « **إن اللَّه لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل** »[(١)].

معنى هذين الاسمين:

قال الخطابي: « الخافض هو الذي يخفض الجبارين، ويذل الفراعنة المتكبرين، والرافع: هو الذي رفع أولياءه بالطاعة، فيعلي مراتبهم، وينصرهم على أعدائهم، ويجعل العاقبة لهم، لا يعلو إلا من رفعه اللَّه، ولا يتضع إلا وضعه وخفضه »[(٢)].

وقال الغزالي: « الخافض الرافع هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد، يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد، ومن رفع مشاهدته عن المحسوسات والمتخيلات وإرادته عن ذميم الشهوات، فقد رفعه إلى أفق الملائكة المقربين، ومن قصر مشاهدته على المحسوسات، وهمته على ما يشارك فيه البهائم من الشهوات، فقد خفضه إلى أسفل سافلين، ولا يفعل ذلك إلا اللَّه تعالى، فهو الخافض الرافع »[(٣)].

الرفع والخفض سنة اللَّه في المؤمنين والكافرين:

من يقرأ التاريخ من فجر الخليقة يجد في ذلك عبرًا ودروسًا يستنتج منها أن اللَّه تعالى يرفع المؤمنين ويخفض الكافرين.

---

(١) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح رقم الحديث (١٧٩).

(٢) شأن الدعاء (ص ٥٨). (٣) المقصد الأسنى (ص ٨٨).

فقد خفض ﷻ إبليسَ؛ فبينما هو معزز مكرم مع الملائكة في ملكوت السماء، إذا هو ملعون مطرود من رحمة اللَّه، حقير ذليل ملقى في دار الهوان والشقاء. كما خفض ﷻ فرعون؛ فبينما هو مَلك آمِرٌ نَاهٍ تجري الأنهار من تحته وتحرسه جيوش مصر، إذا هو غريق ذليل ملقى على شاطئ البحر شأنه شأن العامة والسوقة[1].

ورفع اللَّه - تبارك وتعالى - القوم المستضعفين من قوم موسى، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها التي بارك اللَّه فيها. ورفع اللَّه العرب بعد أن كانوا عبارة عن قبائل مفرقة مفككة لا يعبأ بهم أحد في الدنيا، فأكرمهم بدين الإسلام وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، ومكن لهم في الأرض، وأصبحوا بالتوحيد أعظم أمة حملت رسالة اللَّه إلى العالمين[2].

وجعل - جل علاه - خفض ورفع الآخرة أعظم مما هو في الدنيا: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة: ٣]؛ حيث بوأ الفقراء المنبوذين المطاردين في الدنيا منازل عليا في الجنة في نعيم سرمدي مقيم - وقضى وقضاؤه الحق - في جبابرة الأرض وملوكها أن يكونوا أحقر الناس وأذلهم يوم القيامة، ملقون في الدركات السفلى من جهنم وساءت مصيرًا.

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من هذين الاسمين أن يسعى على الدوام بعلمه وعمله ودعوته الخلقَ إلى أن يرفع الحق ويخفض الباطل، ذلك بأن ينصر المحق ويزجر المبطل، فيعادي أعداء اللَّه ليخفضهم، ويوالي أولياء اللَّه ليدفعهم، وذلك لقول اللَّه ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤]، وقول النبي ﷺ: « **أوثق عرى الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه** »[3].

* * *
* *
*

(١، ٢) الأشقر، أسماء اللّـه الحسنى (ص ٣١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان (١١ / ٤١)، وقال محقق كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (الألباني): أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعًا وهو حسن (ص ٤٥).

(٨٠، ٨١)

المقدم، المؤخر

ورد ذكر هذين الاسمين في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان وهو: « **اللَّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير** »[١].

معنى « المقدم والمؤخر »:

قال الخطابي: « المقدم هو المنزِّل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء منها ويؤخر ما شاء، قدم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها. وأخر الشيء عن حين توقعه لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم »[٢].

وقال الغزالي: « المقدم والمؤخر هو الذي يقرب ويبعد، ومن قرَّبه فقد قدمه ومن أبعده فقد أخره. وقد قدم أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم، وأخر أعداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم... والمقدم عند اللَّه تعالى هو المقرب؛ فقد قدم الملائكة، ثم الأنبياء، ثم الأولياء، ثم العلماء... »[٣].

وقال البيهقي: « هو المنزل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء ومن شاء، ويؤخر ما شاء ومن شاء »[٤].

وقال ابن الأثير في المقدم: « هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه »[٥]. وقال في المؤخر: « هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضد المقدم »[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات (٧/ ١٤٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٨٧).

(٢) نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٨٥).

(٣) المقصد الأسمى (ص ١٣٤، ١٣٥).

(٤) الاعتقاد (ص ٦٣).

(٥) النهاية (٤/ ٢٥).

(٦) المرجع السابق (١/ ٢٩).

على أن المقدم والمؤخر من الأسماء المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد منها على اللَّه تعالى إلا مقرونًا بالآخر؛ فإن الكمال من اجتماعها، فهو تعالى المقدم لمن شاء بفضله والمؤخر لمن شاء بحكمته وعدله[١].

التقديم والتأخير كوني وشرعي:

التقديم والتأخير يتم وفق مشيئة اللَّه تعالى وإرادته وحكمته وعلمه وعدله؛ ويتعلق بفعل اللَّه تعالى في خلقه، **وهو نوعان كوني وشرعي**[٢]:

أما الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض، وتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له[٣].

ويكون شرعيًّا كما فضل اللَّه تعالى الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخَّر من أخَّر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته[٤].

كما أن التقديم الشرعي متعلق بمحبة اللَّه لفعل دون فعل، وتقديم بعض الأحكام على بعض، لما تقتضيه المصلحة التي تعود على العباد، كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **لو تعلمون – أو يعلمون – ما في الصف المقدم لكانت قرعة** »[٥].

فاللَّه ﷻ يعلم عواقب الأمور ويعلم المصلحة أين تكون، **ولنضرب مثالين لذلك:**

- **فبالنسبة للتقديم الكوني**، تظهر حكمة الحق سبحانه في سبق النبات أولًا؛ لأن حياة الإنسان والحيوان تقوم على ما يصنعه النبات لهما من غذاء وما يخرجه لهما من أوكسجين. ففي كل خلية نباتية مادة خضراء تسمى « الكلوروفيل » أو ما يطلق عليه اسم « اليخضور »، وهو يوجد في أجسام صغيرة داخل الخلية تسمى البلاستيدات الخضراء. ويقوم اليخضور بعملية التمثيل الضوئي التي يتم فيها فصل الكربون عن الأوكسجين،

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٤٦).

(٢) الجمال: شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٢٤).

(٣، ٤) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٢٤٦).

(٥) الجمال شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٢٥). والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة رقم (٤٣٩).

فيلفظ الثاني ليتنفسه الحيوان ويحتفظ بالأول ليصنع منه الغذاء[١].

- **وأما التقديم الشرعي**، فاللَّه ﷻ يقدم ويؤخر ويضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته. فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه ووصولها، وأعلم بمن لا يصلح لذلك ولا يستأهله، وأحكم من أن يمنعها أهلها وأن يضعها عند غير أهلها[٢].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن أن يقدم ما قدمه اللَّه تعالى، ويؤخر ما أخره اللَّه تعالى، فيعز من أعزه اللَّه ﷻ بطاعته من إخوانه المؤمنين، ويهجر من أذله اللَّه ﷻ بمعصيته.

وإذا أراد العبد أن يرفعه اللَّه تعالى ويقدمه على غيره فليسابق إلى طاعته والعمل بما يرضيه، والتقرب إليه بما استطاع من محبوباته، فإنه سبيل التقديم إلى مراتب الشرف والكرامة والخير والرحمة في الدنيا والآخرة.

وأما التراخي عن الأخذ بالعزيمة، والتباطؤ عن القيام بالواجبات، وتعدي حدود اللَّه تعالى بارتكاب المحرمات، فإنه يؤخر صاحبه عن درجات الخير والثواب، ويسوقه إلى الخزي والعذاب في دار الهوان.

ولذلك قال النبي ﷺ لأصحابه يستحثهم على المسابقة إلى الخير عندما رأى بعضهم في مؤخر المسجد: « **تقدموا فأتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم** »[٣].

* * *
* *
*

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٢٥٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (١/ ٣٢٥).

(٨٢، ٨٣)

المعز، المذل

ورد فعل هذين الاسمين في الكتاب العزيز، في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

معنى هذين الاسمين:

قال الخطابي: « يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا مذل لمن أعز، ولا معز لمن أذله؛ كقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩] أعز بالطاعة أولياءه، فأظهرهم على أعدائه في الدنيا، وأحلهم الكرامة في العقبى، وأذل أهل الكفر في الدنيا بأن ضربهم بالرق والجزية والصغار، وفي الآخرة بالعقوبة والخلود في النار »[١].

وقال ابن الأثير: « المعز الذي يهب العز لمن يشاء »[٢]. والمذل: « هو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده، وينفي عنه أنواع العز جميعها »[٣].

وقال الغزالي: « هو الذي يؤتي الملك من يشاء، ويسلبه ممن يشاء »[٤].

على أن العزة في الأصل هي القوة والشدة والغلبة، واللَّه تعالى هو العزيز؛ لأنه الغالب القوي الذي لا يغلب. وهو الذي أعز أولياءه فضلًا بعصمته، وغفر لهم برحمته، وأحلهم دار كرامته، ثم أكرمهم برؤيته ومشاهدته. فهو الذي يعز الأنبياء بالعصمة والنصر، ويعز الأولياء بالحفظ والوجاهة، يعز المطيع ولو كان فقيرًا، ويرفع المتقي ولو كان عبدًا حبشيًّا[٥].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من أسم « المعز » أن يرفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهد جمال

---

(١) شأن الدعاء (ص ٥٨).
(٢) النهاية (٣/ ٢٢٨).
(٣) المرجع السابق (٢/ ١٦٦).
(٤) المقصد الأسنى (ص ٨٩).
(٥) الشرباصي: موسوعة الأسماء الحسنى (١/ ١٤٤).

حضرة اللَّه ﷻ، وينشد القناعة حتى يستغني بها عن الخلق، ويمد بالقوة والتأييد حتى يستولي بها على صفات نفسه. فمن فعل به ذلك فقد أعزه اللَّه تعالى وأتاه الملك عاجلًا. وكل عبد استعمل في تيسير أسباب العز على يده ولسانه، فهو ذو حظ من هذا الوصف[١].

ومن مدّ عينه إلى الخلق حتى احتاج إليهم، وسلط عليه الحرص حتى لم يقنع بالكفاية، واستدرج حتى اغتر بنفسه، وبقي في ظلمة الجهل، فقد أذله اللَّه ﷻ[٢].

* * *

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ٨٩، ٩٠) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (ص ٨٩).

(٨٤، ٨٥)

الحَيِيّ، السِّتِّير

ورد ذكر هذين الاسمين في حديث يعلى بن أمية أن رسول اللَّه ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: « **إن اللَّه ﷻ حييٌّ ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر** »[١].

معنى هذين الاسمين:

قال ابن الجوزي: « الحياء بالمد: الانقباض والاحتشام، غير أن صفات الحق ﷻ لا يُطَّلَعُ لها على ماهيتها، وإنما تُمَرُّ كما جاءت »[٢].

وقال المباركفوري: « قوله: « **إن اللَّه حيي** » فعيل من الحياء، أي كثير الحياء. ووصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق له، كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيفها »[٣].

وقال البيهقي: « وقوله: « **ستير** »، يعني أنه ساتر يستر على عباده كثيرًا، ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم، واللَّه أعلم »[٤].

وقال ابن الأثير: « إن اللَّه حيي ستير يحب الحياء والستر، ستير: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: من شأنه وإرادته حب الستر والصون »[٥].

على أن حياء الرب ﷻ حياء لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، إنه حياء كرم وبر وجود وجلال[٦]. وتعالى مع كمال غناه عن الخلق، يستحيي من هتك ستر العبد وفضيحته وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه ويغفر له[٧].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١ - أن اللَّه تعالى ستير يحب الستر والصون، فيستر على عباده الكثير من الذنوب

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤/ ٤٠١٢)، والنسائي في السنن (١/ ٢٠٠)، وهو حديث صحيح.
(٢) زاد المسير (١/ ٥٤).
(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ٥٤٤).
(٤) الأسماء والصفات (ص ٩١).
(٥) النهاية (٢/ ٣٤٢).
(٦) ابن القيم: مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩ - ٢٦١).
(٧) شحاتة: أسماء اللـه الحسنى (ص ٤٧٧).

والعيوب، ويكره القبائح والفضائح والمجاهرة بها.

٢ - أمر اللَّه تعالى بالستر، وكره المفاخرة بالمعصية، أو مجرد محبة ذكرها وشيوعها بين المؤمنين.

٣ - إثبات صفة الحياء للَّه - تبارك وتعالى - على ما يليق بجلاله وكماله[١].

٤ - ولما كان اللَّه ﷻ موصوفًا بالحياء، فإنه يحب أهله والمتصفين به من عباده[٢].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

حظ العبد المؤمن من اسم « الحيي » أن يستحيي من اللَّه تعالى حق الحياء. وقد وصف النبي ﷺ هذا الاستحياء بقوله: « **أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من اللَّه حق الحياء** »[٣].

وإن أعظم الحياء ينبغي أن يكون من اللَّه تعالى؛ لأن العبد يتقلب في نعمه وإحسانه بالليل والنهار، ولا يستغني عنه ثانية واحدة. ويولد الحياء من اللَّه تعالى معرفته - تبارك وتعالى - ورؤية آلائه ونعمه، ورؤية التقصير عن شكره.

أما حظه من اسم « الستير » هو أن لا يجهر العبد بالمعصية استخفافًا بحق اللَّه تعالى ورسوله ﷺ وبصالحي المؤمنين. وفي الستر بها إن اقترفها السلامة من الاستخفاف، وضرره بالغ على النفس. وإذا وقع في معصية أو تقصير في واجب وجب عليه الستر على نفسه.

* * *

---

(١) وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(٢) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٦١٩ - ٦٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن، في صفة القيامة رقم الحديث (٢٤٥٨).

(٨٦)

الجميـل

ورد اسم « الجميل » في حديث عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** »، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، قال: « **إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس** »[(١)].

معنى « الجميل »:

قال النووي: « وقوله ﷺ: « **إن اللَّه جميل يحب الجمال** »، اختلفوا في معناه، فقيل: إن معناه: أن كل أمره ﷻ حسن جميل، وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال... وقال الإمام أبو القاسم القشيري - رحمه اللَّه -: معناه جليل، وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى: ذي النور والبهجة؛ أي مالكهما، وقيل: معناه: جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه، ويثيب على الجزيل ويشكر عليه »[(٢)].

وقال الغزالي: « فالجميل الحق المطلق هو اللَّه ﷻ فقط؛ لأن كل ما في العالم من جمال وكمال وبهاء وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته. وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا مثنوية فيه، لا وجوبًا ولا إمكانًا سواه. ولذلك يدرك عارفه والناظر إلى جماله من البهجة والسرور واللذة والغبطة ما يستحقر معه نعيم الجنة وجمال الصورة المبصرة »[(٣)].

وقال ابن الأثير: « إن اللَّه تعالى جميل »؛ أي: حسن الأفعال، كامل الأوصاف[(٤)].

على أن الثابت له ﷻ من هذا الوصف هو الجمال المطلق، الذي هو الجمال على الحقيقة، فإن من بعض الموجودات على كثرة ألوانه وتعدد فنونه هو من بعض آثار جماله، فيكون ﷻ أولى بذلك الوصف من كل جميل، فإن واهب الجمال للموجودات

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٩١).
(٢) شرح مسلم (٢/ ٩٠).
(٣) المقصد الأسنى (ص ١١٦).
(٤) النهاية (١/ ٢٩٩).

لا بد أن يكون بالغًا من هذا الوصف أعلى الغايات[١].

اللَّـه جميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله:

إنه لا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته ﷻ، حتى أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح التي لا يقدر قدرها ولا يمكن للعقل تصورها، إذا رأوا ربهم وتمتعوا برؤية جماله - تبارك وتعالى - نسوا ما هم فيه من الحبرة والسرور أو تلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا لو تدوم هذه الحال، واكتسبوا من جماله ونوره جمالًا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم ﷻ، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب[٢].

وأما جمال الأسماء، فإنها كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء وأجملها على الإطلاق، فكلها دالة على كمال الحمد والمجد والجمال والجلال، ليس فيها أبدًا ما ليس بحسن ولا جميل[٣].

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات وأعمها خصوصًا صفات الرحمة والبر والكرم والجود[٤].

وأيضًا جمال الأفعال، فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم، بل كلها خير ورحمة ورشد وهدى وعدل وحكمة، كما جاء على لسان هود - عليه الصلاة والسلام - في التنزيل: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هو: ٥٦]. ولأن كمال الأفعال تابع لكمال الذات والصفات، فإن الأفعال أثر الصفات، وصفاته - جل علاه - أكمل الصفات، فلا غرو أن تكون أفعاله أكمل الأفعال[٥].

آثار « الجميل » ﷻ:

من آثار « الجميل » - تبارك وتعالى - ما نراه في الكون من حولنا من جمال وروعة وتنظيم وإبداع. والذي يتأمل هذا الكون يراه رائعًا بديعًا عجيبًا جميلًا، لا تشبع العين من تملي جماله وبهائه، ولا يمل العقل من تدبر نظامه ودقته.

---

(١) الجمال: شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٧٠).

(٢) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٤٦).

(٣) الجمال: شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٧٠).

(٤) شحاتة: أسماء اللَّـه الحسنى (ص ١٤٦).

(٥) الجمال: شرح أسماء اللَّـه الحسنى (ص ٧١).

وفي هذا السياق يقول سيد قطب: « والجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة؛ فالكمال يبلغ درجة الجمال، ومن ثم يوجه القرآن الكريم النظر إلى جمال السموات بعد أن وجه النظر إلى كمالها: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك: ٥].. فمشهد النجوم في السماء جميل، ما في هذا شك، جمالًا يأخذ القلوب، وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته، ويختلف من صباح إلى مساء، ومن شروق إلى غروب، ومن الليلة القمراء إلى الليلة الظلماء، ومن مشهد الصفاء إلى مشهد الضباب والسحاب... بل إنه يختلف من ساعة لساعة، ومن مرصد لمرصد، ومن زاوية لزاوية، وكله جمال وكله يأخذ بالألباب »[١].

والذي يتأمل الأشياء من حوله يجدها تشي بهذا الجمال وتظهره؛ فالينابيع والجداول والأنهار تتفجر من الأرض أو الجبال، وهي بانسيابها فوق الأرض وبين الصخور تأخذ بالألباب وتبهر الأبصار بجمالها وبديع منظرها، والأزهار والثمار لها جمال أخاذ في أشكالها وألوانها البديعة المتناسقة وشذى عطرها الطيب وحلاوة ولذة مطعوماتها. وعلى العموم، فكل الكائنات من حولنا لها جمال أخاذ، وحسن باهر يتلألأ على صورها، ويتجدد بتجددها ويستمر باستمرار تعاقبها، فسبحان « الجميل »، وتبارك الله أحسن الخالقين.

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن الله تعالى هو الجميل على الحقيقة بلا كيف نعلمه، وجماله بالذات والصفات والأسماء والأفعال، لا شيء يماثله في ذلك، كما قال ﷻ عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١][٢].

٢ - أن الله - تبارك وتعالى - هو مجمل من شاء من خلقه، واهب الجمال والحسن لمن شاء[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يلازم كل خلق جميل؛ حيث أوصى الله تعالى بذلك في كتابه العزيز: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥]، أي صبرًا لا شكوى فيه لأحد

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٣).
(٢، ٣) النجدي، النهج الأسمى (٣/ ٥٧٢).

غير اللَّه تعالى، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠]، أي لا عتاب معه. وقال جل ذكره: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥].

وإذا كان الإسلام يحث أتباعه دائمًا على حسن الشكل وجمال الهيئة، فينبغي للمؤمن أن يتجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر، بل يمتثل أوامر اللَّه ﷻ الذي أوصى عباده المؤمنين أن يتجملوا ويتزينوا خاصة عند الصلاة: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأن يتمسك بسنة النبي ﷺ الذي بين أن من يحرص على نظافة أعضائه ووضاءة وجهه يبعث يوم القيامة على حاله تلك وضيء الوجه؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل** »[1].

* * *
* *
*

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء (١/ ٤٣)، ومسلم في كتاب الطهارة (١/ ٢١٦).

(٨٧)

الطيِّب

ورد هذا الاسم في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **يا أيها الناس، إن اللَّه تعالى طيب ولا يقبل إلا طيبًا، وإن اللَّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك[١].

معنى هذا الاسم:

قال القاضي عياض: « الطيب في صفة اللَّه تعالى بمعنى: المنزه عن النقائص، وبمعنى القدوس، وأصل « الطيب »: الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث »[٢].

وقال المباركفوري: « قال القاضي - رحمه اللَّه -: الطيب ضد الخبيث، فإذا وصف به تعالى أريد به أنه منزه عن النقائص، مقدس عن الآفات »[٣].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى يوصف بالطيب، والتنزه عن الخبث والنقائص والعيوب.

٢ - أنه ﷻ طيب لا يقبل إلا الطيب، ولا يصعد إليه من الأقوال والأعمال إلا الطيب: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠][٤].

٣ - ينبغي للعباد الحرص على التقرب إلى اللَّه تعالى بالطيب من الاعتقادات والأقوال والأفعال، مع الإخلاص فيها، إذا كانوا يرجون القبول.

٤ - وصف اللَّه ﷻ مُنْقَلَب المؤمنين الطيبين في الآخرة بالطيب، فحياتهم قبل ذلك في الدنيا طيبة، ومساكنهم ومطاعمهم ومشاربهم في الجنة طيبة، قال عز من قائل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٧٠٣).
(٢) شرح مسلم للنووي (٧/ ١٠٠).
(٣) تحفة الأحوذي (٨/ ٣٣٦).
(٤) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٣٧).

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. وقال جل ثناؤه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن لا يحب إلا الطيب من القول، ولا يتكلم إلا بالحسن من الكلام، وأن لا يقترف ويكتسب من الأعمال إلا طيبًا. فالمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وبدنه بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الطاعات.

ومن أعظم ما يحصل به طِيبة العمل للمؤمن أن يطيب مطعمه وملبسه ومشربه ومسكنه، فيكون من حلال. وبذلك يزكو عمله، ويكون حظه من هذا الاسم وافرًا.

* * *

(٨٨)

الرفيق

ورد في حديث عائشة أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **يا عائشة إن اللَّه رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه** »[١].

معنى هذا الاسم:

قال القرطبي في الكتاب الأسنى: « الرفيق »: أي الكثير الرفق، وهو اللين، والتسهيل ضد العنف والتشديد والتصعيب... إذ هو الميسر والمسهل لأسباب الخير كلها، والمعطي لها، وأعظمها تيسير القرآن للحفظ... وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى: التمهل في الأمور والتأني فيها... وعلى هذا يكون « الرفيق » في حق اللَّه تعالى بمعنى « الحليم »، فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له العناية، ويزداد إثمًا من سبقت له الشقاوة »[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني: « الرفق بكسر الراء وسكون الفاء بعدها قاف هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف »[٣].

وقال محمد خليل هراس: « ومن أسمائه سبحانه الرفيق: وهو مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال. فاللَّه تعالى رفيق في أفعاله؛ حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه، ومع أنه سبحانه رفيق في أمره ونهيه، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم، وتأنس إليها طباعهم، كما فعل سبحانه في فرضيته الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوها »[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى موصوف بالرفق، وهو من صفاته، إما صفة ذات أو صفة فعل، وقد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر (٤/ ٢٠٠٣).

(٢) نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٥٦).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

(٤) الأشقر: أسماء اللـه الحسنى (ص ٣٢٣).

نقل إجماع الأمة على ذلك أبو يعلى الفراء وقال: لأنهم يقولون: يا رفيق ارفق بنا في أحكامك.

٢ - يظهر رفقه ﷻ بعباده في رأفته ورحمته بهم شرعًا وقدرًا، وهو ما لا يحصى ولا يعد.

٣ - من رفقه ﷻ بعباده إمهاله للعصاة منهم ليتوبوا إليه، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة، لكنه رفق بهم وتأنى، ليحصل لهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يكون لين الجانب ويرفق في المعاملة مع أهل بيته؛ لأنه إذا اصطبغت العلاقات داخل الأسرة باللين والرفق، تماسك بنيانها وصفت الأجواء فيها، وصلح أفرادها. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: « **إذا أراد اللَّه بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق** »[٢].

كما أن علاقته بالناس من حوله في المجتمع ينبغي أن تصطبع بالرفق واللين والرحمة والرقة، سواء أثناء المعاملات من تجارة ووظيفة وحرفة وصداقة، أو أثناء التعليم بالتدرج مع المتعلم والرفق به وتوجيهه وإسداء النصيحة له.

* * *

---

(١) الأشقر: أسماء اللَّـه الحسنى (٣/ ٥٥٧، ٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ١١٧).

(٨٩)

الجـامع

ورد اسم « الجامع » في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

معنى هذا الاسم:

قال الغزالي: « الجامع هو المؤلِّف بين المتماثلات، فكجمعه الخلق الكثير من الإنس على ظهر الأرض، وكحشره إياهم في صعيد القيامة. وأما المتباينات، فكجمعه بين السموات والكواكب والهواء والأرض والبحار والحيوانات والنبات والمعادن المختلفة. كل ذلك متباين الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف، وقد جمعها في الأرض... وكذلك جمعه بين العظم والعصب والعرق والعضلة والمخ والبشرة والدم وسائر الأخلاط في بدن الحيوان. وأما المتضادات، فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في أمزجة الحيوانات، وهي متنافرات ومتعاديات، وذلك أبلغ وجوه الجمع »(١).

وقال الخطابي: « الذي يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه بعد مفارقة الأرواح الأبدان، وبعد تبدد الأوصال والأقران، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى »(٢).

من أسماء يوم القيامة: يوم الجمع:

أخبرنا اللَّه - تبارك وتعالى - في محكم التنزيل أنه سيفني الأحياء، ثم يعيد الأرواح في الأبدان ليحاسب الإنس والجن على ما قدموه في يوم القيامة الذي سماه بيوم الجمع، وهو وعد أخذه اللَّه ﷻ على نفسه ووعده الحق: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧]. وقال تقدست أسماؤه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾

(١) المقصد الأسنى (ص ١٤٣).
(٢) شأن الدعاء (ص ٩٢).

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال عز من قائل: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣].

وعندما يجمع اللّه تعالى الناس في يوم القيامة لا يتخلف منهم أحد؛ فلا فرق بين الذين دفنوا في القبور، والذين أحرقت أجسامهم النيران، ولا الذين أكلتهم وحوش البراري، أو طيور السماء، أو أسماك البحار، كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم هو الاستعداد بالعلم النافع والعمل الصالح لذلك اليوم المشهود العظيم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين. والحر في ذلك اليوم يفوق الوصف؛ إذ الشمس على رؤوس العباد حتى إن منهم من يلجمه عرقه. ولا تسأل عن طول ذلك اليوم: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٤ - ٧].

وقد سأل أعرابي النبي ﷺ: يا رسول اللّه، متى الساعة قائمة؟ قال: « **ويلك وما أعددت لها!** »(١).

فالعبرة بالإعداد لذلك اليوم والاجتهاد له بالطاعات، وليس بالانتظار أو معرفة وقت قيام الساعة.

وقال أبو حامد الغزالي: « الجامع من العباد من جمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب. فمن كملت معرفته وحسنت سيرته فهو الجامع. ولذلك قيل: الكامل من لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه. وكان الجمع بين الصبر والبصيرة متعذر، لذلك ترى صبورًا على الزهد والورع لا بصيرة له، وترى ذا بصيرة لا صبر له، والجامع من جمع بين الصبر والبصيرة »(٢).

* * *
* *
*

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب (٧/ ١٦٢).

(٢) المقصد الأسنى (ص ١٤٣، ١٤٤).

(٩٠)

الكـافي

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] وفي قوله جل ذكره: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وفي قوله تقدست أسماؤه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥].

معنى هذا الاسم:

قال الخطابي: « وأما الكافي: هو الذي يكفي عباده المهمَّ، ويدفع عنهم الملمَّ، وهو الذي يكتفي بمعونته من غيره، ويستغنى به عمن سواه »(١).

وقال الزجاجي: « والكافي اسم الفاعل من كفى يكفي فهو كافٍ، فاللَّه ﷻ كافي عباده؛ لأنه رازقهم وحافظهم ومصلح شؤونهم، فقد كفاهم اللَّه ﷻ »(٢).

وقال الحليمي: « ومنها الكافي؛ لأنه إذا لم يكن له في الإلهية شريك، صح أن الكفايات كلها واقعة به وحده، فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، ولا الرغبة إلا إليه، ولا الرجاء إلا منه »(٣).

وقال السعدي: « الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه »(٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن الكافي عباده رزقًا ومعاشًا وقوتًا وحفظًا وكلاءةً ونصرًا وعزًّا هو اللَّه - تبارك وتعالى - فهو الذي يكتفى بمعونته عمن سواه.

---

(١) شأن الدعاء (ص ١٠١).
(٢) اشتقاق أسماء اللّـه (ص ١٣).
(٣) المنهاج (١/ ١٩٠).
(٤) تيسير الكريم المنان (٥/ ٣٠٤). (نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى ٢/ ٥٤٨).

٢ - وإذا كان الأمر كذلك وجب ألا يكون: التوكل، والرجاء، والرغبة، والاستعانة، إلا به ﷻ[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

إن العبد المؤمن إذا توكل على اللَّه ﷻ حق التوكل، ورغب إليه، واستعان به، وفوض أمره إليه، كفاه اللَّه تعالى ما أهمه، وحفظه اللَّه من كل سوء، ورزقه من حيث لا يحتسب، وأنزل عليه نصره، وخذل أعداءه.

* * *
* *
*

---

(١) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٤٨، ٥٤٩).

(٩١)

المُستعان

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، وقوله عز من قائل: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

معنى هذا الاسم:

قال القرطبي: « فالمستعان معناه: الذي لا يطلب العون، بل يُطلب منه، والعون: الظهير على الأمر، والجمع: الأعوان والمعونة والإعانة، يقال: ما عندك معونة ولا مَعانة ولا عون، وتقول: ما أخلاني فلان من معاونة، وهو جمع معونة، ورجل معوان: كثير العون للناس، واستعنت بفلان فأعانني وعاونني. والله ﷻ بخلاف ذلك، غني عن الظهير والمعين والشريك والوزير، بل كل إعانة وعون فمنه وبه سبحانه لا إلا إله هو. وهو مستفعل من العون، وهو وصف ذاتي لله تعالى راجع إلى صفة القوة، وفيه معنى الإضافة الخاصة لمن استعانه من عباده على طاعته »[١].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - الله ﷻ هو المستعان الذي يطلب منه العون والقوة على فعل الطاعات وترك المحرمات وجلب المنافع ودفع المضرات[٢].

٢ - جميع الخلق فقراء إلى الله تعالى، عبيد لديه، وليس له من يشاركه في الملك ولا في الخلق ولا في الأمر، وكل خلقه في حاجة ماسة إليه في كل نَفس، بل لا قيام ولا حياة ولا وجود لهم إلا به، وبقدرته وقوته لا شريك له[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ المؤمن من هذا الاسم أن يتجرد قلبه عن الالتفات إلى غير الله تعالى؛ كالطفل

(١، ٢) نقله النجدي من كتاب الأسنى للقرطبي، انظر: النهج الأسمى (٣/ ٥٣٢).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٥٣٣).

الرضيع الذي لا يعرف غير ثدي أمه. وهو في كل أحواله يحبس همه على إنزال كل ما يعنيه باللَّه تعالى، فيعتمد عليه في كل شؤونه، ويفوض إليه أمره، ويرضى ويثق بقضائه، ويستعين به في كل ما يلم به، مستيقنًا أن اللَّه ﷻ لا يفعل به إلا خيرًا.

* * *
* *
*

(٩٢)

الديـان

ورد هذا الاسم في حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول اللَّه ﷺ، فاشتريت بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد اللَّه بن أُنَيْس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد اللَّه؟! قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول اللَّه ﷺ، في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلًا بهمًا** »، قال: قلنا: وما بهمًا؟ **قال:** « **ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة** »، قلنا: كيف! وإنما **نأتي اللَّه ﷻ عراة غرلًا بهمًا؟** قال: « **بالحسنات والسيئات** »[(١)].

معنى هذا الاسم:

قال الخطابي: « الديان: وهو المجازي... والديان أيضًا الحاكم... »[(٢)].

وقال الحليمي: « أخذ من ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهو: الحاسب والمجازي، ولا يضيِّع عملًا، ولكنه يجزي بالخير خيرًا، وبالشر شرًّا »[(٣)].

وقال ابن الأثير: « في أسماء اللَّه تعالى الديان، قيل: هو القهار، وقيل: هو الحاكم القاضي. وهو فعال، من: دان الناس، أي: قهرهم على الطاعة. يقال: دنتهم فدانوا، أي قهرتهم فأطاعوا. والديان المقتص المجازي: « إن اللَّه ليدين للجماء من ذات القرن » أي يقتص ويجزي، والدين: الجزاء، فاللَّه ﷻ هو الديان الذي يجازي العباد بأعمالهم

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح: إسناده صالح (١/ ١٧٤).

(٢) شأن الدعاء (ص ١٠٦).

(٣) المنهاج (١/ ٢٠٦).

وينصف المظلوم من الظالم ويقضي بين الخلائق بالحق »[١].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى هو الديان المحاسب والمجازي للعباد، وهو الحاكم، كما قال جل ذكره: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧][٢].

٢ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه هو الديان يوم القيامة، الذي يجازي كلًّا بعمله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ويقتص للمظلوم من الظالم[٣].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، فلا يظلم أحدًا في دينه أو عقله أو نفسه أو ماله أو عرضه: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]. ويروض نفسه على امتثال أوامر الشرع ولا يتبع هوى النفس الذي هو سبب رئيس في ظلم الناس والتعدي عليهم، خاصة إذا علم أن القصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات.

* * *
* *
*

---

(١) النهاية (٢/ ١٤٨).

(٢) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٩٤).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٥٩٥).

(٩٣)

الشافي

ورد هذا الاسم في الحديث الصحيح المروي عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أتي به إليه قال - عليه الصلاة والسلام -: « **أذهب الباس، رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا** »(١).

معنى هذا الاسم:

الشفاء في اللغة: هو البرء من المرض، يقال: شفَاه اللّه يشفيه، واشتفى افعتل منه، فنقله من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس(٢).

ومعنى الشفاء: رفع ما يؤذي أو يؤلم من البدن(٣). على أن اللّه تعالى هو الذي يشفي الصدور من الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول، والأبدان من الأمراض والآفات، ولا يقدر على ذلك غيره، ولا يدعى بهذا الاسم سواه(٤).

شفاء القرآن روحي وبدني:

الشفاء الروحي:

لقد أنزل اللّه تعالى القرآن العظيم فجعله شفاء تامًّا للقلوب والأرواح، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال جل ثناؤه: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن الكريم فيه الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وهذا يوجب للعبد الرغبة والرهبة، يوجب له الرغبة في الخير والرهبة من الشر على نحو يجعله يقدم مراد اللّه تعالى

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى (٧/ ١٠، ١١)، ومسلم في كتاب السلام (٤/ ١٧٢٢).
(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٨٨).
(٣) البيهقي: الأسماء (ص ٩٠).
(٤) نقله النجدي في النهج الأسمى عن الحليمي (٣/ ٥٦٢).

على مراد النفس والهوى، فيصير ما يرضي اللَّه ﷻ أحب إليه من شهوة نفسه. وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها اللَّه تعالى غاية التصريف، وبيَّنها أحسن بيان، تزيل الشبه القادحة في الحق، وتصل بالقلب إلى أعلى درجات اليقين[١].

الشفاء البدني:

والقرآن الكريم كما أنه شفاء للأرواح فهو شفاء لعلل الأبدان. وفي هذا السياق قال ابن القيم - رحمه اللَّه -: « ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين، الذي فضله على كل كلام كفضل اللَّه تعالى على خلقه، الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، و (من) هنا: لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا هو أصح القولين »[٢].

على أن الرقية بفاتحة الكتاب تشفي من المرض العضوي بإذن اللَّه تعالى؛ فعن أبي سعيد الخدري ؓ أن رهطًا من أصحاب النبي ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحي من أحياء العرب، ولدغ سيد ذلك الحي، فانطلق أحد الصحابة فرقى بأم الكتاب ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، حتى لكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي ليس به شيء[٣].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه - تبارك وتعالى - هو الشافي الحقيقي من كل آفة وعاهة ومرض بدني أو نفسي. فقول النبي ﷺ: « **اشف أنت الشافي** » دليل على أن الشافي على الإطلاق هو اللَّه وحده جل شأنه.

٢ - لما كانت الدنيا دار أسباب، جرت السنة فيها بمقتضى الحكمة، على تعليق الأحكام بالأسباب، وإلى هذا أشار - عليه الصلاة والسلام - وإياه أوضح بقوله ﷺ: « **باسم اللَّه أرقيك، اللَّه يشفيك** »، فبين أن الرقية سبب والشفاء بيد اللَّه تعالى[٤].

---

(١) الجمال: شرح أسماء اللـه الحسنى (ص ١٥٣)، بتصرف.

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب (٧/ ٢٢، ٢٣).

(٤) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٦٤)، بتصرف.

حظ المؤمن من هذا الاسم:

يجب على العبد المؤمن أن يعتقد ألَّا شافيَ على الإطلاق إلا اللَّه تعالى، فيعتقد جزمًا أن الشفاء له وبه ومنه ﷻ، لكن ينبغي أن يأخذ بالأسباب المشروعة من أدوية ورقى، معتمدًا على اللَّه تعالى، متوكلًا عليه؛ لأنه هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه.

* * *

(٩٤)

المحسن

ورد فعل هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة: ٧]، وقال عز من قائل: ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

كما ورد هذا الاسم في صحيح السنة من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن اللّٰه محسن يحب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته** »[١].

معنى هذا الاسم:

له معنيان:

الأول: أن أفعال اللّٰه تعالى في غاية الإتقان: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧].

والثاني: أن اللّٰه تعالى محسن في إنعامه فيعطي النعم الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد.

وفي هذا السياق قال القرطبي: « ومعناه راجع (أي المحسن) إلى معنى المفضل وذي الفضل والمنان والوهاب... ولا خفاء بإحسان اللّٰه تعالى إلى خلقه، ومنّه عليهم بما غمرهم من الإحسان والفضل والجود والإنعام »[٢].

وقال المناوي: « الإحسان له وصف لازم لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين، فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد »[٣].

آثار المحسن جل علاه:

يتجلى إحسان الخالق - تبارك وتعالى - في خلق كل شيء على الصورة التي خلق

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٨٦٠٣)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٧٤).

(٢) نقله النجدي عن الكتاب الأسنى، انظر: النهج الأسمى (٣/ ٦٤٨).

(٣) فيض القدير (٢/ ٢٦٤). (نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى: ٣/ ٦٤٨).

بها بإتقان، ثم هدايته للوظيفة التي خلق لها. وحين يجول الإنسان ببصره وبصيرته - في حدود ما يطيق - في جنبات هذا الكون الكبير والفضاء السحيق تتجلى له آثار تلك القدرة المبدعة والمدبرة لكل كائن صغير أو كبير من الذرة المفردة إلى المجرة الضخمة، ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة في الإنسان[1].

ولنأخذ الإنسان كمثال لنرى كيف أحسن الخالق - تبارك وتعالى - خلقه وأمده بكل الأجهزة النافعة لاستمرار حياته؛ فقد جعل الخالق المحسن سبحانه في تركيب جسده ما يشعره بالإحساس بالجوع عن طريق تقلصات في أعماق المعدة. أما الإحساس بالعطش فيتم عن طريق جفاف الحلق والفم من الريق، فيقوم المركز المختص في الدماغ بترجمة هذه الإحساسات والتنبهات إلى ما يعرف بإحساس الجوع والعطش. وعندما يتم الشبع أو الري تصل الإشارات إلى مركز الشبع والري فيترجمهما المركز في صورة إحساس بالامتلاء[2].

كما أن الجلد الذي يغطي السطح الخارجي خلقه اللَّه ﷻ غير قابل للاختراق بواسطة الماء والغازات. أيضًا لا يسمح للجراثيم التي تعيش على سطحه بالدخول إلى الجسم، فضلًا عن أنه قادر على تحطيم هذه الجراثيم بمساعدة المواد التي تفرزها غدده. وقد خلقه الخالق ﷻ مرنًا قابلًا للتمدد، قوي الاحتمال ليقوم بوظائفه خير قيام. وكذلك جعله اللَّه ﷻ مأوى كمية هائلة من أعضاء الاستقبال يسجل كل منها التغيرات التي تحدث في البيئة، فالخلايا القابلة للمس والمبعثرة على سطحه تحس بالضغط والألم والحرارة والبرد، وتلك الموجودة في الغشاء المخاطي للفم تتأثر بالطعام والحرارة، وشبكة أعصاب الشم تتأثر بالروائح، وهكذا[3].

آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - اللَّه ﷻ هو المحسن الذي غمر الخلق جميعًا بإحسانه وفضله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، لا غنى لهم عنه طرف عين، ولا وجود لهم أصلًا ولا بقاء لهم

---

(١) شحاتة: أسماء اللَّه الحسنى (ص ٣٣٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٣١) (نقلًا عن ج.د. راديكيلف في كتابه: تعرف إلى أعضاء جسمك، ترجمة يوسف شكري).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٣٢).

إلا بإحسانه وجوده وإنعامه ﷻ، ولو غفل عن ذلك الغافلون، وجحد به الجاحدون، وأعرض عن شكره العاصون. فإحسان اللَّه تعالى لعباده لا حد له.

٢ - أن اللَّه تعالى يحب من خلقه التعبد بمعاني أسمائه وصفاته. ولما كان - جل علاه - هو « المحسن » فإنه يحب الإحسان وأهله، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣][1].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يحسن **أولًا**: في العبادة، لقول النبي ﷺ لما سأله جبريل ﷺ عن الإحسان قال: « **أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[2]. **ثانيًا**: أن يحسن إلى عباد اللَّه بإيصال جميع أنواع الخير إليهم ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والبدن. وكذلك تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ليكون سببًا في نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

* * *
* *
*

(١) النهج الأسمى (٣/ ٦٤١ - ٦٥١)، (بتصرف).
(٢) أخرجه البخاري، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (١/ ٢٧)، ومسلم، باب معرفة الإيمان والإسلام (١/ ٢٨).

(٩٥)

العدل، المقسط

ورد اسم « **العدل** » بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وورد اسم « المقسط » أيضًا بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

على أن « **المقسط** » هو الذي بلغ غاية العدل[١]. وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه قال النبي ﷺ: « **هو اللَّه الذي لا إله إلا هو... العدل اللطيف** »[٢].

وفي سنن أبي داود: « **اللَّه حكم قسط، هلك المرتابون** »[٣].

وعن ابن ماجه: « **وهو اللَّه الواحد... المقسط** »[٤].

معنى هذين الاسمين:

قال الغزالي: « **العدل** معناه العادل، وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور. ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله. فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علمًا بأفعال اللَّه تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى. حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت، ثم رجع البصر فما رأى من فطور، ثم رجع مرة أخرى فانقلب إليه البصر خاسئًا وهو حسير، وقد بهره جمال الحضرة الربوبية وحيَّره اعتدالها وانتظامها، فعند ذلك يعبق بفهمه شيء من معاني عدله، تعالى وتقدس »[٥].

وأما المقسط فقال عنه: « هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم، وكماله في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم، وذلك غاية العدل والإنصاف، ولا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ »[٦].

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]، « صدقًا

---

(١) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٤٢).
(٢) كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥٧٤).
(٣) كتاب السنة، حديث رقم (٤٦١١).
(٤) كتاب الدعاء، حديث رقم (٣٨٦١).
(٥، ٦) الغزالي: المقصد الأسنى (ص ١٤٢).

في الإخبار، وعدلًا في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك فيه، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه »[١].

وقال سيد قطب: « وتدبير اللَّه لهذا الكون ولحياة الناس متلبس دائمًا بالقسط، وهو العدل فلا يتحقق العدل المطلق في حياة الناس، ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون، التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر، لا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج اللَّه الذي اختاره لحياة الناس وبيَّنه في كتابه »[٢].

حظ المؤمن من هذين الاسمين:

قال الغزالي: « حظ العبد من العدل لا يخفى، فأول ما عليه من العدل في صفات نفسه، وهو أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين. ومهما جعل العقل خادمًا للشهوة والغضب فقد ظلم، هذا جملة عدله في نفسه، وتفصيله مراعاة حدود الشرع كلها. وعدله في كل عضو أن يستعمله على الوجه الذي أذن الشرع فيه. وأما عدله في أهله وذويه، ثم في رعيته، إن كان من أهل الولاية فلا يخفى »[٣].

ثم قال: « حظ العبد دينا من مشاهدة هذا الوصف: الإيمان بأن اللَّه ﷻ عدل؛ أن لا يعترض عليه في تدبيره وحكمه وسائر أفعاله، وافق مراده أو لم يوافق؛ لأن كل ذلك عدل، وهو كل ما ينبغي وعلى ما ينبغي... وبهذا يكون اللَّه تعالى عدلًا، والإيمان به يقطع الإنكار والاعتراض، ظاهرًا وباطنًا، وتمامه أن لا يسب الدهر ولا ينسب الأشياء إلى الفلك ولا يعترض عليه، كما جرت به العادة، بل يعلم أن كل ذلك أسباب مسخرة، وأنها رتبت ووجهت إلى المسببات أحسن ترتيب وتوجيه، بأقصى وجوه العدل واللطف »[٤].

* * *
* *
*

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٢٢).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٣٧٩).

(٣، ٤) المقصد الأسنى (ص ١٠٠).

(٩٦)

ذو المعارج

ورد هذا الاسم مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ١ - ٣].

معنى هذا الاسم:

قال ابن جرير الطبري: « وقوله: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ يعني: ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم »[١].

وقال الفراء: « وقوله: ﴿ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾: من صفة اللَّه عز وجل؛ لأن الملائكة تعرج إلى اللَّه عز وجل فوصف نفسه بذلك »[٢].

وقال الخطابي: « وهو الذي يصعد إليه بأعمال العباد، وإليه يصعد بأرواح المؤمنين »[٣].

وقال الحليمي: « ذو المعارج: وهو الذي يعرج إليه بالأرواح والأعمال، وهذا أيضًا يدخل في باب الإثبات والتوحيد والإبداع والتدبير، وباللَّه التوفيق »[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه - تبارك وتعالى - هو الرب المالك الخالق المدبر ذو المعارج الذي تعرج إليه الملائكة والأرواح، وتصعد إليه الأعمال والأقوال الصالحة الطيبة[٥].

٢ - يدل هذا الاسم على علو الرب - تبارك وتعالى - على عباده علوًّا مطلقًا، وأنه فوقهم مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، فإن العروج هو الصعود إلى أعلى.

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يواظب على الطاعات، ويؤدي الصلوات في

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٨١٩٦).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٨٤). (نقلًا عن النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٣٨)).

(٣) شأن الدعاء (ص ١٠٤). (٤) المنهاج (١/ ٢١٠).

(٥) النجدي: النهج الأسمى (٣/ ٥٣٩).

وقتها، ويحرص على قيام الليل فهو شرف المؤمن كما جاء في الحديث أن ملائكة النهار تعرج بأعمال النهار، وملائكة الليل تعرج بأعمال الليل؛ فقد روي عن النبي ﷺ قال: « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون** »[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت (١/ ١٣٩).

(٩٧)

الصادق

ورد اسم « الصادق » في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الحجر: ٦٤].

معنى هذا الاسم:

قال الخطابي: « والصادق هو الذي يصدق قوله، ويصدق وعده، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٧٤] »[١].

وقال الزجاجي: « الصادق في خبره الذي لا تكذيب له، فالله ﷻ الصادق في جميع ما أخبر به عباده »[٢].

أخبار الله صدق كلها:

لا جرم أن كل ما أخبر به الله تعالى في كتابه العزيز أو عن طريق نبيه الأمين، سواء كان في الماضي السحيق أو المستقبل البعيد - صدق لا ريب فيه؛ ذلك أن الله - تبارك وتعالى - هو العليم الخبير لا خافية عليه في الأرض ولا في السماء، فهو سبحانه يخبر عن علم ومعاينة: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]. كما أن الله لا يعجزه شيء في السموات والأرض؛ لأنه قوي عزيز قدير، فأمره ﷻ ينفذ في لمح البصر، كما قال جل ذكره: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال عز من قائل: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

وكما أن الله تعالى صادق في خبره فهو صادق في وعده، والمؤمنون في الدنيا والآخرة يشهدون صدق وعد الله الذي وعدهم إياه. فقد أخبر رسله المبلغين للدين

---

(١) شأن الدعاء (ص ١٠٢).
(٢) اشتقاق أسماء الله (ص ٢٩٠).

عنه باستئصال شأفة الكافرين ونجاتهم من بينهم: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩]. وفي غزوة الأحزاب اتخذ المؤمنون بشعورهم بالزلزلة سببًا في انتظار النصر، وهذه سنة اللَّه. وهاهم أولاء يزلزلون: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١]، فنصر اللَّه إذًا منهم قريب، ومن ثم قالوا: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يكون صادقًا في نيته، في أقواله، في نقله للأخبار، كما يصدق في وعده، ويفي بالعقود والعهود مع الناس، كما ينبغي له أن تستوي أفعاله على الأمر والمتابعة، ويجاهد نفسه في أن تكون سريرته وعلانيته واحدة، وأن لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به حقيقة، كمن يتظاهر بالخشوع في الظاهر والقلب وهو ليس كذلك[(١)].

وأعلى صدق العبد في مقامات الدين. قال عنه أبو حامد الغزالي: « وهو أعلى الدرجات وأعزها؛ الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب، وسائر هذه الأمور: فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، والصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقًا فيه، كما يقال: فلان صادق القتال، ويقال: هذا هو الخوف الصادق، وهذه هي الشهوة الصادقة »[(٢)].

* * *
* *
*

---

(١) عبد العزيز الجليل: وكونوا مع الصادقين (١/ ٢٧٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٩٧).

(٩٨)

الغالب

ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]. وورد بصيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

معنى هذا الاسم:

قال الحليمي: « وهو البالغ مراده من خلقه أحبوا أم كرهوا، وهذه إشارة إلى كمال القدرة والحكمة، وأنه لا يقهر ولا يخدع »[١].

وقال البغوي: « ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾، قيل: الهاء في ﴿ أَمْرِهِ ﴾ كناية عن اللَّه تعالى، يقول: إن اللَّه غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد. وقيل: هي راجعة إلى يوسف ﷺ، معناه: أن اللَّه مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة، لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى عمله فيه »[٢].

وقال ابن كثير: « ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾، أي إذا أراد شيئًا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه. وقال سعيد بن جبير: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ أي فعال لما يشاء »[٣].

وقال السعدي: « ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾، أي: أمره تعالى نافذ لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب »[٤].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه - تبارك وتعالى - هو الغالب القاهر أبدًا، لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أمضى، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

٢ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه تعالى هو الغالب على الإطلاق، فمن

---

(١) المنهاج (١/ ١٩٨).
(٢) التنزيل (٣/ ٢٧٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٧٨).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٦).

تمسك بحبله المتين فهو الغالب ولو طلبه جميع من في الأرض. وهذه سنة ماضية منذ فجر الخليقة[١].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يعتمد على اللَّه وحده في جميع أموره، ويتوكل عليه، ويستعين به، ويفوض إليه كل شيء.

فمهما أساء الناس له ودبروا له المكائد، فإن اللَّه تعالى يعصمه ويحفظه؛ لأنه غالب على أمره، مهيمن مسيطر، ينفذ ما يشاء، لا يُرَدُّ قضاؤه، وأمره هو الذي يكون.

* * *

(١) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٦٦) بتصرف.

(٩٩)

ذو الفضل

ورد في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

معنى هذا الاسم:

قال ابن جرير الطبري: « وأما قوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾، فإنه خبر من اللَّه - جل ثناؤه - عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداءً وتفضلًا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه »[١].

وقال القرطبي: « واللَّه سبحانه ذو الفضل العظيم، والإحسان العميم، أعطى خلقه ما لا يلزمه، وتفضل عليهم بما لا يجب عليه، فسبحانه من كريم رؤوف رحيم، تفضل على جميع خلقه بنعمته، وعلى المؤمنين بدار كرامته: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] »[٢].

وقال الحليمي: « وهو المنعم بما لا يلزمه »[٣].

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن اللَّه تعالى موصوف بالطَّوْل والفضل والإحسان إلى عباده، والقدرة على ذلك، لا يمنعه مانع من إيصال فضله ونعمته إلى من يشاء، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧][٤].

٢ - واللَّه - تبارك وتعالى - متفضل على عباده بأنواع النعم من غير سؤال منهم

---

(١) جامع البيان (١/ ٦٢٥).

(٢) نقله النجدي من الكتاب الأسنى، انظر: النهج الأسمى (٢/ ٥٤٣).

(٣) المنهاج (١/ ٢٠٨).

(٤) النجدي: النهج الأسمى (٢/ ٥٤٣).

ولا استحقاق لها، بل كل ما أوتوا من نعم الدين والدنيا فهو من اللَّه تعالى فضل وكرم وإحسان، وحتى الكافر يرفل في نعم اللَّه، ويتقلب في فضله ورحمته في الدنيا: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

حظ المؤمن من هذا الاسم:

حظ العبد المؤمن من هذا الاسم أن يتقي اللَّه حق تقاته، وأن يقف عند حدوده لا يتعداها أبدًا، ويعظم أمره ونهيه، ويستحيي منه حق الحياء؛ لأنه المتفضل عليه بأنواع النعم التي لا تدخل تحت الحصر.

ومن نافل القول أن العبد الذي يشكر اللَّه تعالى على نعمه وفضله يثبته على الدين، ويعصمه من الزيغ والخذلان واتباع الشيطان، وينور بصيرته، ويزكي نفسه، ويكفِّر عن سيئاته، وينجيه من كيد أعدائه ومكرهم، ويسبغ عليه دائمًا نعمه الظاهرة والباطنة التي لا حدود لها.

* * *
* *
*

خَاتِمَة

وفي الختام أقول: إن الإيمان بصفات اللَّه تعالى وأسمائه الحسنى تحكمه مجموعة من الضوابط؛ منها: الإيمان بكل ما أخبر به اللَّه تعالى من صفاته، وعدم تكذيب اللَّه أو رسوله في شيء من ذلك، أو الإلحاد في أسمائه وصفاته، وعدم تشبيه اللَّه تعالى بخلقه، فاللَّه ﷻ منزه عن النظير والشبيه والمثيل في ذاته وصفاته وأفعاله، وعدم تأويل صفاته سبحانه، فلا يقال: استواؤه تعالى: استيلاؤه، ولا يقال: يد اللَّه: قدرته، ولا يقال: نزول اللَّه: نزول أمره، فاللَّه سبحانه له صفات نثبت معناها ونجهل كيفيتها.

والقرآن الكريم يدعونا إلى النظر في خلق اللَّه تعالى والتفكر في آياته؛ كي نعلم **أولًا**: أن اللَّه تعالى لم يخلق الخلق عبثًا وباطلًا، وإنما خلقه لنتعرف عليه من خلقه وآياته، فنوحده ونعبده وحده لا شريك له. وننتفع **ثانيًا**: بهذا الخلق والإبداع إذا أحسنا النظر فيه، فنحاكي مخلوقات اللَّه في صناعتنا واختراعنا لنستفيد منها في بناء الحضارة وعمارة الأرض. ولنتفكر **ثالثًا**: في خلق اللَّه لا في ذات اللَّه، فاللَّه - جلت عظمته وتقدست أسماؤه - أكبر من أن نعرف كيفية ذاته أو صفاته، ولذلك نهينا عن التفكر في اللَّه؛ لأننا لن ندرك ذلك بعقولنا الصغيرة القاصرة المحدودة، ولأجل ذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ: « تفكروا في خلق اللَّه ولا تفكروا في اللَّه »[1].

وهذا منهج إيماني أصيل يقوم على الحجة والبرهان والمشاهد الحية، ونراه كثيرًا في القرآن الكريم؛ إذ يعرض المولى - تبارك وتعالى - مشاهدة من خلقه، ثم يوقف عباده على مواطن العبرة والعظة ويدلهم على مواطن الاستدلال بالمخلوق على الخالق: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [لقمان: ١٠، ١١]، إنه ﷻ الخالق البارئ العليم الحكيم الرزاق ذو القوة المتين.

ولأجل ذلك، فإننا مطالبون بتعلم العلم النافع الذي يكون سببًا لسلامة معتقداتنا في

(١) أبو القاسم اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٢٤).

جوانب العقيدة كلها، ولا سيما جانب الأسماء والصفات؛ لأنه الأصل الذي يتفرع عنه كل جوانب الاعتقاد في اللَّه تعالى وأفعاله وأقواله وحقوقه على عباده، وأن نجاهد أنفسنا لنحقق توحيد الأسماء والصفات علمًا وعملًا، وفهمًا وتدبرًا، ومنهجًا وسلوكًا، بما يثمر سلامة الاعتقاد في القلب، وسداد القول باللسان، وميل الجوارح نحو الطاعة والعبادة.

على أن أنجع وسيلة لتحقيق الإصلاح في مناحي وشؤون حياتنا جميعًا، وبلوغ الفلاح في حياة الفرد والجماعة والمجتمع والشعوب الإسلامية قاطبة - هي إحياء معرفة الأسماء والصفات في الأمة في نطاق العلم والفهم والتدبر والعمل، مما يترتب عليه سلامة في المعتقد وفي السلوك، فيجني الناس ثمار ذلك على كافة الصُّعُدِ النفسية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واللَّه تعالى وليُّ التوفيق.

* * *
* *
*

ٱلفَهَارِسُ

فهرس المصادر والمراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ):

١ - النهاية في غريب الحديث، بيروت، المكتبة العلمية.

٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، مكتبة الملاح (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

الأشقر، عمر سليمان:

٣ - أسماء اللّـه الحسنى الهادية إلى اللّـه والمعرفة به، بيروت، دار النفائس (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م).

الألباني، ناصر الدين:

٤ - صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

أيوب، حسن:

٥ - مع اللّـه في أسمائه وصفاته وأسمائه الحسنى، الكويت: دار القلم (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

البخاري (الإمام)، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ):

٦ - صحيح البخاري، إستانبول، المكتبة الإسلامية (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٧ - الأدب المفرد، تحقيق محمد همام البرهاني، الإمارات العربية المتحدة: وزارة العدل والشؤون الإسلامية (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

البيهقي، أبو بكر بن الحسين النيسابوري (ت ٤٥٨هـ):

٨ - الأسماء والصفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٩ - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق أحمد عصام الكاتب، بيروت: دار الآفاق الجديدة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ):

١٠ - سنن الترمذي، بيروت: دار الفكر (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

وصحيح الترمذي، جمع وتصحيح الألباني، الرياض: مكتبة المعارف (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):

١١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد عبد الرازق البكري وآخرين، القاهرة، دار السلام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

جماعة من العلماء:

١٢ - خلق لا تطور، ترجمة إحسان حقي، بيروت: دار النفائس (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الجمال، أسامة بن محمد:

١٣ - شرح أسماء اللّـه الحسنى، القاهرة، مكتبة أبو بكر الصديق (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧):

١٤ - زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الحازمي، إبراهيم:

١٥ - الفرج بعد الشدة والضيقة، الرياض، دار الشريف (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد اللَّـه بن حمدويه (ت ٤٠٥ هـ):

١٦ - المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار المعرفة، ودار الكتاب العربي.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ):

١٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

حفني، صلاح الدين:

١٨ - مختصر النهاية في غريب الحديث والأثر، الكويت: دار البحوث العلمية (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

الحليمي، الحسين بن الحسن بن حليم البخاري الجرجاني (ت ٤٠٣هـ):

١٩ - المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق حلمي فودة، بيروت، دار الفكر (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ابن حنبل (الإمام) أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ):

٢٠ - المسند، طبعة بيروت، دار صادر.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق السلمي (ت ٣١١هـ):

٢١ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الخطابي، أبو سليمان أحمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ):

٢٢ - شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الثقافة العربية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ):

٢٣ - سنن أبي داود، بيروت، دار الفكر، وصحيح سنن أبي داود، جمع وتصحيح الألباني، الرياض: مكتبة المعارف (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):

٢٤ - سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ):

٢٥ - المفردات في غريب القرآن، القاهرة: طبعة الحلبي (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، وبيروت، دار المعرفة، تحقيق محمد سيد كيلاني.

ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي البغدادي (ت ٧٩٥هـ):

٢٦ - جامع العلوم والحكم، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار السلام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

الزجاج، أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري النحوي (ت ٣١١هـ):

٢٧ - تفسير أسماء اللَّـه الحسنى، دمشق، دار المأمون للتراث (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي النحوي (ت ٣٣٧هـ):

٢٨ - اشتقاق أسماء اللَّـه الحسنى، النجف: مطبعة النعمان (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م). وطبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق عبد الحسين المبارك (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

سابق، سيد:

٢٩ - العقائد الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر:

٣٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة: دار السلام (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٣١ - الحق الواضح المبين، الدمام، دار ابن القيم (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

السلال، عبد الكريم:
٣٢ - الأسرار الخفية في حياة الخلية، مجلة الإعجاز العلمي (عدد ١١)، (شوال ١٤٢٢هـ).
شحاتة، زين محمد:
٣٣ - أسماء اللّـه الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح (معانيها - قبس من آثارها - الدعاء بها)، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
الشرباصي، أحمد:
٣٤ - موسوعة الأسماء الحسنى، بيروت: دار الجيل (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
عبد الباقي، محمد فؤاد:
٣٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار الفكر (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
عبد الخالق، عبد الرحمن:
٣٦ - منهج جديد في دراسة التوحيد، الكويت: مؤسسة التواصل بين المشرق والمغرب للنشر والتوزيع.
عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ):
٣٧ - المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي (ت٦٦٠هـ):
٣٨ - شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق الطباع، طبعة دمشق: دار الطباع (١٤٠٩هـ/ ١٩٩٩م).
العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ):
٣٩ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق أحمد القلاش، القاهرة: دار التراث العربي.
ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد اللّـه المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ):
٤٠ - أحكام القرآن، القاهرة: طبعة البابي الحلبي (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي (ت ٧٩٢هـ):
٤١ - شرح العقيدة الطحاوية، بيروت: المكتب الإسلامي (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
علوي، ابن خليفة:
٤٢ - سبعون برهانًا علميًّا على وجود الذات الإلهية، دمشق: دار الإيمان (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
عودة، عبد القادر:
٤٣ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، بيروت: دار الكاتب العربي.
ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم:
٤٤ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، بيروت: المكتب الإسلامي (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ):
٤٥ - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء اللّـه الحسنى، بيروت: دار ابن حزم (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
الفوزان، صالح:
٤٦ - شرح العقيدة الواسطية، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

القحطاني، سعيد بن علي:

٤٧ - شرح أسماء اللّـه الحسنى، الرياض، مطبعة سفير (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

القرطبي، أبو عبد اللّـه محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ):

٤٨ - الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

قطب، سيد:

٤٩ - في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٥١هـ):

٥٠ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٥١ - بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي.

٥٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٥٣ - طريق الهجرتين وباب السعادتين، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٥٤ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصار محمد بن الموصلي، تحقيق محمد حامد الفقي، مكة المكرمة: المطبعة السلفية (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

٥٥ - مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٥٦ - مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٥٧ - النونية المسماة «بالكافية الشافية»، بيروت: المكتب الإسلامي (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ):

٥٨ - تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

كشك، عبد الحميد:

٥٩ - أسماء اللّـه الحسنى، القاهرة: المرشد الإسلامي (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ):

٦٠ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر. وصحيح ابن ماجه، جمع وتصحيح الألباني، الرياض: مكتبة المعارف (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

مسلم (الإمام)، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ):

٦١ - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار عالم الكتب (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):

٦٢ - لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب.

موريسون، كريستي:

٦٣ - العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة الفلكي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

النجدي، محمد الحمود:

٦٤ - النهج الأسمى في شرح أسماء اللّـه الحسنى، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

نخبة من العلماء الأمريكيين:

٦٥ - اللّـه يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه محمد جمال الدين الفندي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ):

٦٦ - سنن النسائي، بيروت، المكتبة العلمية، ودار إحياء التراث العربي.

نور باقي، خلوق:

٦٧ - الإنسان ومعجزة الحياة، ترجمة أوراخان محمد علي، جدة: الدار السعودية (١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م).

النورسي، سعيد:

٦٨ - الاسم الأعظم، ترجمة إحسان الصالحي، الموصل: مطبعة الزهراء (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦٩ - النوافذ، ترجمة إحسان الصالحي، الموصل: مطبعة الزهراء (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

نوفل، عبد الرزاق:

٧٠ - اللّـه والعلم الحديث، القاهرة: الناشرون العرب (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

وصفي، رؤوف:

٧١ - الكون والثقوب السوداء، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، جمادى الأولى (١٣٩٩هـ) آيار (مايو) (١٩٧٩م).

* * *
* *
*

فهرس أسماء اللَّـه الحسنى

* * *
* *
*

فِهْرِسُ ٱلمَوضُوعَاتِ

* * *
* *
*

السيرة الذاتية للمؤلف

أ.د. محمد أمحزون.

- حصل على الماجستير من جامعة الملك سعود، الرياض (١٩٨٤م).
- حصل على الدكتوراه من جامعة محمد الأول، وجدة (١٩٨٩م).
- شارك في ندوات علمية في مختلف الدول العربية.
- أشرف على عديد من الرسائل الجامعية.
- شغل منصب رئيس وحدة التكوين والبحث لنيل الدكتوراه.

ومن مؤلفاته:

- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين.
- منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة.
- تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية.
- حقيقة الإيمان.
- الفرق الباطنية التاريخ والمنهاج.

وله أبحاث موثقة منشورة؛ منها:

- أهمية العلم بالسنن الاجتماعية.
- البعد الإستراتيجي للخطة النبوية في مواجهة الروم والتمهيد لفتح بلاد الشام.
- النهضة اليابانية والنهضة العربية في العصر الحديث.

* * *

الكِتَابُ فِي سُطُورٍ

إن البحث في أسماء الله وصفاته - وفق ما جاء في الكتاب والسنة - هو من أجلِّ المعارف وأشرفها؛ ذلك أن أجل المقاصد وأنفع العلوم: العلم بمعاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ فالتعرف على الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح به سبحانه. كما أن العلم بأسماء الله وصفاته يتمخض عنه إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها وتدبرها وإدراك موجبها، وآثارها، ومقتضياتها، ومتعلقها، ولوازمها، وأحكامها، والدعاء بها. وهذا يفضي إلى عبادة الله ومحبته وخشيته، ويوجب تعظيمه وإجلاله.

كما أن معرفة أسماء الله وصفاته، ترسخ في النفس معنى التوحيد؛ فحين يعلم المرء أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل شيء رهنُ قبضته وطوع مشيئته الغالبة، فإن هذا الإحساس ينشئ في نفسه مبدأ المسؤولية ويجليه في الفكر والشعور.

DarAlsalam Designs

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-5059-78-9

9789775059789